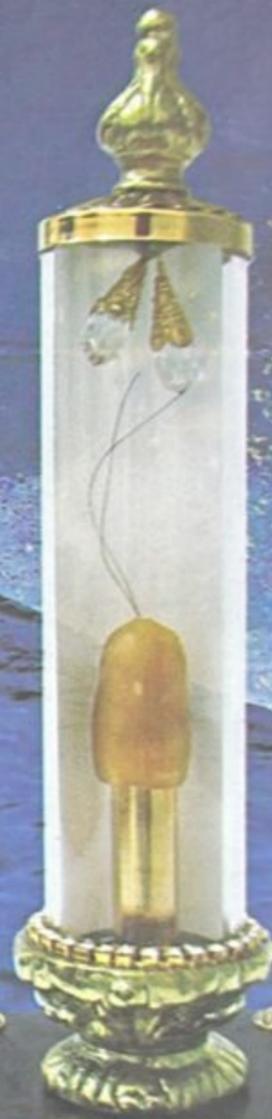
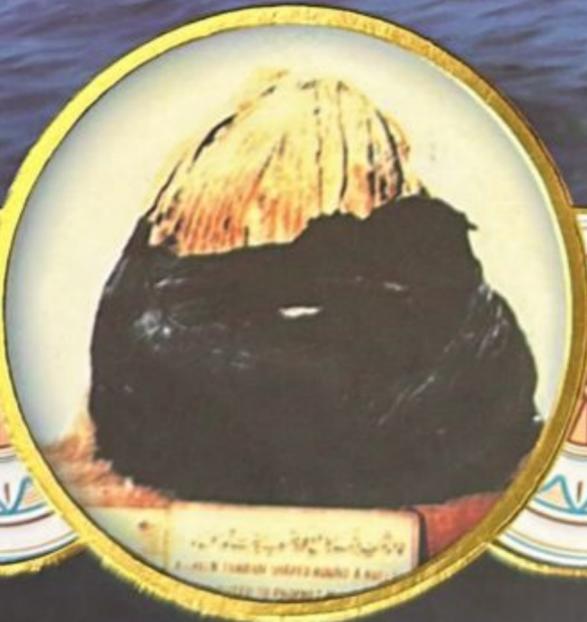


سبحان الله العظيم
والآيات
في التبرك بأثار المصطفى المختار
صلى الله عليه وسلم

جمعه وأعداه
فضيلة الشيخ الشريف أبي الفضل عماد الدين جميل حلیم الحيني
رئيس جمعية المشايخ الصوفية



شركة دار المشايخ



بِحَجْرِ الدَّلَائِلِ وَالْأَسْرَارِ

فِي التَّبَرُّكِ بِأَثَرِ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

جمعه وأعدّه
فضيلة الشيخ الشريف
أبي الفضل عماد الدين جميل حليم الحسيني
رئيس جمعية المشايخ الصوفية

قدّم له
الأديب الدكتور وافي صلاح الدين حاج ماجد

شركة دار المنشآت

الطبعة الثالثة

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ ر

شركة دار المنشأيع

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،

بناية الإخلاص

تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (٩٦١ ١) ٠٠

صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



ISBN 978-9953-20-695-0



9 789953 206950

email: dar.nashr@gmail.com

www.dmcpublisher.com



التوسط

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وشرف وكرم على سيدنا محمد، الحبيب المحبوب، العظيم الجاه، العالي القدر طه الأمين، وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين، وعلى ذريته وأهل بيته الميامين المكرمين، وعلى زوجاته أمهات المؤمنين البارزات التقيات النقيات الطاهرات الصفيات، وصحابته الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً، وهي المرجع الذي تعرض عليه عقائد الناس، فمن خالفها أو كذبها فلا يكون من المسلمين، وهي ميزان الحق الذي يكشف زيف الباطل وزيفه، فكان لا بد من هذا البيان المهم لخصوص الغرض وعموم النفع؛ وعليه:

اعلم أرشدنا الله وإياك أنه يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه، خلق العالم بأسره العلوي والسفلي والعرش والكرسي، والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما. جميع الخلائق مقهورون بقدرته، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ليس معه مدبر في الخلق ولا شريك في الملك، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البر، والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، فعال لما يريد، قادر على ما يشاء، له الملك وله الغنى، وله العز والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه بما يشاء، لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً، ليس عليه حق [يلزمه] ولا عليه حكم، وكل نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل، ولا بعض،

ولا يقال متى كان ولا أين كان ولا كيف، كان ولا مكان، كَوْنُ الأَكْوَانِ، ودَبَّرَ الزمانَ، لا يتقيدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغلهُ شأنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقه وهمٌ ولا يكتنفه عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذهنِ، ولا يتمثلُ في النفسِ، ولا يتصوَّرُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تلحقه الأهواءُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١).

نقول جازمين معتقدين صادقين مخلصين، بأننا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الذي لم يتخذ صاحبة وليس له والدٌ ولا والدَةٌ، الأول القديم الذي لا يُشبهه مخلوقاته بوجه من الوجوه، لا شبيهه ولا نظير له، ولا وزير ولا مُشير له، ولا مُعين ولا أَمْرَ له، ولا ضِدًّا ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدًّا ولا مِثْلَ له، ولا صورةً ولا أعضاءً ولا جوارحَ ولا أدواتَ ولا أركانَ له، ولا كيفيةً ولا كميةً صغيرةً ولا كبيرةً له فلا حجمَ له، ولا مقدارَ ولا مقياسَ ولا مساحةً ولا مَسافةً له، ولا امتدادَ ولا اتساعَ له، ولا جهةً ولا حيزَ له، ولا أينَ ولا مكانَ له، كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان بلا مكان.

تنزَّه ربي عن الجلوس والقعود والاستقرار والمحاذاة، الرحمن على العرش استوى استواءً منزهاً عن المماسة والاعوجاج، خلق العرشَ إظهاراً لقدرته ولم يتَّخِذه مكاناً لذاته، ومن اعتقد أن الله جالسٌ على العرش فهو كافر، الرحمن على العرش استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر، فهو قاهرٌ للعرش مُتصَرِّفٌ فيه كيف يشاء، تنزَّه وتقدَّس ربي عن الحركة والسكون، وعن الاتصال والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسِّ والمسافة، وعن التحوُّلِ والزوالِ والانتقالِ، جلَّ ربي لا تُحيط به الأوهامُ ولا الظنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكْرَةَ في الرَّبِّ، لا إله إلا هو، تقدَّس عن كلِّ صفاتِ المخلوقينِ وسِماتِ المحدثينِ، لا يَمَسُّ ولا يَمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُحَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناسِ، نُوحِدُه ولا نُبعِضُه، ليس جسماً ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسامِ، فالمجسم كافر وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحاً وليس شخصاً، وليس جوهرًا وليس عَرَضًا، لا تحلُّ فيه الأعراضُ،

ليس مؤلفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بزدي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غيماً وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماع له ولا افتراق، لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السنات، منزّه عن الطول والعرض والعُمقِ والسَّمكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيءٌ، ولا يَنْحَلُّ منه شيءٌ، ولا يَحُلُّ هو في شيءٍ، لأنه ليس كمثلته شيءٌ، فمن زعم أن الله في شيءٍ أو من شيءٍ أو على شيءٍ فقد أشرك، إذ لو كان في شيءٍ لكان محصورًا، ولو كان من شيءٍ لكان محدثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيءٍ لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواءِ مخالطًا لكم.

وكَلَّمَ اللهُ موسى تكليمًا، وكلامه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتدأً ولا مُحْتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بضم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك اجرام، هو صفةٌ من صفاته، وصفاته أزليةٌ أبديةٌ كذاته، وصفاته لا تتغير لأن التغير أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثِ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدكم من التمسكِ بظاهرٍ ما تشابه من الكتابِ والسنةِ فإن ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، ﴿وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾، ومن زعم أن إلهنا محدودٌ فقد جهل الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم

يكن، وكل ما دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسكنات والنوايا والخواطر وحياة وموت وصحة ومرض ولذة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبّات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله بتقديره وعلمه الأزلي وأن الإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئاً من أعمالهم وهم وأعمالهم خلق الله، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، ومن كذّب بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سيّدنا ونبيّنا وعظيمنا وقائدنا وقرّة أعيننا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمّداً، عبده ورسوله، ووصيه وحييه وخليئه، من أرسله الله رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككلّ الأنبياء والمرسلين، هادياً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه قمرًا وهاجًا وسراجًا منيرًا، فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعلم وأرشد ونصح وهدى إلى طريق الحقّ والجنّة، صلى الله عليه وعلى كلّ رسولٍ أرسله، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرّات، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريديّة وكلّ الأمة الإسلاميّة، والحمد لله رب العالمين.

نسب المؤلف إلى رسول الله ﷺ

هو السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ الدكتور عماد الدين أبو محمد جميل^(١) بن محمد الأشعري الشافعي الحسيني الرفاعي القادري رئيس جمعية المشايخ الصوفية وهو ابن السيد محمد بن السيد عبد الحلیم بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد قاسم بن السيد عبد الكريم ابن السيد عبد القادر بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد ياسين بن السيد إسماعيل بن السيد حسين بن السيد محمد ابن السيد إبراهيم بن السيد عمر بن السيد حسن بن السيد حسين بن السيد بلال بن السيد هارون بن السيد علي بن السيد علي أبي شجاع بن السيد عيسى بن السيد محمد بن أبي طالب بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد الحسن أبي محمد بن السيد عيسى الرومي بن السيد محمد الأزرق بن السيد أبي الحسن الأكبر عيسى النقيب بن السيد محمد ابن السيد علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد علي زين العابدين بن الإمام السبط السعيد الشهيد الحسين ابن السيدة الجليلة الزكية الطاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وابنة رسول رب العالمين خاتم النبيين والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين^(٢).

(١) أولاده السيد محمد والسيد عبد الرحمن والسيد زكريا والسيد يوسف والسيدة نور الهدى والسيدة هاجر.

(٢) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مَرِيَّةٍ مضبوطٌ في كتاب جامع الدرر البهية بأنسَاب القرشيين في البلاد الشامية، جمع الدكتور الشريف كمال الخوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية (ص ٣٣٢-٣٣٣) تاريخ ٢٠٠٦ ر - ١٤٢٧ هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة (ص ١) ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٠ م، وفي كتاب الحقائق الجليلة في نسب السادة العريضية ص ٤٣٣-٤٣٤ كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

نبذة عن حياة المؤلف بقلم الناشر

هو السيد الشريف الشيخ الدكتور عماد الدين جميل حلیم، الحسيني نسباً، الأشعري عقيدة، الشافعي مذهباً، الرفاعي القادري طريقة، خادم الآثار النبوية الشريفة. وله مئات الإجازات من بلاد عربية وإسلامية عديدة ومنها: هزر ولبنان وسوريا والعراق ومكة المكرمة والمدينة المنورة واليمن والمغرب ومصر والسودان والجزائر وتونس والهند وباكستان وبنغلادش وتركيا وأندونيسيا وماليزيا وأثيوبيا بمختلف الفنون والعلوم الإسلامية ومنها القراءة وعلومه وتفسيره والحديث النبوي الشريف وعلومه وشروحه والعقيدة الإسلامية وفقه المذاهب الإسلامية المعتمدة والسيرة النبوية واللغة العربية وعلومها. مجاز بالطرق الصوفية الصحيحة كلها إجازة عامة مطلقة والمشابكة التي أخذها الإمام الرواس من الخضر عليه السلام.

هو رئيس جمعية المشايخ الصوفية في لبنان. مارس الخطابة في عدد من المساجد لمدة تفوق ربع قرن، وهو يشغل مناصب مختلفة في عدد من الجمعيات في مختلف الدول العربية ومنها:

- جمعية السادة الأشراف في لبنان.
- جمعية مشيخة الصوفية في مصر.
- نقابة السادة الأشراف في العراق.
- نقابة الأشراف في بيت المقدس.
- الأمانة العامة لأنساب السادة الهاشميين.
- الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب.

شارك وحاضر في عدد كبير من المؤتمرات في مختلف بقاع الأرض وله مقالات ومقابلات نُشرت في صحف ومجلات عربية ولبنانية وله العديد من المؤلفات^(١).

(١) انظر مؤلفات الشيخ الدكتور جميل حلیم ءآخر الكتاب (من ءاثار المؤلف).

نَجْمُ الدَّلَائِقِ الْاَكْبَرِ انْ فِي التَّبِيكِ اَبْتَارِ الْمُصْطَفَى اَلْمَجْتَبَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ



خطبة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي صَدَحَتْ بِالشَّيْءِ عَلَيْهِ ألسُنُ العَابِدِينَ والعَارِفِينَ، وَاسْتَمَطَّرَتْ سَحَابَاتِ الأَمْدَادِ بِأَسْرَارِ تَحْمِيدِهِ وَأَنْوَارِ تَمْجِيدِهِ ابْتِهَالَاتُ الذَّاكِرِينَ وَدَمُوعُ الْخَاشِعِينَ، فَلَبِسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ صَفَاءِ الْيَقِينِ حُلَلًا، وَمِنْ التَّقْوَى تَفَاصِيلَ وَجُمَلًا، فَهَمَّ الْهَدَاةُ الْمُهْتَدُونَ عَلَى سُنَنِ الْأَمِينِ وَقَدَمِ التَّمَكِينِ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانَ عَلَى طِبِّ الْقُلُوبِ وَدَوَائِهَا، وَعَافِيَةِ الْأَبْدَانِ وَشَفَائِهَا، وَنُورِ الْأَبْصَارِ وَضِيَائِهَا، النَّبِيِّ الْمِصْطَفَى وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، صَاحِبِ الْكِرَامَةِ وَالتَّكْرِيمِ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّعْظِيمِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي مَدَحَهُ رَبُّهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾.

أَمَّا بَعْدُ،

فَلِلَّهِ دُرٌّ مُقَلَّ هَمِّي مِنْ عَبْرَاتِ أَشْوَاقِهَا مَا كَانَ مَدَدًا وَمِدَادًا لِرَاعَةِ الْعَرَامِ، فَتَنَظَّمَتْ بِحَيْنِ الدَّمُوعِ مِنْ هَفَّةِ الْوَجْدَانِ غُرًّا مِنْ مَعَانِي الْهَوَى وَحُرْقِ الْجَوَى مَا اسْتَبَدَّ بِمُهَجِّ طَارٍ بِقُلُوبِهَا بُرَاقُ الْأَشْوَاقِ، يَحْدُوهَا مِنْ شَجَى الْبَيْنِ وَالْفِرَاقِ وَجَدُّ لَوَى أَعْنَاقٍ نِيَاقِ الْهَوَى إِلَى حَصْبَاءِ كَاظِمَةٍ، وَنَخْلٍ سَلْعِ، وَأَكْمِ اللَّوَى، وَيَتَلَوُّهُ فِي سَفَرِ الْوِصَالِ بَرَقٌ مِنَ الشُّوقِ شَقَّ ظِلْمَاءَ فَيَافِي الْبِعَادِ، يَنْشُدُ أَرْضَ رَامَةٍ، وَبَدْرَ تَهَامَةٍ، يُشَجِّهِهِ تَسْجَاعُ حَمَائِمِ إِضْمِ، فَيَشْدُو حُدَاةَ الْأَشْوَاقِ أَنْغَامَ النَّوَى عَلَى أَرْضِ بَدِي سَلَمِ، حَيْثُ عِطْرُ الشَّيْبَاتِ، وَرِيحَانُ قُبَاءِ مُحَرِّكُهُ نَسَائِمِ الرُّوضَةِ الْفِيحَاءِ، وَتَبِئْتُهُ نَوَافِحُ الْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ مِنْ تَلْقَاءِ حِجْرَةِ الْأَسْرَارِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

فَلَا تَسَلْ: أَذَاكَ سَيْلٌ فَاضٍ مِنْ وَادِي الْعَقِيقِ أَمْ عَقِيقُ دَمُوعِ الْعَاشِقِينَ جَرَى؟!
فَاقْرَأْ مِنَ الدَّمْعِ سَطْرًا نَابَ عَنْ كُتُبِ حَوَى مِنَ الشُّوقِ مَا لَمْ تَحْوِهِ الْكُتُبُ

بلى، جرى أسطرا سطرُن سِفْرًا، بل نظمن عقدا نفيسًا، بل رَقَمْنَ وَوَشَّيْنَ

بُرْدًا عَزِيزًا لَعَلَّ الْعَيْنَ لَا تَظْفِرُ بِمِثْلِهِ وَلَا عِدْلَهُ!

سَفَرٌ طَلَعَ بَدْرًا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْحُبِّ الْمُحْمَدِيِّ، وَمَعَالِي السَّيْرَةِ الْمُحْمَدِيَّةِ؛ سَفَرٌ سَفَرَتْ مِنْ آفَاقِ أَبْوَابِهِ وَفُصُولِهِ شَمْسُ الْبِرَاهِينِ السَّاطِعَةِ عَلَى جَوَازِ التَّبَرُّكِ بِالْآثَارِ الْمُحْمَدِيَّةِ، فَلَا يَجِبُ سِنَاهَا نِقَابُ مُرْتَابٍ وَلَا حِجَابُ عِيَابٍ؛ سَفَرٌ وَرَدَتْ حَيَاضُهُ ظِلْمًا مُهْجِ فَعَادَتْ مِنْ عَيُونِ الْغَرَامِ الْمُحْمَدِيِّ رِيًّا، وَامْتَطَّتْ صَهْوَةً دَلَائِلُهُ الْأَلْبَابُ، فَطَاوَلَتْ بَعْلَاهَا مِنْكَبَ الثُّرَيَّا؛ سَفَرٌ أَوْلَهُ نُورٌ، وَعَآخِرُهُ نُورٌ، كَيْفَ لَا وَمِلْءُ حُرُوفِهِ فَيَاضٌ زَخَّارٌ بِحُبِّ الرَّسُولِ، وَمَدْحِ الرَّسُولِ، وَتَعْظِيمِ الرَّسُولِ، وَالتَّمَسُّكِ بِسُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ!؟

سَفَرٌ مَا وَقَعَتِ الْعَيْنُ عَلَى مَبْتَدِئِهِ إِلَّا خَالَفَهَا الرُّقَادُ وَحَالَفَهَا السُّهَادُ، سُهَادُ الشَّغْفِ، حَتَّى تَدْرِكَ مَخْتَمَهُ، وَلِسَانُ حَالِهَا قَائِلٌ: **[من الخفيف]**

إِنَّ مِنْ رَامٍ لِلْكَوَاكِبِ عَدَاً يتساوى ابتداءؤه وانتهاءؤه

فَسِرْ يَا أَخَا الْأَشْوَاقِ، وَأَسِرْ بِلِ جِدِّ السَّرِيِّ، وَاسْتَنْطِقْنِ سَاهِرَاتِ الْمُقْلِ وَهَائِمَاتِ الْمَآقِي تُجِبُّكَ: **[من الوافر]**

أَتَيْتُكَ رَاجِلًا وَوَدِدْتُ أَنِّي رَكِبْتُ سَوَادَ عَيْنِي أَمْتِطِيهِ
وَمَا لِي لَا أَسِيرُ عَلَى الْمَآقِي إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ فِيهِ!!



تمهيد وعرض للمقدمات

وبعدُ،

فإنه لمن عظيم المنن وسوابغ النعم أن يكون للمرء حظٌّ في خدمة الشريعة المحمدية، والتأليف فيها، ولا سيما ما كان في إيضاح الحقائق، وتنقية الموارد من الشوائب، ونصرة الحق، ونصب الأدلة عليه، ودحض الباطل وشبهاته، وكشف تمويهاته وتُرّهاته.

وإننا لنحمدُ الله - سبحانه - أن يسّر لنا إتمام هذا السّفرِ المبارك بإذن الله، الذي يدل عنوانه على مضمونه ومحتواه، فقد جاء سِفْرًا جامعًا لكل ما يتصل بمسألة إثبات مشروعية التبرك برسول الله ﷺ وبآثاره الشريفة، من أدلة وبراهين، وحجج دامغاتٍ واضحاتٍ مشرقاتٍ بنور البيان الفصل دونما لبسٍ أو نقص. وقد تمّ لنا - بعون الله وفضله ومَنّه - نظمُ فرائدِ هذا العقد النفيس من دلائلٍ وءاثار، وشواهدٍ وأخبارٍ في مقدماتٍ أربع، تليها أبوابٌ أربعة، تلوح دَرَارِيها في آفاقِ فصولٍ ضَمِنَ كُلُّ بابٍ من تلكم الأبواب اللؤلؤية، كيف لا وقد ضَمَّت صحائفها أخبارَ مَنْ يشدو فؤادُ المشوق إليه على فَنَنِ الهيام إذ يُنشد:

[من الخبب]

تزداد بلاغًا إن سَجَعَتْ ببدیع محاسنك الخُطْبُ
وتودُّ فخارًا لو نُظِمَتْ في وصف محاسنك الشُّهُبُ

هذا، وقد تضمن الباب الرابع فصلين نفيسين، أمّا الأول فقد اشتمل على ذكر عدد جَمٍّ من حوادث حصلت في هذا العصر لجمهرة من الناس، رجالا ونساءً، وشيبا وشبابا وأطفالا، ممن لمسوا عيانا فيضا من بركات النبي ﷺ، وأسرار التبرك بآثاره الشريفة، فسجلنا ما حصل معهم، ووثقناه، فجاء هذا

الفصل سَجَلَّ شهادات ومشاهدات لا زال أصحابها أحياءً حتى لحظة كتابة هذه الأسطر.

وأما الثاني فقد حوى صورًا كثيرة لعدد من أثار النبي ﷺ، التي كان الظفر بها ثمرة جهود مضيئة، وسفرٍ وترحالٍ في طول بلاد الإسلام وعرضها، من مدينة إلى أخرى، ومن قرية إلى أخرى، ومن دارٍ لبعض الأشراف من أهل البيت إلى أخرى، حيث تلك الآثار محفوظة، وموثقة النسبة بالسند المشهور.

وقد جرى - بفضل الله وكرمه - الخير العظيم، والنفع الظاهر، والبركات الباهرة بالصور وحدها؛ إذ تبرك بها بعض أحبابنا، وأمرها على داءٍ عضال كان قد أصاب ذراعه، فشفي منه بإذن الله تعالى.

وفاحت من ثنايا الكتاب، وهو بعدُ في السَّحْبِ الأول، روائحُ الطَّيِّبِ، ونفحاتُ المسك والغوالي، وهذا لا شك غيض من فيض!!

وإني إذ أتشرفُ بالتقديم لهذا السَّفرِ الجليل، والتحفة النادرة، والدررة الفاخرة، لأجدني أمام هذا البحر الخِصْمِّ من الدلائل والأنوار، والمفاخر والأسرار واقفًا عند حدِّ الهيبة المحمدية مِنْ نُقْطَةِ عِلْمِ السُّنَّةِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ حِكْمِ الأئمة، وقد أبى قلم الحمدِ إلا الاعتراف بالجميل للجميل، وإلا تسطير العرفان وتسويد عبائر الثناء للسيد الشريف فضيلة الشيخ أبي الفضل عماد الدين جميل حلیم الحسيني الرفاعي رئيس جمعية المشايخ الصوفية، على همته العظيمة الجليلة في خدمة الآثار النبوية المباركة، وتتبعها، وتنسّم أخبارها، ورصد مواقعها، وإرخاص الغالي وبذل النفيس في سبيل ذلك، وحرصه الظاهر على نفع المسلمين بأسرارها وبركاتهما، فكان له ما أراد، وتَمَّ له ما قَصَد، فاستخرج لآلئ الدلائل من أصدافها، وقطف رياحين المنى من رياضها، فظفر بحبات القلوب، فانقادت إليه - حاسرة - من سويدائها، حتى اكتمل عقد الوصال في صحائف هذا السفر الأغرِّ، فلله دَرُّهُ، وجزاه الله عنا وعن الأمة خير الجزاء.



ولا يَسَعُ المرءُ منا وهو يلقي عصا الترحال في نهاية هذا التمهيد إلا أن يسأل الله عز وجل أن يجعل هذا السفر الجليل سبباً في حسن الختام، وتثقيل كفة الميزان، ونيل البركات والفيوضات والأمداد من سيد ولد آدم أجمعين، سيدي وحببي رسول الله محمد، طه الأمين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وذا هَزَارُ الوَجْدِ يصدح: يا رسول الله: [من الرمل]

قَلْتُ مَا قَلْتُ وَلَوْلَا فَيضُكُمْ مَدَّنِي فِي مدحكُم مَا قَلْتُ شَيْ

تَشَرَّفَ بتقديمه وكتابة حُطْبَتِهِ وتمهيدِهِ
المستشار الإعلامي للاتحاد العربي للشباب والبيئة
في جامعة الدول العربية - مكتب الجمهورية اللبنانية
الأستاذ المحاضر في كلية الآداب والعلوم الإنسانية
في الجامعة العالمية
الدكتور وافي صلاح الدين حاج ماجد



رياض الأبرار في رحاب (بحر الدلائل والأسرار)

نظم فضيلة الشيخ الأديب أسامة السيد [من البسيط]

قُم مَتَّعِ الطَّرْفَ وانزِلْ رَوْضَ واديها
واستشرفِ النورِ منِ مشكاتها أبداً
هَلَّتْ على القلبِ ءاثاراً مؤثِّرةً
فَرُوْعَةُ الحَبِّ يَسْرِي عَذْبُهَا عَدَقًا
تلكَ اللِّذَازَةُ من أسرارها بَرَزَتْ
ءاثارها البيضُ كم أثرت مرابعنا
فاهتَزَّتِ الأرضُ نَشْوَى وهي مُثْقَلَةٌ
لألاءةً في جبينِ الدهرِ ساطعةً
وسائلِ الدهرِ عنها من فضائلها
فصورةُ النعلِ تاجُ فاقَ منزلةً
فكيف بالشعرةِ الغرَّاءِ باديةً
سَلَّ خالداً عن فتوحِ في الألى ظهرت
وشعرةُ المصطفى في حِينا شَرَفٌ
وارشُفُ من الشَّهْدِ من سَلَسَالِ ساقِها
من سرِّ أحمدَ فَاحَ الطيبِ حاكِها
تحكي الغمامةَ والأسرارُ في فيها^(١)
نِيلَ الرِّوَاءِ^(٢) فَرَاتًا من سواقِها
وهالةُ الشمسِ تسري في مآقيها
مُذْ أمطرَ النورُ أنسًا في بواديها
من جُودِ أحمدَ لما عمَّ ناديها
أين الكواكبُ من أدنى معاليها
تَلَقَّ الإجابةَ في أبهى معانيها
كَلَّ اللالِيَّ حدثُ عن مراقِها
والبدرُ في غُرةِ الآفاقِ تاليها
عن شَعْرِ أحمدَ بادٍ في عواليها
تُبري العليلَ بإذنِ الله باريها

(١) فيها: فمها.

(٢) الرِّوَاءِ: الارتواء.

هَلَّا سَأَلْتَ أَنَا سَا بَارحُوا عِلًّا
أما القميصُ فَحَدَّثَ لَيْسَ مِنْ حَرَجٍ
حَدَّثَ عَنِ السيفِ عَنِ بُرْدٍ وَعَنْ شَعْرٍ
وَالثَّمَّ عَصَاهُ فَإِنَّ اللَّثْمَ مَقْتَبَسٌ
وَاحضُنْ شَبِيكَةَ خَيْرِ الخَلْقِ مَبْتَهَجًا
فَالخَيْرُ يَكُلُوهَا، وَالْبِرُّ يَشْهَدُهَا،
يَا ابْنَ الحَلِيمِ لَقَدْ أُوتِيَتْ مَنَقَبَةٌ
أَضَحَتْ (أَبَا الفَضْلِ) فِي مَغْنَاكُمُ قِمَمٌ
جَعَلَتْهَا سَبَبًا، وَشَيْتَهَا (٢) لُهْبًا
أَنْتَ الجَمِيلُ، وَأَرْجُو أَنْ تَنَالَ بِهَا
إِثْرَ الغُسَالَةِ عُلَّتْ (١) مِنْ أَوَانِيهَا
خِيوطُ نُورٍ وَبَشْرَى فِي حَوَاشِيهَا
عَنْ طَلَّةِ المَجْدِ فِي أَجَلِي مَرَامِيهَا
مَعْنَى التَّبَرُّكِ مِنْ أَثَارِ حَاوِيهَا
تَلَقَّ السَعَادَةَ مِنْ أَغْلَى غَوَالِيهَا
وَالطُّهْرُ يَزْهَوُ سُرُورًا فِي نَوَاحِيهَا
مِنْ نَسْلِ أَحْمَدَ سَامٍ فِي مَبَانِيهَا
أَعْلَامُ مَجْدٍ عَلَى العُلِيَاءِ بَانِيهَا
مِنْ جَمْرِ عَشْقِكَ، ذَاكَ فِي نَوَاحِيهَا
مِنْ جَنَّةِ الخُلْدِ، فِي أَسْنَى رَوَابِيهَا



(١) عُلَّتْ: شَرِبْتُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

(٢) الوشي: التطريز.

من البشائر العظيمة

- ١- من البشائر التي حصلت لهذا الكتاب العظيم أن امرأة من أهالي محلة برج أبي حيدر في بيروت من آل اللاذقي رأت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام حاملا لهذا الكتاب والنور يخرج منه - أي من الكتاب - .
- ٢- ومن البشائر العظيمة أن الشيخ عبد الرزاق الشريف أحد مشايخ بيروت الأفاضل كان يقرأ فيه في بيته في الليل وأهله نيام فخرجت رائحة طيب جميلة جداً ملأت البيت كله فقام الشيخ عبد الرزاق وصار يبحث في الغرف من الذي وضع هذا العطر القوي الآن ظناً منه أن أهله أو أولاده فوجدهم نائمين. ثم انتبه أن هذا من بركات وأسرار هذا الكتاب.
- ٣- ومن البشائر العجيبة والعظيمة ما أخبر عنه الحاج محمد سنو من أبناء بيروت قال كنت مريضاً مدة سنة ونصف ويدي مشلولة فنظرت في هذا الكتاب وصرت أتبرك به وأمسح بيدي على صور الآثار التي فيه فشفيت وعادت يدي تعمل كما كانت ببركة آثار رسول الله هو حكى ذلك للحاج فؤاد صدقة.
- ٤- كذلك من البشائر العظيمة أن امرأة من أهالي بيروت رأت في المنام سيدنا حمزة عم رسول الله عند قبر الرسول يحمل نسخة من هذا الكتاب ويرسلها هدايا لبعض الناس.
- ٥- ومن البشائر أن الحاج سمير الكعكي من أبناء بيروت كان مع زوجته وأختها يقرؤون في هذا الكتاب ويتصفحون الصور التي فيه فصارت تخرج رائحة طيبة زكية بشكل ظاهر من الكتاب وهم يشمونها من أوراق الكتاب. ومثل



ذلك حصل مع الحاجة أم بكري القطاع.

٦- ومن البشائر أيضاً أن الشيخ جمال صقر من مشايخ بيروت كان يقرأ فيه ليلاً بهمة ونشاط وتأثر ولما أنهى القراءة ونام رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وقال الشيخ جمال اعتقادي أنني رأيت هذه الرؤية ببركة قراءتي لهذا الكتاب.

٧- ومن ذلك من أخبر عنه السيد أحمد الجاسم من أهالي مدينة دير الزور السورية أنه أعطى هذا الكتاب لامرأة فصارت تقرأ فيه كل الليل وتقلبه بشغف فلما نامت أكرمها الله برؤية حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم.



المقدمة الأولى

في ما رصّعته آيات القرآن الكريم في عظيم فضائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

جاء في القرآن الكريم ذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من الآيات، والسور: كسورة الأنفال، والتوبة، والإسراء، والأحزاب، وسورة محمد، والفتح، والحجرات، والنجم، والقلم، والضحى، والشرح، والكوثر، وغيرها.

ونجتزئ هنا بشرح ما جاء في سورة الشرح من امتنان الله تعالى على رسوله برفع ذكره وبيان عظيم فضله، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ① **وَوَضَعْنَا عَنكَ** ② **وِزْرَكَ** ③ **أَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ** ④ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ⑤ 》 .

① فرفع الله تعالى ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وعظم شأنه وشرف اسمه في القرآن الكريم الذي يتلوه كل مؤمن ومؤمنة إلى قيام الساعة، وفي غيره من شعائر الإسلام، وكفى بذلك فخراً وشرفاً وذكرًا حسنًا في الأولين والآخرين.

② ورفع الله تعالى ذكره صلى الله عليه وسلم بالشهادة له بالرسالة مقرونة بالشهادة لله بالوحدانية في كل أذان يسمع في ليل ونهار على المنائر وغيرها في جميع أقطار الإسلام، وفي تشهد كل صلاة مكتوبة أو مسنونة.

③ وبأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه أمرًا مطلقًا غير مقيد بحال وحين بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ⑥ 》 (سورة الأحزاب).

④ وبثناء الله تعالى عليه ومدحه بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ⑦ 》 (سورة القلم).

⑤ وبحفظه من الناس بقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ⑧ 》 (سورة المائدة).

(٦) وبمحببة الله تعالى وهباته العظيمة له بقوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) ﴾ (سورة الضحى) وبقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) ﴾ (سورة الكوثر).

(٧) ويجعل طاعته طاعة لله وقرنها بها بقوله تعالى: ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (٨٠) ﴾، (سورة النساء)، وقوله: ﴿ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ (سورة الأحزاب).

(٨) وبوجوب التسليم له والرضا بحكمه ونفي الإيمان عمن يخالف ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ (سورة النساء).

(٩) وبقبول استغفاره للمذنبين لجأه عند ربه بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) ﴾ (سورة النساء).

(١٠) وبوجوب الخضوع لقضائه وتحريم عصيانه بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا (٣٦) ﴾ (سورة الأحزاب).

(١١) وبتفضيله على جميع الأنبياء وأخذ الميثاق عليهم وبالطبيعة على أمهم بالإيمان به وتصديقه ونصرته بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ (سورة آل عمران). وهذه الآية قد عقد الله له لواء الإمامة لجميع الرسل قبل وجوده في عالم الأكوان فهو قائد الأنبياء وسيد ولد آدم أجمعين.

(١٢) وبتفضيله وتفضيل أمته لأجله على سائر الأمم بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (سورة البقرة) ١٤٣

(١٣) وبتعظيم دينه الذي بُعث به الذي هو دين سائر الأنبياء وأنه تعالى لا يقبل من عباده سواه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ ﴾ (سورة آل عمران)، وبقوله: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران)، وهو في قوله عليه الصلاة والسلام: «الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى» أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود.

(١٤) وبارضاء الله له بتشريع ما يحبه من الصلاة إلى الكعبة بدل بيت المقدس بقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ ﴾ (سورة البقرة) ١٤٤

(١٥) وبختم النبيين به بقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ ﴾ (سورة الأحزاب) ٤٠

(١٦) وبأنه أرف بالمؤمنين وأنفع لهم من أنفسهم وأن أزواجه أمهات المؤمنين في التوقير والتعظيم والحرمة بقوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ ﴾ (سورة الأحزاب) ٦

(١٧) وبتحريم فعل ما يتأذى به ومنه تحريم التزوج بمن يموت عنهن من الأزواج بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا

أَرْوَجَهُ، مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (سورة الأحزاب).
 (١٨) وبوجوب توقيره وتعظيمه، والأدب في مخاطبته وندائه، وفي كل شأنه، وإيثار أمره على ما عداه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴿٩﴾﴾ (سورة الفتح)، قال ابن عباس^(١): «تعزروه: تجلوه»، وقال المبرد: «تعزروه تبالغوا في تعظيمه». وبقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ (سورة الحجرات).

قال أبو محمد مكي: أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه - أي في وجهه - نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يجب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقول الله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴿٦٣﴾﴾ (سورة النور).

(١٩) وبتعظيم شأنه بقوله تعالى مخاطبًا لنسائه: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَدَقًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنَآ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴿٣٢﴾﴾ (سورة الأحزاب) وشر فهن مستمد من شرفه ﷺ، وبالتفويض إليه في أمرهن بقوله تعالى: ﴿تُرْجَىٰ مِنْ تَشَاءِ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّٰ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءِ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَانَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ ﴿٥١﴾﴾ (سورة الأحزاب)، وقوله تعالى مخاطبًا زوجته: ﴿إِنْ نُوَبِّأُ إِلَى اللَّهِ فَفَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمُ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ

(١) تفسير ابن جرير الطبري جامع البيان (٧٤/٢٦).

﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسَلِّمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قُنَّاتٍ تَيَبَّتْ عِدَّتِ سَحَّحَتْ ثِيَبَتْ وَأَبْكَرًا ﴿٥﴾ (سورة التحريم).

﴿٢٠﴾ وبالإنعام عليه بالفتح المبين بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ (سورة الفتح)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴿١٠﴾﴾ (سورة الفتح)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ (سورة الفتح).

﴿٢١﴾ وياكram الله تعالى له ولأمته من أجله بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴿٣٣﴾﴾ (سورة الأنفال).

﴿٢٢﴾ وباراءته آياته الكبرى وإكرامه في ليلة الإسراء والمعراج وهما من أظهر معجزاته ﷺ بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَيْنِنَا ﴿١﴾﴾ (سورة الإسراء)، وقوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ (سورة النجم).

﴿٢٣﴾ وبوجوب استجابة دعوته إذ فيها خلود السعادة للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٢٤﴾﴾ (سورة الأنفال).

إلى غير ذلك مما جاء في القرءان العظيم ناطقًا بفضله، مبيِّنًا عظيم قدره ورفعة شأنه ﷺ. فما أعظم قدره وأجل منزلته؛ وما أكرمه على ربه في الدنيا والآخرة! وما أعظم القرءان المجيد الذي بعثه الله به رحمة للعالمين! وما أعظم أمة التي استجابت لدعوته، وءامنت برسالته، وعملت بشريعته! ولذلك خصت بخصائص لم تنلها الأمم السابقة، فالحمد لله على هذه النعم التي لا تحصى، والشكر له إذ هدانا للإسلام وجعلنا من أمة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.



المقدمة الثانية

في الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ

الفصل الأول

في حكم الصلاة والسلام عليه ﷺ

جاء في الشفا للقاضي عياض المالكي^(١) : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب)، قال ابن عباس، «معناه أن الله وملائكته يباركون على

(١) الشفا (ج ٢/ ٦٠-٦١).

(٢) في هذه الآية القراءانية بيان لرفعة شأن النبي ﷺ، فهو أفضل خلق الله، وأحبُّ الخلق إلى الله. ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (٥١) والصلاة من الله الرحمة والمغفرة، ليس معناه أن الله تعالى يصلي كالبشر، حاشا وكلاً، الله تعالى هو وحده الذي يستحق نهاية التذلل، والله تعالى ليس جسماً ولا يوصف بصفات الجسم. فالصلاة من الله الرحمة والمغفرة، ومن الملائكة عليهم السلام الاستغفار، ثم أمر المسلمين بالصلاة عليه فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥١).

رؤي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عُجرة أنه قال: «قلنا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد».

وأما قوله تعالى: ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥١) أي قولوا اللهم سلم على محمد. فمعنى اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد اللهم زد محمدًا شرفاً وتعظيماً، وسلمه مما يخافه على أمته.

وروى الحافظ السخاوي وغيره أن النبي ﷺ قال: «من صلى عليَّ عصر يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاماً». والصيغة هي: اللهم صل على محمد عبدك ونبيك النبي الأمي وعلى آله وسلم.

ثم إنه يشترط في حصول ثواب الصلاة على النبي تصحيح حرف الصاد مميزة عن السين، فمن لا يميز بينهما في النطق لا ينال ثواب الصلاة على النبي، كذلك يشترط عدم زيادة الياء في كلمة صلِّ كما يزيد بعض الناس أي هكذا «صلي»؛ لأنه بزيادة حرف الياء يصير خطأً للمؤنث، أنت تقول لزوجتك صلي أو لابتك صلي، أما إذا أردت أن تصلي على النبي محمد ﷺ فتقول: اللهم صلِّ على سيدنا محمد =

النبي»، ثم قال عياضٌ بعد كلام: وقال أبو بكر القشيري: الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي ﷺ رحمة، وللنبي ﷺ تشريف وزيادة تكريمة، وقال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء.

ثم قال: وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده، فقال القاضي أبو بكر بن بكير: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ، فأمر الله أصحاب النبي ﷺ أن يسلموا عليه، وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي ﷺ عند حضورهم قبره، وعند ذكره استحباباً. وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه:

أحدها: السلامة لك ومعك، ويكون السلام مصدرًا كاللذاذ واللذادة.

الثاني: أي السلام على حفظك ورعايتك متولٍ له وكفيل به، ويكون هنا السلام اسم الله.

الثالث: أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد، كما قال: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء).



= فالعناية بحفظ مخارج الحروف أمر مهم، فقد رأى سيدنا عمر رضي الله عنه رجلين يرميان الهدف، فأصاب أحدهما وأخطأ الآخر، فقال الذي أخطأ للذي أصاب: «أَسْبَتَ» (بالسين)، فقال سيدنا عمر: «خطوك في كلامك أشد من خطئك في الرماية»، لأن الرجل قال «أَسْبَتَ» بالسين بدل أن يقول «أَصْبَتَ» (بالصاد)، فإذا كان سيدنا عمر استقبح هذا الغلط في أمر الرماية بين اثنين، فكيف الغلط في ذكر الله؟

الفصل الثاني

في فضيلة الصلاة والسلام عليه ﷺ

روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أنه قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعباد الله أرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»^(١).

وروى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات» وفي رواية «وكتب له عشر حسنات»^(٢).

وعن أنس عنه ﷺ: «أن جبريل ناداني فقال: من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشراً، ورفع له عشر درجات»^(٣).

ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه ﷺ: «لقيت جبريل فقال لي: إني أبشرك أن الله تعالى يقول: من سلم عليك سلمت عليه، ومن صلى عليك صليت عليه»^(٤). ونحوه من رواية أبي هريرة، ومالك بن أوس بن الحدثان، وعبيد الله ابن أبي طلحة.

وقد أورد القاضي عياض في الشفا^(٥) ذلك كله وزاد عليه، فمن ذلك: عن

(١) رواه مسلم.

(٢) ذكره البيهقي في شعب الإيثار.

(٣) رواه ابن أبي شيبه في مسنده.

(٤) رواها الحاكم والبيهقي وصححها.

(٥) الشفا (ج ٢/ ٧٤ - ٧٩).

زيد بن الحباب، سمعت النبي ﷺ يقول: «من قال اللهم صلّ على محمد، وأنزله المنزل المقرب عندك^(١) يوم القيامة، وجبت له شفاعتي».

وعن ابن مسعود: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم صلاة علي».

وعن أبي هريرة عنه ﷺ: «من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب»^(٢).

وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي ﷺ يقول: «من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي، فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر».

وعن أبي بن كعب^(٣)، كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربيع الليل قام، فقال: «يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه» فقال أبي بن كعب: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت» قال: الربع؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير» قال: الثلث؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير»، قال: النصف؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير»، قال: الثلثين؟ قال: «ما شئت وإن زدت فهو خير» قال: يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك، قال: «إذا تكفي ويغفر ذنبك».

وعن أبي طلحة: دخلت على النبي ﷺ، فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره قط، فسألته فقال: «وما يمنعني وقد خرج جبريل ءانفاً، فأتاني ببشارة من ربي عز وجل: إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك إلا صلى الله عليه وملائكته بها عشرًا».

وعن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللهم

(١) أي في المكان المشرف عندك لأن الله موجود بلا مكان..

(٢) قال الطبراني في الأوسط: رواه أبو الشيخ في الثواب والمستغفري، وقال العراقي في تحريج أحاديث الأحياء: روه بسند فيه ضعف، ومثله يعمل به في فضائل الأعمال.

(٣) في حديث رواه الترمذي وحسنه (٦٣٦/٤) وعنده إذا ذهب ثلثا الليل.

رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة».

وعن سعد بن أبي وقاص: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولًا وبالإسلام دينًا غفر له».

وروى ابن وهب أن النبي ﷺ قال: «من سلم علي عشرًا فكأنها أعتق رقبة».

وفي بعض الآثار «ليردن علي أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم علي».

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «الصلاة على النبي ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب» نقلًا عن كتاب الشفا.

عن زيد بن سهل الأنصاري قال: دخلت على النبي ﷺ وأسأريرو وجهه تبرق، فقلت: ما رأيتك بأطيب نفسًا ولا أظهر بشرًا من يومك. قال: «وما لي لا تطيب نفسي ويظهر بشري؟ أتاني آت من عند^(١) ربي عز وجل فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة^(٢) كتب الله له^(٣) بها عشر حسنات^(٤)، ومحام عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وردَّ عليه مثلها» رواه أحمد.

قال سفيان الثوري رضي الله عنه: «رأيت رجلًا في البادية لا يرفع قدمًا ولا يضع أخرى إلا وهو يصلي على النبي ﷺ. فقلت: يا هذا قد تركت التسييح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي ﷺ، فهل عندك من هذا شيء؟ قال: من أنت؟ قلت: أنا سفيان الثوري، فقال: لولا أنت غريب في أهل زمانك ما كشفت

(١) ليس فيه نسبة المكان إلى الله ومعناه من المكان المشرف عند ربي كما قال الله في القرآن إخبارًا عن السيدة آسيا بنت مزاحم رب وابن لي عندك بيتًا في الجنة» أي في المكان المشرف عندك فالله لا يحتاج للمكان سبحانه.

(٢) أي طلب لك من الله دوام التشريف ومزيد التعظيم.

(٣) أي في صحيفته، بإضافة الكتابة للذات المقدس للتشريف إذ الكاتب الملائكة.

(٤) أي ثوابها مضاعفًا إلى سبعائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

عن حالي ولا أطلعتك على سري، ثم قال: خرجت أنا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام، حتى كنا في بعض المنازل مرض والدي، فقممت لأعجله، فبينما أنا عند رأسه مات واسود وجهه، فجرّيت الإزار على وجهه، فغلبتني عيناى، فنمت، فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجهًا، ولا أنظف منه ثوبًا، ولا أطيّب منه ريحًا، يرفع قدمًا ويضع قدمًا أخرى، حتى دنا من والدي، فكشف الثوب عن وجهه، وأمر بيده على وجهه فعاد وجهه أبيض، ثم ولى راجعًا، فتعلّقت بثوبه، فقلت له: من أنت يرحمك الله، لقد منّ الله بك على والدي في دار الغربة؟ فقال: أو ما تعرفني؟ أنا محمد بن عبد الله، أنا صاحب القرآن، أما إن والدك كان مسرفًا على نفسه (أي يقع في المعاصي)، ولكن كان يُكثر الصلاة عليّ، فلما نزل به ما نزل استغاث بي، فأنا غياث من أكثر الصلاة عليّ، قال: فانتبعت من نومي، فكشفت عن وجه أبي فإذا وجهه أبيض».



الفصل الثالث

فِي ذِمِّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصَلِّ عَلَيَّ»^(١).

وعن علي بن أبي طالب عنه ﷺ أنه قال: «البخيل الذي ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصَلِّ عَلَيَّ»^(٢).

وفيه أيضًا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْبَخِيلَ كُلَّ الْبَخِيلِ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصَلِّ عَلَيَّ»^(٣).

وفيه أيضًا: عن قتادة عنه ﷺ: «مَنْ الْجَفَاءُ أَنْ أذْكَرَ عِنْدَ الرَّجُلِ فَلَا يَصِلِي عَلَيَّ»^(٤).

وفيه: عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «لَا يَجْلِسُ قَوْمٌ مَجْلَسًا لَا يَصِلُونَ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لَمَّا يَرُونَ مَنْ الشَّوَابِ»^{(٥)(٦)}، وحكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم قال: إذا صلى الرجل على النبي ﷺ مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه والترمذي في سننه.

(٢) أخرجه الترمذي وصححه والبيهقي والنسائي.

(٣) أخرجه الترمذي والبيهقي والنسائي والبخاري في تاريخه.

(٤) في حديث رواه عبد الرزاق عن معمر.

(٥) رواه البيهقي.

(٦) معناه يقول يا ليتني ما فوت ذلك لعظم الشواب الذي يرى لمن فعل ذلك.

الفصل الرابع

في تخصيصه بإبلاغه الصلاة والسلام من أمته صلى الله عليه وسلم

ذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائياً بُلِّغْتُهُ».

وعن ابن مسعود: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»، ونحوه عن أبي هريرة.

وفيه: عن ابن عباس: ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه إلا بُلِّغَهُ. وذكر بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عُرِضَ عليه اسمه.

وفيه: وفي حديث أوس «أكثرُوا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلواتكم معروضة علي».

وعن سليمان بن سَحِيم: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلت: يا رسول الله، هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك، أتفقهم سلامهم؟ قال: «نعم، وأرد عليهم». وعن ابن شهاب: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أكثرُوا من الصلاة علي في الليلة الزهراء^(١) واليوم الأزهر^(٢) فإنهما يؤديان عنكم، وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وما من مسلم يصلي علي إلا حملها ملك حتى يؤديها إلي، ويسمِّيهِ، حتى إنه ليقول: إن فلاناً يقول كذا وكذا»^(٣).

(١) ليلة الجمعة.

(٢) يوم الجمعة.

(٣) مختارات من الشفا.

المقدمة الثالثة

في تعظيمه وإجلاله، وصدق محبته
وشدة الشوق إليه ﷺ

الفصل الأول

في بيان أحوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم

قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ
لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ [سورة الأحزاب].

وقال الله تعالى يقسم بحياة حبيبه محمد ﷺ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ [سورة الحجر] أي وحياتك يا محمد.

محمد تحن إليه الأفئدة، وتقرُّ به العيون، وتأنس به القلوب، فكلامه نور،
ومدخله نور، ومخرجه نور، وعمله نور، إن سكت علاه الوقار، وإن نطق أخذ
بالقلوب والبصائر والأبصار. وأنشدوا [من الكامل]

إني عشقت محمدًا قرشياً

حبا يفوق محبتي أبويًا

ماذا أحدث عن جمال محمد

أرني كمثل الهاشمي زكياً

وكيف لا أعشق محمدًا، فهو نبي الله وحبيب الله، كان يجالس الفقراء والمساكين



والعبيد والإماء، ويعودهم ويزورهم، ويتفقد حالهم، ويشهد جنازتهم، وكيف لا أعشق محمداً وكلامه بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل، يرضى بما يرضاه القراءان، ويتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه، ويلتزم أوامره، ولا يغضب لنفسه إلا إذا ارتكبت محارم الله، فإذا انتهكت محارم الله كان أشد الناس غضباً لله، وكيف لا أعشق محمداً وهو أكثر الناس حياءً وأدباً مع ربه، ولا يقول في حالة الرضا والغضب إلا الحق قطعاً، لعصمته، فإنه معصوم لا ينطق إلا بالحق، وكان يعظ الناس، يخطبهم بالجد والاجتهاد إذا ذكرهم بآيات الله وخوفهم من عقابه، وكان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، أي قوم يُصْبِحُهم عدوهم، وكان إذا سُرَّ استنار وجهه من السرور بدرًا أي قمرًا كاملاً، وكيف لا أحب محمداً وهو كما قال الشاعر: [من الكامل]

إن جاء يرحم فهو أشفق راحم
أوجاد كان الأجود العربيا
وإلى هرقل أتى رسول محمد
برسالة دوت هناك دويا
فانظر وأخبرني بأي شجاعة
بعث الرسول إلى هرقل أخيا
ومحمد قدمات لكن لم يزل
في قبره في أرض طابة حيا

وكيف لا أعشق محمداً وهو الذي يختص بالشفاعة العظمى، وهي لا تختص بأمتة فقط بل ينتفع بهذه الشفاعة غير أمتة من المؤمنين، يوم القيامة من الناس من يقول بعضهم لبعض: تعالوا لنذهب إلى أبينا آدم ليشفع لنا إلى ربنا، فيأتون إلى آدم ويقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده (أي خلقك بعنايته) وأسجد لك ملائكته، فاشفع لنا إلى ربنا، فيقول لهم: لست فلاناً (معناه أنا لست صاحب هذه الشفاعة)، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيطلبون منه، ثم يقول لهم: اتنوا إبراهيم، فيأتون إبراهيم، ثم إبراهيم يقول لهم: لست فلاناً (معناه لست صاحب

هذه الشفاعة) فيأتون سيدنا موسى فيقول لهم: لست فلاناً، اتتوا عيسى، فيقول لهم عيسى: لست فلاناً، ولكن اذهبوا إلى محمد، فيأتون النبي ﷺ فيسجد النبي لربه، فيقال له: ارفع رأسك، واشفع تُشَفِّعْ، وسلِّ تُعْطُ.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٣١) معناه: قل يا محمد إن الذي يحب الله محبةً كاملةً يتبع الرسول اتباعاً كاملاً بأداء الواجبات واجتناب المحرمات، فيصير حبيباً لرب العالمين لأنه يصير من الصالحين بهذا الاتباع، ومعنى قولنا للمسلم أحبك الله أي جعلك خالياً من الذنوب حتى تصير من الأولياء، ومحبة الله ورضاه وكذلك غضبه وسخطه ليس من باب الانفعال؛ لأن الانفعال من صفات الخلق، فمعنى رضا الله إرادته الإنعام، ومعنى غضبه إرادته الانتقام.

وقد ثبت في الحديث^(١) أن رجلاً قال للرسول ﷺ: إني أحبك يا رسول الله، فقال عليه السلام: «انظر ما تقول، فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاها»، وفي رواية قال «فأعد للفقر نجفاً» معناه أن الذي يحب الرسول محبةً كاملةً فيتبعه اتباعاً كاملاً من شأنه أنه يكون من أهل البلاء في الدنيا؛ لأن البلاء في الدنيا للتي رفع درجات عند الله.

البحث الأول: في صدق محبة الصحابة للنبي الأعظم ﷺ وشدة شوقهم له في حياته وبعد مماته:

كانت قلوب السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم بإحسان عامرة بحب الله تعالى وحب رسوله المصطفى ﷺ، وقد ورد أن أصحاب النبي المصطفى ﷺ كانوا بعد وفاته ﷺ لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا شوقاً إليه، وكان كثير من التابعين من يفعل ذلك محبة له وشوقاً إليه، ومنهم من يفعله تهيئاً له وتوقيراً.

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٢٧/٢)

وكيف لا يكون ذلك والرسول الأعظم ﷺ قد جمع وحوى جمال الصورة في الظاهر، وكمال الأخلاق في الباطن، وله ﷺ فضل عظيم على أمته من حيث إحسانه وإنعامه عليهم، فمن الأوصاف التي وصفه الله تعالى بها رأفته بالمؤمنين، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، وشفقته عليهم، واستنقاذهم به من النار، وأنه ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم، ورحمة للعالمين ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه، ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم.

فأي إحسان أجل قدرًا من إحسانه إلى جميع المؤمنين، وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين؟! إذ كان عليه الصلاة والسلام ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيتهم إلى الفلاح والكرامة، ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم يوم القيامة والمتكلم عنهم والشاهد لهم سبب البقاء الدائم والنعيم السرمدي في الجنة في الآخرة وذلك لإيمانهم وإسلامهم واتباعهم له ﷺ.

وبذلك يكون النبي المصطفى ﷺ مستوجباً شرعاً للمحبة الحقيقية، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة).

المبحث الثاني: في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره وإجلاله ﷺ

ورد في (الشفاء) للقاضي عياض^(١) ما نصه: «روى الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم لهما».

وروى أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنها على رؤوسهم الطير، وفي حديث صفته: إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنها على رؤوسهم

(١) الشفاء (ج ٢/ ٣٧ - ٤٠).

الطير، وقال عروة بن مسعود حين وجّهته قريش عام القضية إلى رسول الله ﷺ ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، إلى أن قال: ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له. فلما رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، وفي رواية: إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه، وقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً.

وعن أنس: «لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يخلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل».

ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجّهه النبي ﷺ إليهم في القضية أبي وقال: «ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ».

وفي حديث قيله: فلما رأيت رسول الله ﷺ جالساً القرفصاء أرعدت من الفرق^(١) وذلك هيبة له وتعظيماً.

وفي حديث المغيرة كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافر، وقال البراء بن عازب: «لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر فأؤخر الأمر سنين من هيئته».

وعن صفوان بن قدامة قال: «هاجرت إلى النبي ﷺ، فأتيته فقلت: يا رسول الله ناولني يدك أبايعك، فناولني يده فقلت: يا رسول الله إني أحبك، قال: **«المرء مع من أحب»**» رواه الطبراني^(٢)، ومعناه أن الله تعالى يجمعه بهم أي بمن أحب يوم القيامة وينتفع بهم (أي بأحبائه) إن كانوا صلحاء.

(١) الفرق: الخوف الشديد.

(٢) المعجم الكبير (٧١/٨).

وروي^(١) أن ثوبان مولى رسول الله أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦١)

(سورة النساء) فدعا به فقرأها عليه.

وفي حديث آخر، كان رجل عند النبي ﷺ ينظر إليه لا يطرف، أي لا يصرف بصره عنه، فقال له ﷺ: «**ما بالك؟**» قال: «بأبي أنت وأمي، أتمتع من النظر إليك، فإذا كان يوم القيامة رفعتك الله بتفضيله»، فأنزل الله هذه الآية.

وفي حديث^(٢) أنس رضي الله عنه «**من أحبني كان معي في الجنة**».

وجاء^(٣) رجل إلى النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «**وما أعددت لها؟**» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «**أنت مع من أحببت**»^(٤). قال أنس: فما فرحنا - أي أصحاب محمد ﷺ - بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**»، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

والمراد أنه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وإن كانت مراتبهم متفاوتة.

وقد كثرت الروايات والأخبار عن السلف الصالح والأئمة الأعلام الدالة على عظيم محبتهم لنبيهم ﷺ، وشدة شوقهم له.

(١) رواه الطبراني وابن مردويه عن عائشة وابن عباس، ورواه ابن كثير في تفسيره (١/٣١٠).

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٩/٣٤٣).

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٥/١٤) والترمذي (٤/٥٩).

فعن عبدة بنت خالد بن معدان تخبر عن أبيها فتقول: ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، يسميهم ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك، حتى يغلبه النوم^(١).

وجاء: أن السميراء بنت قيس حين نفر المسلمون إلى أحد سارعت تحرض ولديها النعمان وسليم للنفرة مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ثم تمضي خلف ركب الجيش مع نفر من نساء المسلمين تستطلع أخبار القتال.

واحتدم القتال، والسميراء ورهطها يراقبن عن بعد مجرى المعركة، حتى إذا لاح لها فارس يقترب نهضت إليه تستوقفه وتسأله عن أخبار المعركة، فعرفها الفارس فنعى إليها ولديها النعمان وسليم، فما زادت أن قالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

وعادت إلى الرجل تقول: يا أبا الإسلام، ما عنهما سألتك، أخبرني: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال الرجل: خيرًا إن شاء الله، هو بحمد الله على خير ما تحبين، قالت: أرنه أنظر إليه، فأشار إليه، فقالت وقد تهلل وجهها ونسيت مصيبتها بولديها: كل مصيبة بعدك جليل^(٢) يا رسول الله، وما هي إلا سويغات حتى جيء لها بولديها الشهيدين، فقبلتهما، وحملتهما على ناقتهما، ورجعت بهما إلى المدينة.

وفي الطريق قابلتها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقالت: «ما وراءك يا سميراء؟» قالت: أمّا رسول الله ﷺ فهو بحمد الله بخير، وأمّا المسلمون فقد اتخذ الله منهم شهداء، وأمّا الكافرون فقرأت قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِظَتِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (سورة الأحزاب).

قالت عائشة: «فمن هؤلاء الذين فوق الناقة يا سميراء؟».

(١) حلية الأولياء (٥/٢١٠).

(٢) جليل أي هينة، وهذه الكلمة من الأضداد، فتجيء بمعنيين متضادين؛ فالجَلَلُ: الأمر العظيم، والجَلَلُ: الأمر الهين اليسير..

قالت: هما ولداي النعمان وسليم، قد شرفني الله باستشهادهما، وإني لأرجو الله أن يلحقني بهما في الجنة.

تلك امرأة استقر في قلبها الإيمان، وهي تطلب ثواب الله.

وسئل يوماً علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: كيف كان حاكمكم لرسول الله ﷺ؟ قال رضي الله عنه: «كان والله أحب إلينا - أي معشر الصحابة - من أموالنا وأولادنا وءابائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ»^(١).

وعن زيد بن أسلم، خرج عمر رضي الله عنه ليلة يجرس الناس، فرأى مصباحاً في بيت، وإذا عجوز تنفس صوفاً وتقول: [من مشطور السريع]

«على محمد صلاة الأبرار
صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قوأمًا بگًا بالأسحار
ياليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمَعَنِّي وحببي الدار»

(تعني النبي ﷺ) فجلس عمر رضي الله عنه يبكي^(٢).

وعن أنس، قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني أدخل قبلك؛ فإن كان حية أو شيء كانت لي قبلك، قال: «ادخل»، فدخل أبو بكر، فجعل يلمس بيده كلما رأى جحرًا قال بثوبه فشقه، ثم ألقمه الجحر، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي جحر، فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله. فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «فأين ثوبك يا أبا بكر»^(٣)؟ فأخبره بالذي صنع.

(١) الشفا للقاضي عياض.

(٢) ذكر القصة القاضي عياض في الشفا (٢/٢٢ - ٢٣).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٠٠) لابن مردويه.

وثبت أن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله، فقيل له: «اذكر أحب الناس إليك يزل عنك»، فقال: «يا محمد». فكأنها نشط من عقال - أي تعافى فوراً - . رواه البخاري في الأدب المفرد.

ولما احتضر بلال الحبشي رضي الله عنه - وكان مؤذن رسول الله ﷺ - نادى امرأته: واحزنانه، فقال رضي الله عنه: واطرباه، غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه^(١).

ويروى^(٢) أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها بعد وفاة النبي المصطفى ﷺ: اكشفي لي قبر رسول الله ﷺ، فكشفتها لها، فصارت تبكي أمام القبر الشريف، حتى ماتت من عظيم شوقها ووجدتها وحبها للنبي المصطفى ﷺ.

ومما ورد في شدة حب الصحابة رضوان الله عليهم لنبئهم ﷺ، وتفاديهم في إبعاد الأذى والضرر عنه أنه لما أخرج أهل مكة خبيباً من الحرم - وكان أسيراً عندهم - ليقتلوه، ناشدوه فقالوا له: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال خبيب: لا والله، ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه. وأمّا زيد بن الدثينة - وكان أسيراً أيضاً - فقال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً مكانك يضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال زيد رضي الله عنه: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي. ثم نادى: «يا محمداه»، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يجب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. رواه ابن جرير الطبري^(٣).

وإليك^(٤) مقالة سعد بن معاذ قبل معركة بدر: قدءامنابك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك موثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما

(١) الشفا (٢/٢٣).

(٢) روى هذه القصة الحاكم وصححها.

(٣) تاريخ الطبري (ج٢/٧٩) وانظر البداية والنهاية (ج٤/٧٥).

(٤) عيون الأثر (١/٢٨٨ - ٢٨٩).

تخلف منا رجل، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله. فسّر النبي بذلك.

ومما يدلنا أيضاً على عظيم تعلق الصحابة عليهم السلام وحبهم للرسول الأعظم ﷺ ما حصل في غزوة أحد عندما خالف أكثر الرماة أوامر النبي ﷺ، وانكشف المسلمون، واندفع المشركون من خلف المسلمين يوقعون فيهم الأذى، ويوقعون فيهم قتلاً، وهنا تجلت روائع مظاهر الدفاع والفداء من الصحابة الكرام لنبیهم عليه الصلاة والسلام، حيث تحولوا كالسور المنيع حول نبیهم ﷺ، وراحوا يذودون عنه، ويحمونه بأجسادهم من قتال المشركين وضرباتهم الموجعة، ويتساقطون الواحد إثر الآخر تحت وابل السهام، حتى قُتل كثير منهم، وهذا كله حباً وعشقاً لنبیهم وقائدهم الأعظم ﷺ، وفداءً له عملاً بقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (٦) (سورة الأحزاب).

ومن ذلك أن أبا دُجَانَةَ رضي الله عنه ترس نفسه دون رسول الله ﷺ، والنبيل يتلاحق في ظهره وهو منحني على رسول الله ﷺ، حتى قتل هو ومعه خمسة ممن كانوا يذودون عن نبیهم عليه الصلاة والسلام، ويقاتلون دونه حتى فدوه بأرواحهم، ونالوا شرف الشهادة^(١).

وهذه أم عُمارة نَسِيبة بنتُ كَعْبٍ لما رأت المشركين في يوم أحد يتكاثرون حول رسول الله ﷺ، استلت سيفها - وكانت مقاتلة قوية - وشققت الصفوف حتى وصلت إلى رسول الله ﷺ تقاتل بين يديه، وتضرب بالسيف يميناً وشمالاً، حتى هابها الرجال، وأثنى عليها الصادق الأمين صلوات ربي وسلامه عليه وقال: «**ما التفتُ يميناً ولا شمالاً يوم أحد إلا وجدت نسيبة بنت كعب تقاتل دوني**»^(٢).

وكان أبو طلحة يوم أحد يرمي والنبي ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: «بأبي أنت وأمي، لا تُشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك»

(١) عيون الأثر: غزوة أحد (٢/٢٢).

(٢) عيون الأثر (٢/٢٢)، والطبقات الكبرى (٨/٣٠٥) لابن سعد.

رواه البخاري.

وهذا سعد بن الربيع^(١) من سادات الأنصار وقد أثختته الجراح يوم أحد وبه رمق، وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فأبلغه موفد النبي ﷺ السلام وسأله: كيف تجددك؟ فقال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يا رسول الله أجدني أجدر ریح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يُخَلِّصَ إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف، وفاضت نفسه رضي الله عنه، ومثله قال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنه.

وعن أنس، قال: لما كان يوم أحد حاص الناس حيصة، وقالوا: «قتل محمد»، حتى كثرت الصواريخ في نواحي المدينة. قال: فخرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها (أي قتلوا في المعركة)، لا أدري بأيهم استقبلت أولاً، فلما مرت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: هذا أخوك وأبوك وزوجك وابنك. قالت: فما فعل النبي؟ فيقولون: أمامك، حتى ذهبت إلى رسول الله فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذا سلمت من عطب» رواه الحافظ ابن الجوزي.

ومن النهاج الرائعة في حب الصحابة لنيهم ﷺ وشدة تعلق قلوبهم بملازمته وصحبته حتى بعد مماته ما رواه مسلم من أن ربيعة بن كعب الأسلمي الذي خدم رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ من باب المكافأة: «سلني» فطلب من رسول الله ﷺ أن يكون رفيقه في الجنة، فقال له: «أسألك مرافقتك في الجنة»، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ سؤاله، بل قال له من باب التواضع: «أو غير ذلك»، فقال هذا الصحابي: هو ذاك، فقال له ﷺ: «فأعني على نفسك بكثرة السجود».

وسياتي الكلام عن الفقه المستفاد من هذا الحديث إن شاء الله.

ومما ورد في شدة عشق الصحابة لنيهم المصطفى ﷺ، وزيارتهم له ﷺ

(١) عيون الأثر (٢/٢٩).

بعد موته، والتبرك بقبره الشريف ما روي أن بلالاً الحبشي رضي الله عنه مؤذن الرسول ﷺ كان بعد وفاة النبي ﷺ قد ترك المدينة المنورة، وتوجه إلى الشام، وأقام فيها، فرأى رضي الله عنه في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول له: «**ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما إن لك أن تزورني يا بلال**» فانتبه بلال رضي الله عنه من نومته حزيناً وجلاً خائفاً، فركب راحلته، وقصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، فأتى قبر النبي ﷺ، فجعل يبكي عنده، ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ فجعل يضمهما ويقبلهما رضي الله عنهما، فقالا له: نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد ففعل، فعلا سطح مسجد النبي ﷺ، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما قال: «الله أكبر الله أكبر» ارتجت المدينة، فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» ازدادت رجَّتُها، فلما قال: «أشهد أن محمداً رسول الله» خرجت العواتق (أي النساء الشابات) من خدورهن وقلن: أبعث رسول الله ﷺ؟ فما روي يوم أكثر باكية ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم. رواه الحافظ تقي الدين السبكي في كتابه شفاء السقام بإسناد جيد^(١).



(١) وكذا ذكرها القاضي عياض في الشفا، والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق، والسمهودي في وفاء الوفا، والفيروزآبادي في الصلوات والبشّر.

الفصل الثاني

في بيان أحوال السلف الصالح والأئمة الأعلام والصالحين

قال القاضي عياض في الشفا^(١): «واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته، فينبغي على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر، ويسكن من حركته، ويأخذ في هيئته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به.

قال القاضي أبو الفضل: «وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح، وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم؛ حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإن الله تعالى أدب قومًا فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (سورة الحجرات)، ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى﴾ (سورة الحجرات)، وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الحجرات) وإن حرمة ميتًا كحرمة حيًا، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك ءادم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله، واستشفع به، فيشفعه الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ

(١) الشفا (ج ٢/ ٤٠-٤٣).

وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ (سورة النساء).

وقال مالك - وقد سئل عن أيوب السخيتاني - ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، قال: وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه.

وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه، وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقليل له يومًا في ذلك فقال: لو رأيتكم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر - وكان سيد القراء - لا نكاد نسأله عن حديث أبدًا إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد - وكان كثير الدعابة والتبسم - فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر، وما رأيتته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه (أي ترددت) زمانًا، فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصليًا، وإما صامتًا، وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فيُنظر إلى لونه كأنه نُزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبه منه لرسول الله ﷺ، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيت الزهري - وكان من أهدأ الناس وأقربهم - فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوان بن سليم - وكان من المتعبدين المجتهدين - فإذا ذكر النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه.

إلى أن قال: وكان ابن سيرين ربما يضحك، فإذا ذكر عنده حديث النبي ﷺ خشع.

الفصل الثالث

في إكرام مشاهده الشريفة صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة

قال القاضي عياض في الشفا^(١): «وروي عن صفية بنت نجدة قالت: كان لأبي محذورة قصة في مقدم رأسه، إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض، فقيل له ألا تحلقها؟ فقال: لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده. وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم، فسقطت قلنسوته في بعض حروبه، فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها، فقال: لم أفعلها بسبب القلنسوة، بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لثلاث أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين».

وروي ابن عمر واضعاً يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر، ثم وضعها على وجهه، ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة، وكان يقول: أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة (٢).

وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد - وكان من الغزاة الرماة - أنه قال: ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده (أي القوس الذي معه وهذا ليس من باب الوجوب).
وحُدِّثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجل، ومشى باكياً منشداً: [الطويل]

ولما رأينا رَسَمَ من لم يدع لنا فؤادًا لِعِرفانِ الرسوم ولا بُبًا

(١) الشفا (ج ٢/ ٥٦-٥٩).

(٢) وهذا جائز في شرع الله.

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً لمن بان عنه أن نُلمَّ به ركباً
وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشياً، ف قيل له في ذلك، فقال: العبد
الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكباً! لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على
قدمي.

قال القاضي وجديرٌ لمواطنٍ عَمَرَتْ بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل
وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عَرَصاتها بالتقديس
والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله
وسنة رسوله ما انتشر، مدارس وءايات ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل
والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين،
ومواقف سيد المرسلين ومتبواً خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة وأين فاض
عبابها، ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها، أن تُعظَّم
عرصاتها، وتُنسَم نفحاتها، وتُقَبَّل ربوعها وجدرانها: [من الكامل]

يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة^(١) وتشوق متوقد الجمرات
وعليَّ عهد إن ملأت محجري من تلکم الجُدُرات والعرصات
لأعقرن مصون شبيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها أبداً ولو سَحَبًا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل^(٢) تحيتي لِقَطين^(٣) تلك الدارِ والحجرات
أزكى من المسك المُفْتَق^(٤) نفحةً تغشاه بالأصال والبكرات

(١) صبابة: الشوق؛ وقيل رفته وحرارته "لسان العرب".

(٢) من حفيل: بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء أي جميع، في الصحاح حفل القوم واحتفلوا أي اجتمعوا.

(٣) قوله لِقَطين: بفتح القاف وكسر الطاء المهملة أي المقيم.

(٤) قوله المُفْتَق: بتشديد المثناة الفوقية المفتوحة أي المستخرج الرائحة.



المقدمة الرابعة

في بيانِ مِفْتَاحِ الضُّمَرِ بِالاجْتِمَاعِ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ

الالتزام بعقيدة الإسلام

(وفيها مباحث)

المبحث الأول: في تعريف علم العقيدة:

اعلم -رحمك الله وهداك- أنّ علم العقيدة هو أساس قواعد عقائد الإسلام، وهو أشرف العلوم، وغايته الفوز بالسّعاتِ الدّينية والدُّنيوية، وبراهينه الحجج القطعية من سمعية وعقلية، ويُسمى هذا العلم علم التوحيد، وعلم أصول الدين، ويسمى أيضا علم الكلام. وأما تسميته بالاسمين الأولين فظاهر المعنى، وأما تسميته بعلم الكلام فلأن أكثر الخصومات بين أهل الحق وبين المخالفين كان في تقرير صفة الكلام لله تعالى، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى. وبالإجمال فإن علم العقيدة علم يُعرّف به ما يجب لله تعالى كوجوب الأزلية له، وما يستحيل عليه كالوجود بعد عدم، وما يجوز في حقه كإيجاد شيء وإعدامه، ويُعرف فيه أيضا ما يجب للأنبياء عليهم السلام وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم. وسنقدم لك تفصيل ذلك كلّ.

المبحث الثاني: في بيان شرف علم العقيدة:

اعلم أن العلم بالله تعالى وصفاته أجل العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها، وقد خصّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه بالترقي في هذا العلم فقال: «أنا أعلمكم بالله



وأخشاكم له رواه البخاريّ. وروى ابن ماجه عن جندب بن عبد الله قال: «كنا غلمانا حزاورة (١) مع رسول الله ﷺ فيعلمنا الإيمان قبل القرآن ثم يعلمنا القرآن فازدنا به إيماناً». وذلك لأن الإيمان بالله ورسوله هو طريق النجاة من الخلود في نار جهنّم أعادنا الله منها.

ولما كان شرف العلم متعلقا بشرف المعلوم، ولما كان علم العقيدة يعرف به أشرف الموجودات وهو الله سبحانه وتعالى، كان علم العقيدة هو أشرف العلوم، وفي ذلك قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأيسر: «اعلم أن التفقه في الدين أفضل من التفقه في الأحكام» اهـ.

وقد أقبل السلف والخلف على تعلّم هذا العلم وتعليمه، وألفوا فيه المصنفات والمؤلفات، ومنهم الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه فقد سافر نيّقا وعشرين مرّة من بغداد إلى البصرة لمناظرة أهل الأهواء كالملاحدة، وألف خمس رسائل في علم العقيدة. ومنهم الإمام الشافعيّ رضي الله عنه، فقد روى الحافظ ابن عساكر رضي الله عنه أنّ الشافعيّ تكلم يوما بما يقوله أهل الكلام، فقال له رجل: «يا أبا عبد الله هذا ما يقوله أهل الكلام، لا أهل الحلال والحرام» فقال الشافعيّ رضي الله عنه: «أحكمتنا هذا قبل ذلك» اهـ.

المبحث الثالث: في بيان ما يجب للمولى سبحانه وتعالى وما يستحيل عليه:

اعلم أنه يجب لله كلّ كمال يليق به ويستحيل عليه كلّ نقص في حقّه، فمما يجب له سبحانه وتعالى الوجود فيستحيل عليه العدم.

فإذا قال لك قائل: ما دليلك على وجود الله؟

(١) قاربوا البلوغ.

فقل له: هذه السماء بكواكبها وأفلاكها، وهذه الأرض بفجاجها ومياهها، وهذه النباتات بتنوع أشجارها وثمارها، وهذه الحيوانات باختلاف أشكالها وأفعالها، كلُّها تدلُّ على وجود خالقها. وذلك أنها موجودة بعد عدم وكلُّ موجود بعد عدم لا بدُّ له من موجد أخرجته من العدم إلى الوجود، وهذا الموجد هو الله سبحانه وتعالى. وقد قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ (سورة إبراهيم) أي أن الله موجود لا شك في وجوده، وقال ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره» رواه البخاري وغيره.

ومَّا يجب لله تعالى القِدم ومعناه أن الله لا أوَّل لوجوده، ويستحيل عليه الحدوث وهو الوجود بعد عدم. والدليل على ذلك أنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدث يوجده، وهذا شأن المخلوقات لا شأن الخالق تعالى الله عن ذلك، بل هو قديم أزلي، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ (سورة الحديد) أي الذي لا بداية لوجوده.

ويجب له تعالى البقاء ومعناه أن الله لا نهاية لوجوده، لا يموت ولا يهلك، ويستحيل عليه طروء العدم. والدليل على ذلك أنه لو لم يجب له البقاء لأمكن أن يلحقه العدم، ولحوق العدم عليه محال، لما في العدم من الدلالة على العجز والنقص. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ (سورة الحديد) أي هو الله الذي لا بداية ولا نهاية لوجوده.

ويجب له تعالى القيام بالنفس ومعناه أن الله غني عن العالمين، ويستحيل عليه الاحتياج. والدليل على ذلك أن الله لو كان محتاجاً لكان عاجزاً، والعجز نقص والنقص على الله محال. قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

ويجب له تعالى الوجدانية في ذاته وصفاته وأفعاله، ويستحيل عليه أن يكون مركباً، أو أن يكون له مماثل في ذاته أو صفاته، أو يكون معه مؤثر خالق لشيء من الأشياء. وبرهان ذلك أن يقال الصانع لا بدُّ أن يكون حياً وقادراً وعالماً



ومريدا ومختارًا، فإذا ثبت وصف الصانع على ما ذكرناه قلنا: لو كان للعالم صانعان وجب أن يكون كل واحد منهما حيًا وقادرا وعالما ومريدا ومختارًا، والمختاران يجوز اتفاقهما في الاختيار ويجوز اختلافهما فيه، لأن كل واحد منهما ليس مجبراً على موافقة الآخر في اختياره، فإذا صحَّ هذا فلو أراد أحدهما خلاف مراد الآخر لم يخل، إمّا أن يتم مرادهما، أو لا يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر، ومحال تمام مراديهما لتضادهما، وإن لم يتم مرادهما فعجزهما ظاهر، وإن تمَّ مراد أحدهما دون الآخر فالذي لم يتم مراده يكون عاجزاً، والعاجز لا يكون إلهًا ولا قديماً، فثبت وجود إله واحد قديم وهو الله تعالى.

هذه الدلالة معروفة عند الموحدين بدلالة التمانع، وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (سورة الأنبياء).

ويجب له القدرة ويستحيل عليه العجز. والدليل على ذلك أنه لو لم يكن قادراً لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لما وجد هذا العالم وهو باطل. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) (سورة المائدة).

ويجب له الإرادة ويستحيل عليه الاضطرار. والدليل على ذلك أنه لو لم يكن مريداً لإيجاد هذه الأشياء أو إعدامها لكان مضطراً، والاضطرار نقص وعجز، وهو على الله محال، قال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (١٠٧) (سورة هود).

ويجب له العلم وهو صفة واحدة تتعلق بالموجودات والمعدومات على وجه الإطلاق دون سبق خفاء ويعلم الجزئيات والكليات ويستحيل عليه الجهل أو حصول شيء خلاف ما يعلم لما فيه من أمارات النقص والحدوث، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) (سورة الحديد).

(١) قدرة الله تتعلق بالممكنات ولا تتعلق بالواجب الوجود وهو الله وصفاته، ولا تتعلق بالمستحيل وهو الذي لا يقبل الوجود أصلاً لذاته كوجود الشريك مع الله.

ويجب له الحياة، فهو سبحانه وتعالى حيّ لا كالأحياء إذ حياته صفة أزلية أبدية يقتضى صحة الإتيان بالعلم والقدرة والإرادة، وحياته ليست كحياة غيره بلحم ودم، ولو لم يكن الله حيّا لم يوجد شيء من هذا العالم لأنّ من ليس حيّا لا يتصف بالقدرة والإرادة والعلم ولو كان الله تعالى غير متصف بهذه الصفات لكان متصفا بالضدّ وذلك نقص يُنزّه الله عنه. قال الله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (سورة البقرة).

ويجب له تعالى السمع المقدّس عن الأذن والصماخ (١)، والبصر المقدس عن الحدقة والأجفان ونحو ذلك. ويستحيل عليه الصمم والعمى وما في معناه. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لاَ تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (سورة طه) وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى)، ولو لم يتصف بهما لاتصف بضدهما وهو نقص، والنقص عليه محال.

ويجب له تعالى الكلام ويستحيل عليه البكم وما في معناه. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (سورة النساء)، ولأنه لو لم يتصف بالكلام لاتصف بضدّه وهو نقص وهو عليه محال. وكلام الله صفة أزلية أبدية قائمة بذاته ليس بحرف ولا صوت ولا لغة.

فإن قيل: القرءان كلام الله وهو في المصاحف مكتوب، وبالألسن مقروء، وبالأذان مسموع، وفي الصدور محفوظ، وذلك من سمات الحدوث بالضرورة.

فقل: إنّ القرءان يطلق ويراد الكلام الذاتي الذي هو معنى أي صفة قائمة بذات الله ويطلق على اللفظ المنزّل على سيدنا محمد ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ﴾ (سورة الفتح)، فالكفار يريدون تبديل اللفظ المنزّل لا الصفة الذاتية.

(١) الصماخ: خرق الأذن.

فإن قصد بلفظة «القرءان» الكلام الذاتي، فهو ليس بحرف، ولا صوت، ولا لغة، وإن قصد به وبسائر الكتب السماوية اللفظ المنزّل، فمنه ما هو بالعربية، ومنه ما هو بالعبرية، ومنه ما هو بالسريانية، وهذه اللغات وغيرها لم تكن موجودة في الأزّل، الله خلقها فصارت موجودة، والله تعالى كان قبل كل شيء، وكان متكلمًا قبل هذه اللغات، ولم يزل متكلمًا، فاستحال أن يكون اللفظ المنزّل هو عين كلام الله الذاتي الأزلي .

وإنما هذه الكتب هي عبارات عن ذلك الكلام الذاتي، ولا يلزم من كون العبارة حادثة كون المعبر عنه حادثًا. ألا ترى أننا إذا كتبنا على لوح لفظ الجلالة «الله»، فقيل ما هذا؟ يقال الله، فهل معنى هذا أن أشكال الحروف المرسومة هي ذات الله؟ لا يتوهم هذا عاقل، إنما يفهم من ذلك أن هذه الحروف عبارة تدلّ على الإله الذي هو موجود معبود خالق لكلّ شيء.

قال تاج الدين السبكي في الطبقات: "فإن لفظ القرآن يُطلق في الشّرع واللسان على الوصف القديم، ويطلق على القراءة الحادثة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (سورة القيامة)، أراد بقراءته قرأته، إذ ليس للقرآن قرآنٌ آخر، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصتْ لَهُ﴾ (سورة القيامة) أي قرأته".

فالقراءة غير المقروء، والقراءة حادثة والمقروء قديم، كما أننا إذا ذكرنا الله عزّ وجل كان الذكر حادثًا، والمذكور قديمًا، فهذه نبذة من مذهب الأشعري رحمه الله. [من الوافر]

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ القَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ

انتهى ما نقلناه عن تاج الدين السبكي رحمه الله.

ويجب له تعالى المخالفة للحوادث ويستحيل مماثلته لها ذاتا وصفة وفعلا. والدليل على ذلك أنه لو ماثل شيئًا منها لكان حادثًا مثلها، ذلك أن المتماثلات

ما يجوز على بعضها يجوز على كلها، والحدوث محال عليه تعالى. وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى)، فهذه الآية أصرح آية في تنزيه الله التنزيه الكلي عن الشبيه والمثيل والمكان، والكاف في «كمثله» لتأكيد النفي، ففي الآية نفي ما لا يليق بالله عن الله. فالله تعالى موصوف بأنه ليس كمثله شيء من اللطائف كالنور والروح والهواء، ومن الكثائف كالشجر والإنسان، والجسم اللطيف ما لا يضبط باليد، والجسم الكثيف ما يضبط باليد أي ما يُجسّ باليد. فهو تعالى لا يشبه العلويات (وهو ما كان في السموات)، ولا يشبه السفليات (وهو ما كان في الأرضين).

وقد ضلّ عن هذا المعتقد فرق أزاغ الله قلوبهم عن معرفة الحقّ، فوصفوا الله تعالى بما لا يليق به، إذ جعلوا له حدًا ومكانًا، فشبهوه بخلقه، سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً. وسنورد لك دلائل وأقوالاً تمحق معتقدتهم وتظهر فساده:

فمن ذلك ما رواه مسلم وأبو داود أنّ رسول الله ﷺ قال: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء». قال الحافظ البيهقي: «قال أصحابنا فلما لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان».

وروى أبو نعيم في الحلية أنّ سيدنا علياً رضي الله عنه قال في جوابه لوفد من اليهود: «إنّ الذي أين الأين لا يقال له أين» اهـ. أي إنّ الذي خلق المكان لا مكان له، وهو معنى قول الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه: [من البسيط]

العجز عن درك الإدراك إدراكٌ والبحث عن ذاته كفر وإشراكٌ

وهو أيضاً معنى قول ابن عباس رضي الله عنه: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله» رواه الحافظ البيهقي بإسناد صحيح. ومعناه حقيقة الله لا يصل إليه أحد مهما شغل فكره، ولذلك نهينا عن التفكير في ذات الله أي أعمال

الفكر لتوهمه وتخيُّله.

وقد قال الإمام أبو جعفر الوراق الطحاوي الحنفي السلفي في عقيدته التي هي ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة التي انتشرت في المشارق والمغارب ما نصّه: «تعالى [يعني الله] عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات». وقال فيها في موضع آخر: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

وقال الغزالي الشافعي في إحياء علوم الدين ما نصّه: «إنه [أي الله] أزيّ ليس لوجوده أوّل وليس لوجوده آخر. وإنه ليس بجوهر يتحيّز بل يتعالى ويتقدّس عن مناسبة الحوادث».

وقال الحافظ البيهقي في كتابه الاعتقاد ما نصّه: «وفي الجملة يجب أن يعلم أنّ استواء الله سبحانه وتعالى، ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج، ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنّه مستوٍ على عرشه كما أخبر بلا كيف وبلا أين، بائن من جميع خلقه، وأنّ إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأنّ مجيئه ليس بحركة، وأنّ نزوله ليس بنقلة، وأنّ نفسه (أي ذاته) ليس بجسم، وأنّ وجهه ليس بصورة، وأنّ يده ليست بجارحة، وأنّ عينه ليست بحدقة، وإنها هذه الأوصاف جاء التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف، فقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى)، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (سورة مريم). اهـ.

وقال الإمام المحدث الفقيه الشافعي أبو منصور البغدادي الذي وصفه الحافظ ابن حجر بأنه الإمام الكبير إمام أصحابنا (يعني الشافعية)، وهو من جملة مشايخ البيهقي، ما نصّه: «وأجمع أصحابنا على إحالة القول بأنه في مكان أو في كلّ مكان، ولم يجزوا عليه مماسة ولا ملاقة بوجه من الوجوه».

وقال العلامة البياضي الحنفي في إشارات المرام ما نصّه: «الخامس ما أشار

إليه وقال [يعني أبا حنيفة] في الفقه الأَبسط: «كان الله تعالى ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخلق كان ولم يكن أين» أي مكان «ولا خلق ولا شيء وهو خالق كل شيء» موجود له بعد العدم فلا يكون شيء من المكان والجهة قديما وفيه إشارات:

الأولى: الاستدلال بأنه تعالى لو كان في مكان وجهة لزم قدمهما، وأن يكون تعالى جسما، لأن المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم، والجهة اسم لمتهمى مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك فلا يكونان إلا للجسم والجسماني، وكل مستحيل كما مرّ بيانه، وإليه أشار بقوله: «كان الله ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء وهو خالق كل شيء». انتهى ما نقلته عن البيضاوي.

وقال إمام الحرمين الجويني في كتابه الإرشاد ما نصّه: «ومذهب أهل الحق قاطبة أنّ الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحييز والتخصيص بالجهات. وذهبت الكرامية وبعض الحشوية إلى أنّ الباري متحيّز مختصّ بجهة فوق، تعالى الله عن قولهم، ومن الدليل على فساد ما انتحلوه أنّ المختصّ بالجهات يجوز عليه المحاذاة مع الأجسام، وكلّ ما حاذى الأجسام لم يخل من أن يكون مساويا لأقدارها ولأقدار بعضها، أو يحاذيها منه بعضه وكلّ أصل قاد إلى تقدير الإله أو تبعيضه فهو كفر صراح». اهـ.

وقال الإمام الحافظ المفسّر عبد الرحمن بن الجوزي الحنبليّ في كتابه المسمّى دفع شبه التشبيه ما نصّه: «وقد ثبت أنّ الاجتماع والافتراق من لوازم التحييز، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز، لأنه لو كان متحيّزا لم يخل إمّا أن يكون ساكنا في حيّزه أو متحرّكا عنه، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق».

وقال الإمام القشيري في رسالته ما نصّه: «قال شيوخ هذه الطريقة ما يدلّ عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتها ومصنفاتهم في التوحيد: إنّ الحق سبحانه



وتعالى موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر عليم، قاهر، رحيم، مريد، سميع، مجيد، رفيع، متكلم، بصير، متكبر، قدير، حي، أحد، باق، صمد، وأنه عالم بعلم، قادر بقدره، مريد بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حي بحياة، باق بقاء» إلى أن قال: «وأنه أحديّ الذات ليس يشبه شيئاً من المصنوعات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، ولا صفاته أعراض، ولا يتصور في الأوهام، ولا يتقدّر في العقول، ولا له جهة ومكان، ولا يجري عليه وقت وزمان، ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان» اهـ.

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الهرري رحمه الله رحمة واسعة في كتابه المسمّى الصراط المستقيم ما نصّه: «تنزيه الله عن المكان وتصحيح وجوده بلا مكان عقلاً: الله تعالى غني عن العالمين، أي مستغن عن كل ما سواه ازلاً وأبداً، فلا يحتاج إلى مكان يقوم به أو شيء يجل به أو إلى جهة. ويكفي في تنزيه الله عن المكان والحيز والجهة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى). فلو كان له مكان لكان له أمثال، وأبعاد وطول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان محدثاً محتاجاً لمن حده بهذا الطول وبهذا العرض وبهذا العمق. هذا الدليل من القرآن. أما من الحديث فما رواه البخاري وابن الجارود والبيهقي بالإسناد الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره»، ومعناه أن الله لم يزل موجوداً في الأزل ليس معه غيره لا ماء ولا هواء ولا أرض ولا سماء ولا كرسي ولا عرش ولا إنس ولا جن ولا ملائكة ولا زمان ولا مكان، فهو تعالى موجود قبل المكان بلا مكان، وهو الذي خلق المكان فليس بحاجة إليه. وهذا ما يستفاد من الحديث المذكور. وقال البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»: استدلل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه بقول النبي ﷺ: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء» وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان. وهذا الحديث فيه الرد أيضاً على القائلين بالجهة في حقه تعالى. وقد قال علي رضي الله عنه: «كان الله ولا مكان

وهو الآن على ما عليه كان»، رواه أبو منصور البغدادي. وليس محور الاعتقاد على الوهم بل على ما يقتضيه العقل الصحيح السليم الذي هو شاهد للشرع، وذلك أن المحدود محتاج إلى من حده بذلك الحد فلا يكون إلهاً. فكما صح وجود الله تعالى بلا مكان وجهة قبل خلق الأماكن والجهات، فكذلك يصح وجوده بعد خلق الأماكن بلا مكان وجهة، وهذا لا يكن نفيًا لوجوده تعالى. انتهى ما نقلته من كلام شيخنا الهرري رضي الله عنه. فمعتقد أهل السنة والجماعة قاطبة أن الله موجود بلا مكان، ولو تتبعت لك أقوال العلماء في ذلك، لمأت لك الأوراق والكتب وفي القدر المذكور كفاية إن شاء الله تعالى. فلا يهولنك ما يقوله هؤلاء الزائغون عن الحق، بل اسلك سبيل الهدى ولا يغرنك كثرة الهالكين.

المبحث الرابع: في بيان ما يجب للأنبياء وما يستحيل عليهم:

اعلم أن الرسول هو من أوحى إليه بنسخ شرع أو أنزل عليه كتاب وأمر بالتبليغ، والنبي من أوحى إليه بإتباع شرع الرسول الذي قبله وأمر بتبليغه وليس كما قال بعضهم: إن النبي هو من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه! ثم اعلم أنه يجب لكل نبي من الأنبياء أن يكون متصفا بهذه الأخلاق، وهي:

الصدق: فيستحيل عليهم الكذب لأن ذلك نقص ينافي منصب النبوة، وأما قول إبراهيم عليه السلام عن زوجته سارة: «إنها أختي» وهي ليست أخته في النسب إنما هي أخته في الدين فقال ذلك بغرض صيانتها من أذى الجبار فهو ليس كذباً من حيث الباطن والحقيقة إنما هو صدق. وكذلك ورد في أمر إبراهيم في القرءان الكريم أنه قال ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَشَئِلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (سورة الأنبياء)، فليس هذا كذباً حقيقياً بل هذا صدق من حيث الباطن والحقيقة لأن كبير الأصنام هو الذي حمله على الفتك بهم أي الأصنام الأخرى من شدة اغتياظه منه لمبالغتهم في تعظيمه بتجميل هيأته وصورته،

فحملة ذلك على أن يكسّر الصغار ويهين الكبير، فيكون إسناد الفعل إلى الكبير إسنادًا مجازيًا، فلا كذب في ذلك أي هو في الحقيقة ليس كذبًا إنَّما صورته صورة كذب، وأما حديث: «كذب إبراهيم ثلاثَ كَذَبَاتٍ» فقد اعترض عليه بعضُ العلماءِ وأوله بعضهم على نحو ما ذكرنا.

والأمانة: فيستحيل عليهم الخيانةُ فلا يكذبونَ على الناسِ إن طلبوا منهم النصيحة و لا يأكلون أموال الناس بالباطل ومن الأمانة التبليغ فلا يكتمون شيئًا مما أمروا بتبليغه.

والفطانة: فكل الأنبياء أذكىاء يستحيل عليهم الغباوةُ أي أن يكونوا ضعفاء الأفهام، لأن الغباوة تنافي منصبهم لأنهم لو كانوا أغبياء لنفر منهم الناس لغباوتهم والله حكيم لا يجعل النبوة والرسالة في الأغبياء، فإنهم أرسلوا ليبلغوا الناس مصالح آخرتهم و دنياهم، و البلادة تنافي هذا المطلوب منهم.

ويستحيل على الأنبياء الرذالة و السفاهة و البلاهة: فليس في الأنبياء من هو رذيلٌ يختلس النظر إلى النساء الأجنبية بشهوة مثلاً، وليس فيهم من يسرق ولو حبة عنب، وليس في الأنبياء من هو سفيه يقول ألفاظاً شنيعة تستقبحها النفس، وليس في الأنبياء من هو بليدُ الذهن عاجز عن إقامة الحجة على من يعارضه بالبيان، ولا ضعيف الفهم لا يفهم الكلام من المرة الأولى إلا بعد أن يكرّر عليه عدة مرات.

ويستحيل على الأنبياء سبقُ اللسان في الشرعيات و العاديّات لأنه لو جاز عليهم لارتفعت الثقة في صحة ما يقولونه، و لقال قائل لما يبلغه كلام عن النبي ما يدرينا أن يكون قاله على وجه سبق اللسان، لذلك لا يصدر من نبي كلام غير الذي يريد قوله، و لا يصدر منه كلامٌ لم يرد قوله بالمرّة كما يحصل لمن يتكلم و هو نائم. و كذلك يستحيل عليهم الأمراض المنفرة كخروج الدود من الجسم.

وكذلك يستحيل على الأنبياء الجبن أما الخوف الطبيعي فلا يستحيل عليهم، بل الخوف الطبيعي موجود فيهم، وذلك مثل النفور من الحية، فإن طبيعة الإنسان تقتضي الهرب من الحية وما أشبه ذلك، مثل التخوف من تكالب الكفار عليهم حتى يقتلوهم. ولا يقال عن النبي ﷺ هرب لأن هرب يشعر بالجبن، أما فرّ من الأذى مثلاً فلا يشعر بالجبن، يقال هاجر فراراً من الكفار أي من أذى الكفار هذا جائز ما فيه نقص، وعلى هذا المعنى قول موسى ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾ (سورة الشعراء).

ويجب الإيمان بما أخبر به النبي ﷺ وتصديقه جزماً. فمن ذلك:

الإيمان بعذاب القبر: فعذاب القبر ثابت بنص القرآن العظيم، ومن عذاب القبر عرض الكافر على النار كل يوم مرتين، مرة أول النهار، ومرة آخر النهار يتعذب بنظره ورؤيته لمقعده الذي يقعه في الآخرة، قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (سورة غافر)، هذه الآية دليل على عذاب القبر، وقد فسرها رسول الله ﷺ بعذاب القبر، كما روى ذلك ابن حبان وغيره، ومن جملة عذاب القبر تضييق القبر عليه حتى تختلف أضلاعه، فالأضلاع التي في إحدى الجهتين تدخل في الأضلاع التي في الجهة الأخرى، وبعض الناس يُسلط عليهم الثعابين، وبعض الناس تأتيهم ريح من ريح جهنم إلى قبرهم، وكذلك من عذاب القبر الانزعاج من ظلمة القبر ووحشته، وضرب منكرٍ ونكيرٍ للكافر بمطرقة بين أذنيه؛ ويشمل ذلك ما يحصل لبعض عصاة المسلمين الذين ماتوا بلا توبة لا لجمعهم مما هو دون ما يحصل للكافر كضغطة القبر حتى تختلف أضلاعه، فهذه الضغطة تحصل لبعض عصاة المسلمين، أما الأتقياء والشهداء والأطفال فلا تحصل لهم.

والإيمان بنعيم القبر: فإنه ﷺ أخبر بذلك أيضاً، ومنه توسيع القبر سبعين ذراعاً في سبعين ذراعاً على المؤمن التقيّ ومن شاء الله له من غير الأتقياء،



كبعض شهداء المعركة ممن استشهدوا ولم يكونوا أتقياء، وبعض الناس يتسع قبرهم مدَّ البصر، ومنه تنويره بنورٍ يشبه نور القمر ليلة البدر، وغير ذلك كشم رائحة الجنة.

والإيمان بسؤال الملكين منكرٍ ونكيرٍ: وهو يحصل للمؤمن والكافر من هذه الأمة، أي الذين أرسل إليهم محمدٌ ﷺ، فقد روى البخاري ومسلم عن أنس عن النبي: «إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: «ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟»، فأما المؤمن فيقول: «أشهد أنه عبد الله ورسوله»، فيقال له: «انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة» فيراهما جميعاً. وأما الكافر أو المنافق فيقول: «لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه» فيقال لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمطرقية من حديد بين أذنيه فيصيح صيحةً يسمعهما من يليه إلا الثقلين». ثمَّ المؤمن الكامل لا يلحقه فزعٌ ولا انزعاج من سؤالهما لأن الله يثبت قلبه فلا يرتاع من منظرهما المخيف لأنهما كما جاء في الحديث أسودان أزرقان، بل يفرح المؤمن برؤيتهما وسؤالهما، يسألانه «من ربك، ومن نبيك، وما دينك»، فيقول المؤمن: «الله ربي، ومحمد نبيي، والإسلام ديني». ويستثنى من هذا السؤال الأنبياء، والطفل الذي مات دون البلوغ، وشهيد المعركة.

والإيمان بالبعث: وهو خروجُ الموتى من القبور بعد إعادة الجسد الذي أكله التراب، إن كان من الأجساد التي يأكلها التراب، وهي أجساد غير الأنبياء، وشهداء المعركة، وكذلك بعض الأولياء لا يأكل التراب أجسادهم لما تواتر من مشاهدة ذلك، ومنهم عبد الله بن عمرو والد جابر، وكثير غيره من السلف، ومن بعد السلف كالحافظ أبي عمرو بن الصلاح، فإن عبد المتعال الحفارَ الدمشقيَّ شاهد جثة الحافظ ابن الصلاح صحيحة لم يتغير منها شيء، وقد مضى على وفاته أكثر من ثمانمائة سنة.

والإيمان بالحشر: وهو أن يُجمَع النَّاسُ ويُساقوا بعدَ البعثِ إلى المحشر، وقد ورد أنه الشام، ثم ينقلون عند ذلك الأرض إلى ظلمة عند الصراط، ثم يعادون إلى الأرض المبدلة حيث يحاسبون. ويكون أهل الحشر على ثلاثة أحوال: قسم طاعمون كاسون راكبون على نوق رحائلها من ذهب وهم الأتقياء، وقسم حفاة عراة وهم المسلمون من أهل الكبائر، وقسم يُحشرون ويُجرون على وجوههم وهم الكفار.

والإيمان بالقيامة: وأولها من خروج النَّاسِ من قبورهم إلى استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، وقد تطلق الآخرة على ذلك وعلى ما بعده إلى ما لا نهاية له.

والإيمان بالحساب: وهو عرض أعمال العباد عليهم، ويكون بتكليم الله للعباد جميعهم، يفهمون من كلام الله السؤال عما فعلوا بالنعم التي أعطاهم الله إياها، فيُسَّرُّ المؤمن التقي ولا يسر الكافر بل يكاد يغشاه الموت، لكنه لا موت لهم بعد موتهم في الدنيا. فقد ورد في الحديث الصحيح: **«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان»** رواه أحمد والترمذي.

والثواب والعذاب: أمَّا الثوابُ فهو الجزاء الذي يجزيه الله المؤمنَ في الآخرة على العمل الصالح ممَّا يسرُّه، وأمَّا العذاب فهو ما يسوء العبدَ ذلك اليوم من دخول النار، وما دون ذلك من العقوبات.

والإيمان بالميزان: وهو كميزان الدنيا له قصبَةٌ وعمود وكفتان، كفة للحسنات وكفة للسيئات توزن به الأعمال يوم القيامة، والذي يتولى وزنها جبريل وميكائيل، وما يوزن إنما هو الصحائف التي كُتِبَ عليها الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته فهو من أهل النجاة، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أهل النجاة أيضاً، ولكنه أقل رتبة من الطبقة الأولى وأرفع من الثالثة، ومن رجحت سيئاته على حسناته فهو تحت مشيئة الله إن شاء



عذّبه وإن شاء غفر له. وأما الكافر فترجح كفة سيئاته لا غير، لأنه لا حسنات له في الآخرة، لأنه أطمع بحسناته في الدنيا. وإنما توزن أعماله إظهاراً لعدل الله.

والإيمان بالنار: أي نار جهنم، وهي مخلوقة الآن، ولا تزال باقية إلى ما لا نهاية له، وجهنم دار العذاب المقيم للكافرين، لا يخرجون منها أبداً، وأما بعض العصاة فيعذبون فيها برهة ثم يخرجون منها.

والإيمان بالصراط: وهو جسر عريض ممدود على جهنم ترد عليه الخلائق، فمنهم من يردّه ورود دخول وهم الكفار وبعض عصاة المسلمين أي يزّلون منه إلى جهنم ومنهم من يرده ورود مرور في هوائه. فمن هؤلاء من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كطرفة عين. وهو محمول على ظاهره بغير تأويل، وأحد طرفيه في الأرض المبدلة والآخر فيما يلي الجنة، وقد ورد في صفته أنه دحض مزلة. وما ورد أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، كما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري: «بلغني أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف»، وليس المراد ظاهره، وإنما المراد بذلك وصف خطره، وهو في الحقيقة ليس دقيقاً كالشعرة إنما هو عريض، لكنه شيء مخوف، يخاف الانزلاق منه لأنه أملس، فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، فقد ورد في الصحيح أنه تجري بهم أعمالهم.

والإيمان بالحوض: وهو مكان أعد الله فيه شراباً لأهل الجنة يشربون منه بعد عبور الصراط قبل دخول الجنة فلا يصيبهم بعد ذلك ظمأ، وإنما يشربون من شراب الجنة تلذذاً. والحوض طوله مسيرة شهر وعرضه كذلك، وأنيته كعدد نجوم السماء، وشرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من ريح المسك. وقد أعد الله لكل نبي حوضاً، وأكبر الأحواض حوض نبينا محمد ﷺ.

والإيمان بالشفاعة: وهي تكون للمسلمين فقط، فالأنبياء يشفعون، وكذلك العلماء العاملون، وشهداء المعركة، والملائكة. والشفاعة هي طلب الخير من الغير للغير، أي أن الشفعاء يطلبون من الله إسقاط العقاب عن بعض

العصاة من المسلمين، وقد فسّر أهل السنة الشفاعة بإسقاط العقاب، وذلك قد يكون قبل دخول النار وقد يكون بعده. وسيدنا محمد ﷺ يختص بالشفاعة العظمى، وهي للفصل بين الخلق أي لتخليصهم من الاستمرار في حر الشمس في الموقف. وقد سمّيت الشفاعة العظمى لأنها لا تختص بأمتة فقط، بل ينتفع بهذه الشفاعة غير أمتة من المؤمنين، لأن العذاب أنواع ليس العذاب بدخول النار فقط، بل تسليط الشمس عليهم وهم في الموقف عذاب، والفضيحة هناك في ذلك المشهد عذاب، فبعض المسلمين يفضحون، ينادي عليهم الملك: «هذا فلان ابن فلان عمل كذا»، لأن الخلق يكون عليهم وقوف حتى يقضى بينهم بصرفهم إلى الجنة أو إلى النار، حتى يقول الكافر من شدة البؤس الذي يقاسيه من حر الشمس: «يارب أرْحني ولو إلى النار»، عندئذ يقول الناس بعضهم لبعض: «تعالوا لنذهب إلى أبينا آدم ليشفع لنا إلى ربنا»، فيأتون إلى آدم يقولون: «يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده - أي أنه له عناية بك وأسجد لك ملائكته أي سجود تحية فاشفع لنا إلى ربنا»، فيقول لهم: «لست فلانا»^(١) اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيطلبون منه، ثم يقول لهم: «أتتوا إبراهيم»، فيأتون إبراهيم، ثم إبراهيم يقول لهم: «لست فلاناً»، معناه أنا لست صاحب هذه الشفاعة، فيأتون موسى فيقول لهم: «لست فلانا»، فيقول لهم: «أتتوا عيسى»، فيقول لهم عيسى: «لست فلانا ولكن اذهبوا إلى محمد»، فيأتون النبي ﷺ، فيسجد النبي لربه فيقال له: «ارفع رأسك، واشفع تَشْفَع، وسل تَعْط». هذه تسمى الشفاعة العظمى، لأنها عامة، ثم هناك شفاعات أخرى للنبي ﷺ. ولا تكون شفاعة النبي محمد ﷺ إلا لمن ءامن به، ولذلك قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة أول ما نزل عليه القرآن: «يا فاطمة بنت محمدٍ سليني من مالي ما شئتِ لا أغني عنك من الله شيئاً» معناه لا أستطيع أن أنقذك من النار إذا لم تؤمني، في الدنيا أستطيع أن أنفعك بهالي، أما في الآخرة لا أستطيع أن أنفعك إن لم تدخلني في دعوة الإسلام.

(١) أي لست صاحب هذا المقام.

وليُحذَرُ مما ورد في بعض نسخ ابن حبان السقيمة أن كلاً من هؤلاء الأنبياء الخمسة يقول عندما يطلب منه الشفاعة إنِّي أخاف أن يطرحني الله في النار، لأن نسبة هذا النبي من الأنبياء كُفِّرُ، لأن النبي لا يظن بربه أنه يطرحه في النار.

والإيمان بالجنة: وهي دار السلام أي دار النعيم المقيم الدائم، وهي فوق السماء السابعة ليست متصلة بها، وسقفها عرش الرحمن، والنعيم فيها قسمان: نعيم لا يناله إلا الأتقياء قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»، ونعيم يناله كل أهل الجنة، ومن هذا النعيم أن أهل الجنة كلهم شباب لا يهرمون أبداً وكلهم أصحاء لا يسقمون ولا يمرضون أبداً وكلهم في سرور لا يصيبهم همٌّ وحزنٌ ونكدٌ وكربٌ، وكلهم يبقون أحياء في نعيم دائم لا يموتون أبداً. وأهلها على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً طولاً في سبعة أذرع عرضاً، جميلو الصورة، جرد مُرد في عمر ثلاثة وثلاثين عاماً، خالدون فيها لا يخرجون منها أبداً. وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري وغيره: «إن أهل الجنة على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء في سبعة أذرع عرضاً». وقال رسول الله ﷺ في وصفها: «هي ورب الكعبة نورٌ يتلأأ، وريحانة تهتز، ونهر مطّرد، وقصر مشيد، وفاكهة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في مقام أبدي وخبرة ونضرة» رواه ابن حبان.

والإيمان بالرؤية لله تعالى بالعين في الآخرة: أي بأنها حقٌ، وهذا خاصٌ بالمؤمنين يرونه وهم في الجنة بلا كيفٍ ولا تشبيه ولا جهةٍ، كما نص على ذلك الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه، أي أنه تعالى لا يكون في جهةٍ ولا مكانٍ إنَّما هم في مكانهم في الجنة، يرونه رؤية لا يكون عليهم فيها اشتباه لا يشكُّون هل الذي رأوه هو الله أو غيره، كما لا يشكُّ مبصر القمر ليلة البدر ليس دونه سحب أن الذي رآه هو القمر، ففي ذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته». رواه مسلم أي لا تتزاحمون في رؤيته، وفي رواية «لا تضامون»، أي لا يلحقكم

ضَرَّرُ. شَبَّهُ رُؤْيَتَنَا لَهُ مِنْ حَيْثُ عَدِمَ الشَّكَّ بِرُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَلَمْ يَشَبَّهُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقَمَرِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْخُلُودِ فِيهِمَا: فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَحْلُدُونَ فِي الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ يَحْلُدُونَ فِيهَا، وَأَنَّهُ لَا مَوْتَ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَالْإِيمَانُ بِمَلَائِكَةِ اللَّهِ: أَيُ بُوْجُودِهِمْ، وَأَتَمُّ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، وَهَمَّ أَجْسَامٌ نُورَانِيَةٌ لَطِيفَةٌ، أَلْطَفُ مِنَ الْهَوَاءِ، لَيْسُوا ذَكَورًا وَلَا إِنَاثًا، لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا يَنَامُونَ وَلَا يَتَوَدَّدُونَ، وَلَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.

وَالْإِيمَانُ بِرَسُولِهِ: أَيُ أَنْبِيَائِهِ مِنْ كَانَ رَسُولًا وَمَنْ لَمْ يَكُنْ رَسُولًا، فَالنَّبِيُّ غَيْرُ الرَّسُولِ هُوَ إِنْسَانٌ أَوْحِيَ إِلَيْهِ لَا بِشَرَعٍ جَدِيدٍ، أَوْحِيَ إِلَيْهِ بِاتِّبَاعِ شَرَعِ الرَّسُولِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَأَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ الشَّرْعَ، وَالرَّسُولُ مَنْ أَوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرَعٍ جَدِيدٍ، وَأَمْرٌ بِتَبْلِيغِهِ. وَأَوَّلُ مَنْ أُرْسِلَ إِلَى الْكُفَّارِ سَيِّدُنَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، أَيُ بَعْدَ حَدُوثِ الْكُفْرِ بَيْنَ الْبَشَرِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ نَبِيٌّ وَلَا رَسُولٌ، بَلْ كَانَ آدَمَ نَبِيًّا رَسُولًا، كَمَا يَشْهَدُ لِنُبُوَّتِهِ حَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ «**آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لَوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَعُرِفَ هَذَا الْأَمْرُ بَيْنَهُمْ بِالضَّرُورَةِ، فَمَنْ نَفَى نُبُوَّتَهُ فَهُوَ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ.

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ وَهَذَاكَ أَنَّ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ جَاءُوا بِدِينِ الْإِسْلَامِ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ دِينُهُمْ وَاحِدٌ وَأَمَهُاتُهُمْ شَتَّى**»، شَبَّهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْأَنْبِيَاءَ بِالْإِخْوَةِ مِنَ الْأَبِّ، وَوَجْهَ الشَّبْهِ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُهُمْ وَاحِدٌ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، أَمَا شَرَائِعُهُمْ فَمُخْتَلِفَةٌ، فَمَنْ هُنَا يَعْلَمُ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينَ السَّمَاوِيِّ الْوَحِيدَ وَلَا دِينَ سِوَاهُ حَقٌّ، وَهُوَ الدِّينَ الَّذِي رَضِيَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ (سورة المائدة)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ (سورة آل عمران)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (سورة آل عمران).



والإيمانُ بالكتب السماوية: وهي كثيرة لكن أشهرها هذه الأربع: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان أي القرآن.

والإيمانُ بالقدر خيره وشره: فالواجب هو الرضا بقدر الله أي تقديره، وأما المقدور فيجب الإيمان بأن كل المقدورات بتقدير الله تحصل، ما كان خيرًا وما كان شرًا، فما كان من المقدور خيرًا يجب الرضا به، وما كان منه شرًا يجب كراهيته، كالكفر والمعاصي.

ومعنى ذلك أن كل ما دخل في الوجود من خيرٍ وشر هو بتقدير الله الأزلي، فالخير من أعمال العباد بتقدير الله ومحبتة ورضاه، والشر من أعمال العباد بتقدير الله لا بمحبتة ورضاه قال تعالى (واعلموا أن الله يحوّل بين المرء وقلبه). قال ابن عباس: «يحوّل بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر»، روى ذلك البيهقي والحاكم في المستدرک.

تنبيه: وليعلم أنه إذا قيل: «والإيمان بالقدر خيره وشره» فإنما المقصود به المقدور أي المخلوق؛ لأن صفة القضاء والقدر لله تعالى كسائر صفات الله لا توصف بالشر.

المبحث الخامس: في بيان كيفية المحافظة على دين الإسلام:

يجب على كل مسلم حفظ إسلامه وصونه عمّا يفسده ويبطله ويقطعه وهو الردّة والعياذ بالله تعالى. وقد كثر في هذا الزمان التساهل في الكلام، حتى إنه يخرج من بعضهم ألفاظ تخرجهم عن الإسلام، ولا يرون ذلك ذنبًا فضلًا عن كونه كفرًا، وذلك مصداق قوله ﷺ: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها في النار سبعين خريفًا»** رواه الترمذي وحسنه، أي يهوي في نار جهنم مسافة سبعين عامًا في النزول، وذلك منتهى جهنم، وهو مكان خاص بالكفار، لا يبلغه عصاة

المسلمين.

فاعلم يا أخي المسلم أنّ هناك اعتقادات وأفعالا وأقوالا تنقض الشهادتين وتوقع في الكفر، لأن الكفر ثلاثة أنواع: كفر اعتقادي، وكفر فعلي، وكفر لفظي، وذلك باتفاق المذاهب الأربعة، وقد ذكر علماء منهم النووي وابن المقري من الشافعية، وابن عابدين من الحنفية، والبُهوتي من الحنابلة، والشيخ محمد عlish من المالكية، وغيرهم فلينظرها من شاء. كذلك غير علماء المذاهب الأربعة من المجتهدين الماضين كالأوزاعي، فإنه كان مجتهداً له مذهب يُعمل به، ثم انقرض أتباعه.

فالكفر الاعتقادي: مكانه القلب، كنفي صفة من صفات الله تعالى الواجبة له إجماعاً، كوجوده، وكونه قادراً، وكونه سميعاً بصيراً، أو اعتقاد أنه نور بمعنى الضوء، أو أنه روح.

قال الشيخ عبد الغني النابلسي: «من اعتقد أنّ الله ملاً السموات والأرض، أو أنه جسم قاعد فوق العرش، فهو كافر وإن زعم أنه مسلم».

والكفر الفعلي: كإلقاء المصحف في القاذورات. قال ابن عابدين: «لو لم يقصد الاستخفاف، لأن فعله يدل على الاستخفاف». أو أوراق العلوم الشرعية، أو أي ورقة عليها اسم من أسماء الله تعالى مع العلم بوجود الاسم فيها، ومن علّق شعار الكفر على نفسه من غير ضرورة فإن كان بنية التبرّك، أو التعظيم، أو الاستحلال، كان مرتدّاً.

والكفر القولبي: وألفاظه كثيرة لا تنحصر، منها أن يشتم الشخص الله تعالى بقوله - والعياذ بالله من الكفر - : «أخت ربك»، أو «ابن الله»، فإنه يقع في الكفر هنا، ولو لم يعتقد أن الله أختاً، أو ابناً. وقد ألف كثيرٌ من الفقهاء أشياء مهمّة ينبغي الاطلاع عليها، منهم الفقيه الحنفي بدر الرشيد - من أهل القرن الثامن الهجري - ألف رسالة سماها «رسالة في ألفاظ الكفر» والقاضي عياض



المالكي - المتوفى في القرن السادس -، وغيرهم من الفقهاء من شافعية ومالكية وغيرهم، فقد ذكروا في مؤلفاتهم كثيراً مما هو ردة، وأكثرهم تعداداً الحنفية، وقال الحافظ الفقيه اللغوي الحنفي محمد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء ما نصه: «وقد أُلّف فيها غير واحد من الأئمة من المذاهب الأربعة رسائل وأكثرها في أحكامها» اهـ. فكل من المذاهب الأربعة أُلّف بعض فقهاءهم رسائل في بيان الكفريات لأنه كان قد ظهر في عصورهم كلمات بين الناس هي كفرٌ، فأرادوا إنقاذ الناس من خطرهما فألّفوا تلك الرسائل، وهذا من أفضل الأعمال، لأن في ذلك إنقاذاً لمن حصلت منه تلك الكلمات من الكفر إلى الإيمان وتحذيراً لمن لم يقع فيها حتى لا يقع فيها. وقد أكثر الشيخ يوسف الأردبيلي الشافعي في كتابه «الأنوار لأعمال الأبرار» من تعداد الألفاظ المكفرة بعضها بالعربية وبعضها بالفارسية، لأن كثيراً من الشافعية في بلاده فارسيون.

والحاصل أن القاعدة المقررة عن العلماء: أن كل اعتقاد أو فعل أو قول يدُل على استخفاف بالله، أو كتبه، أو رُسُلِهِ، أو ملائكتِهِ، أو شعائره، أو معالم دينه، أو أحكامه، أو وعده، أو وعيده كفرٌ، فليحذر الإنسان من ذلك جهده على أي حال.

فائدة مهمة: حُكِم من يأتي بإحدى أنواع هذه الكفريات هو أن تحبط أعماله الصالحة وحسناته جميعها، فلا تُحسب له ذرة من حسنة كان سبق له أن عملها، من صدقة أو حج أو صيام أو صلاة ونحوها. إنها تحسب له الحسنات الجديدة التي يقوم بها بعد تجديد إيمانه. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ (سورة المائدة).

وإذا قال: «أستغفر الله» قبل دخوله في الإسلام بالنطق بالشهادتين، وهو على حالته هذه، فلا يزيده قوله أستغفر الله إلا إثماً وكفراً، لأنه يكذب قول الله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (سورة النساء).

فقد روى ابن حبان عن عمران بن الحصين: أتى رسول الله رجلاً فقال يا

محمد، عبد المطلب خير لقومه منك، كان يطعمهم الكبد والسنام وأنت تنحرهم، فقال له ما شاء الله أي قال ما شاء الله له أن يقول من الرد عليه وتعليمه، فلما أراد أن ينصرف قال: ما أقول، قال: «قل اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري»، فانطلق الرجل ولم يكن أسلم، ثم قال لرسول الله: إني أتيتك، فقلت: علمني، فقلت: «قل اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري»، فما أقول الآن حين أسلمت، قال: «قل اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على أرشد أمري، اللهم اغفر لي ما أسررت، وما أعلنت، وما أخطأت، وما عمدت، وما جهلت». فانظر كيف أن النبي لم يعلمه الاستغفار حتى دخل في الإسلام.

ختاماً: الوقاية من النار:

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة التحريم) وجاء في تفسير الآية أن الله يأمر المؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهلهم النار التي وقودها الناس والحجارة بتعلم الأمور الدينية، وتعليم أهلهم ذلك، أي معرفة ما فرض الله فعله أو اجتنابه، أي الواجبات والمحرمات وذلك كي لا يقع في التشبيه والتمثيل والكفر والضلال. ذلك لأنه من يشبه الله تعالى بشيء ما، لم تصح عبادته، لأنه يعبد شيئاً تخيلاً وتوهمه في تخيلته وأوهامه. قال الإمام الغزالي: «لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود». فتفطن لذلك رحمني الله وإياك، وختم لنا بالوفاة على كامل الإيوان.



الباب الأول

في بركة النبي صلى الله عليه وسلم
والتبرك به وبآثاره
الشريفة

الفصل الأول

في بيان معنى البركة والتبرك لغةً واصطلاحاً

قال الزبيدي في تاج العروس: «برك البركة، محرّكة: النساء والزيادة»، وقال
الفراء: «البركة السعادة وبه فسر قوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللهُ وَبَرَكَتُهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ
الْبَيْتِ﴾ (سورة هود) لأن من أسعده الله تعالى بما أسعده به النبي ﷺ فقد
نال السعادة المباركة الدائمة. قال الأزهري: وكذلك الذي في التشهد.

والتبريك: الدعاء بها نقله الجوهري للإنسان أو غيره، يقال بركت عليه تبريگًا:
أي قلت له: بارك الله عليك. وطعام بريك كأنه مبارك فيه، قاله أبو مالكي.

وقال الراغب في كتابه المفردات في غريب القراءان: «ولما كان الخير الإلهي
يصدر^(١) من حيث لا يحس، وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل _ لكل ما يشهد
منه زيادة غير محسوسة _ هو مبارك، وفيه بركة، وإلى هذه الزيادة أشير بما روي:
إنه لا ينقص مال من صدقة. ويقال: بارك الله لك، وفيك، وعليك، وباركك
أي: وضع فيك البركة».

وفي حديث الصلاة على النبي ﷺ: «وبارك على محمد وعلى آل محمد» أي:
أثبت له وأدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة، قال الأزهري: وهو من برك
البعير: إذا أناخ في موضع فلزمه.

ثم قال: وقوله تعالى: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ (سورة الدخان) يعني ليلة
القدر، لما فيها من فيوض الخيرات. وتبارك الله، أي: تقدس وتنزه وتعالى
وتعظيم، صفة خاصة بالله تعالى لا تكون لغيره.

(١) أي أن ذلك بخلق الله لا أن الله يسمى مصدرًا.

ثم قال: وقال ابن الأنباري: تبارك الله، أي: يتبرك باسمه في كل أمر، وقال الليث: في تفسير تبارك الله: تمجيد وتعظيم، وقال الجوهرى: تبارك الله، أي: بارك مثل قاتل وتقاتل، إلا أن فاعل يتعدى، وتفاعل لا يتعدى. وتبارك بالشىء أي: تفاعل به، عن الليث^(١).

يقول الراغب الأصبهاني^(٢): «البركة ثبوت الخير الإلهي في الشىء، قال تعالى: ﴿لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة الأعراف) وسمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير» أي الذي فيه ذلك الخير.

وقال الخازن في تفسيره لباب التَّأْوِيلِ في معاني التَّنْزِيلِ^(٣) عند تفسيره لهذه الآية ما نصه: «وبركات السماء المطر وبركات الأرض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات، وكل ذلك من فضل الله تعالى وإحسانه على عباده. وأصل البركة ثبوت الخير الإلهي في الشىء، وسمي المطر بركة لثبوت البركة فيه، وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض، لأنه نشأ عن بركات السماء وهي المطر».

فيتلخص أن معاني البركة وتصارينها هي على النحو الآتي :

١- البركة (مُحَرَّكَةٌ) :

أ- النماء والزيادة.

ب- السعادة المباركة الدائمة، ومنه قوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

الْبَيْتِ﴾ (سورة هود).

(١) وانظر لسان العرب لابن منظور.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص ١١٩).

(٣) التَّأْوِيلِ في معاني التَّنْزِيلِ (٢/٢٦٦).

وكذا قولنا اللهم بارك على محمد أي أثبت له وأدم له ما أعطيته من التبريف والكرامة.

وتجمع على بركاتٍ وهو في قوله: ﴿لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة الأعراف).

٢- التبرك: أي طلب البركة.

٣- التبريك: الدعاء بالبركة للإنسان وغيره، يقال بَرَّكْتُ عليه تبريكاً أي قلت: بارك الله عليك، وفي النهاية لابن الأثير^(١): «وفي حديث أم سليم: «فحنكه وبرك عليه أي دعا له بالبركة» اهـ.

٤- بريك: يقال طعام بريك كأنه مبارك فيه.

٥- مبارك: أي لما فيه من فيوض الخيرات، قال في المصباح المنير^(٢): «بارك الله تعالى فيه فهو مبارك والأصل مبارك فيه»، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (سورة الدخان) - وهي ليلة القدر - قال القرطبي في تفسيره^(٣): «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً، جعله مباركاً يتضاعف العمل فيه، فالبركة كثرة الخير.

٦- تبارك: أنت تقول: تبارك الله أي تقدس وتنزه وتعالى وتعظم، صفة خاصة بالله تعالى لا تكون لغيره، فهو تمجيد وتعظيم.

الله خالق الأسباب والمسببات

والتبرك لغة كما مر معك هو طلب البركة أي الخير. وأما اصطلاحاً فهو:

(١) النهاية (١/ ١٢٠).

(٢) المصباح المنير مادة: ب رك.

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ١٣٩).

طلب الحصول على الخير على وجه السبب، معناه أنا أريد من الله أن يجعل لي البركة من أجل الرسول أو الولي، وليس المراد أن يخلق الرسول أو الولي البركة، لأن عقيدة كل مسلم أن الأنبياء والأولياء لا يخلقون شيئاً، بل هم أسباب، والله يخلق البركة.

وهذا جبريل يقول لمريم: ﴿لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (سورة مريم) وهو يعلم وهي كذلك أن ذلك ليس بمعنى الخلق إنما بمعنى السبب، وسترى بيان الفقه المستفاد من هذه الآية عندما نبين في فصل لاحق - بإذن الله - أن التوسل نوع من أنواع التبرك.

واعلم - أرشدنا الله وإياك - أن التبرك بأثار الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - سنة مأثورة عند المؤمنين، لما لهم من الفضل على سائر الخلق، والكرامة عند الله تعالى.

ومن المهم المفيد أن نذكر أن الله خالق الأسباب والمسببات، وأن الله هو الشافي والمعافي، وأن الطيب والدواء سببان، والله يحب من عباده الأخذ بالأسباب في عمل الخيرات للتوصل إليها، فهذا لا ينافي مبدأ التوكل على الله سبحانه وتعالى، فبهذا علم أن التبرك بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وءاثارهم ولباسهم ومقتنياتهم ليس عبادة لهم، وإنما هو أخذ بالأسباب، فالله هو النافع والضار على الحقيقة، فالتبرك بالصالحين وءاثارهم هو عمل من الدين، وقد علمه الأنبياء والمرسلون لأقوامهم، فهو ليس بدعة قبيحة تخالف دين الله.

جعل الله الدنيا على الأسباب والمسببات بمشيئته، ومنكرو التوسل يقولون: لماذا تجعلون واسطة بقولكم اللهم إني أسألك بعبدك فلان؟ الله لا يحتاج إلى واسطة. يقال لهم: الواسطة قد تأتي بمعنى المعين والمساعد وهو محال بالنسبة إلى الله تعالى، أما الواسطة بمعنى السبب، فالشرع والعقل لا ينفيانه، فالله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها، جعل الأدوية أسباباً للشفاء، وهو خالق الأدوية وخالق الشفاء، لذلك تجدي في كتاب الله قول الله تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه

الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) (سورة الشعراء) هذه الآية أفادت أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بيّن أن الله تعالى هو خالق الشفاء على الحقيقة وهذا اعتقاد المسلمين، ولذلك أمثلة في كتاب الله كثيرة.

قال الله تعالى في حق ملك الموت: ﴿قُلْ يَتُوفَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (سورة السجدة) فهذا أخبر أن الذي يباشر قبض الأرواح هو ملك الموت لا على معنى الخلق، إنما على معنى السبب، ولذلك تجدد في آية أخرى قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (سورة الزمر) لأن الله جعل للملائكة تدبيراً خاصاً بإذنه سبحانه كما قال: ﴿فَالْمُدْرِيَاتِ أَمْرًا﴾ (سورة النازعات) فهي أسباب لا تخلق شيئاً إنما تدبر نزول المطر والنبات وغير ذلك بإذن الله وكذلك فإن الله يقول: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ (سورة الأنفال) مع أن الصحابة هم من باسروا وقتل المشركين في المعارك، ولكن الله أفهمنا أنه هو خالق الموت؛ وكذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (سورة الأنفال) هذه الآية فيها نفي وإثبات، مع أن المتكلم عنه هو شخص واحد وفي واقعة واحدة، فلا بد أن يكون المقصود من النفي غير المقصود من الإثبات، وإلا كيف اجتمع النفي والإثبات في آية واحدة، عن شخص واحد في واقعة واحدة لفعل واحد؛ ولذلك قال أهل التفسير ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد خلقاً ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ كسبا وهو قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (سورة البقرة) ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ أي أن الله هو خالق الرمي وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة الرعد) وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ﴾ (سورة فاطر)، إلى غيرها من الآيات التي تفيد هذا المعنى، وفي القرءان مواضع كثيرة تؤكد هذا المعنى، من ذلك قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ (سورة النحل) ففي الآية بيان واضح لذي عينين أن الله تعالى هو الخالق، ولذلك قال ربنا في سورة الواقعة: ﴿فَخُنْ خَلْقَنَّاكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾ (٥٧) ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٥٨) ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُمْ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (٥٩) ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٦٠) ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ لَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦١) ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾

﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَرْعَوْنَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴿سورة الواقعة﴾.

وقال في سورة النجم: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ (سورة النجم) وهو معنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿١٦٣﴾﴾ (سورة الأنعام) فكما أنه خالق الموت والحياة، وذلك ما لا يخفى أنه ليس بخلق العبد. كذلك هو خالق الضحك والبكاء، وهو الذي مكَّننا من أداء الصلوات وذبح النسك - أي الهدى - وإن كنا نحن من يباشر ذلك، وذلك كله نجد معناه صريحاً وواضحاً وساطعاً في بعض قصص القرءان، وذلك في قصة محاولة إحراق نبي الله إبراهيم عليه السلام، التي انغرس في قلوب أهل الإيمان، أهل التوحيد من العامة والخاصة تأكيداً ما أسلفناه، وذلك أن قوم إبراهيم أوقدوا النار له كما نسمع ذلك في قول الله تعالى إخباراً عنهم: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿٦٨﴾﴾ (سورة الأنبياء) ورُمي إبراهيم في النار وهو ثابت الفؤاد، فلما صار فيها لم تحرق جسد إبراهيم ولا ثيابه ولا شعره، ومع ذلك أحرقت القيد الذي ربط به إبراهيم، فدل ذلك - كما دلت الآيات التي ذكرناها لك - أن خالق الإحراق هو الله تعالى لا النار، وكان في حكم الله الأزلي، أن النار لن تحرق إبراهيم، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ (سورة الأنبياء) فردَّ الله كيدهم ونجَّى نبيه إبراهيم ﷺ، وكذلك في قصة الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام حيث أمر إبراهيم نبي الله ﷺ السكين على رقبة إسماعيل، فلم تحك شيئاً، أي لم تقطع مع أنها كانت حادة. وذلك ما بينه الله في كتابه إخباراً عن إبراهيم وإسماعيل: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٦﴾ قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (سورة الصافات) فنفَّذ إبراهيم أمر الله، وقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُؤْمِنُ ﴿١٠٦﴾ وَقَدَيْتُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (سورة الصافات). ففهم أهل الإسلام من كل ما سبق، أن الخالق على الحقيقة هو الله خالق الأسباب والمسببات، فوجب أن نعتقد أن الماء لا يخلق الرِّي، وأن الطعام لا يخلق الشبع، وأن الدواء لا يخلق الشفاء، كما

أنَّ السكين لا تخلق القطع والنار لا تخلق الإحراق، وإنما هي أسباب عادية خلقها الله تعالى وأجرى مسيبتها على مَنْ شاء، وعليه فلا يجوز اعتقاد أن هذه الأسباب تخلق بذاتها المسببات، فمن اعتقد فيها التأثير والنفع والضرر خلقاً وإيجاداً، كالذي يكون من الله تعالى فهو مشرك مرتد عن الإسلام والعياذ بالله تعالى.

فمن كل ما تقدم، يُعلم حقَّ العلم أننا في إجازتنا التوسّل لا نحوم حول الشرك ولا ندنو منه، لأننا نعتقدُ جزمًا أن الله تعالى هو المؤثر في هذه الأمور باديها وخافيتها، وهذا الاعتقاد سالكٌ منّا مسلك الروح في الجسد، ولولا أن التوسّل سبب من أسباب الانتفاع ما علّم رسول الله ﷺ الأعمى التوسّل به؛ ثم الله تعالى هو خالق التوسّل وخالق النفع الذي يحصل به بإذن الله، فالتوسّل بالأنبياء والأولياء من باب الأخذ بالأسباب وهو جائز وسائغ عند أهل الحق، بل إنه مستحب إذ هو من أسباب إجابة الدعاء وليس فيه أدنى شبهة بالشرك، لأن الله تعالى هو المدعو وحده لا شريك له في الخلق والتأثير، فما من ضرر يلحق الداعي ولا من لوثٍ يمسُّ عقيدة التوحيد فيه، وكلُّ شبهة تحوم حول تحريم التوسّل أو التبركٍ محضٌ توهم، والفقهاء يقولون لا عبرة للتوهم.

فالأَسباب إما ضروريةٌ كالأكل والشرب، وإما غير ضرورية كالتوسّل، وكلٌّ من جملة الأسباب، والمؤمن الذي يتوسّل بالأنبياء والأولياء لا يعتقد أن الله يستعين بهم في إيصال النفع للمتوسّل، بل يراهم أسبابًا جعلها الله لحصول النفع بإذنه. ثم إنَّ مقصود المتوسّل قد يحصل وقد لا يحصل، كما أن الذي يتداوى بالأدوية قد يحصل له الشفاء بها وقد لا يحصل، كذلك زيارة قبور الأنبياء والأولياء للتبرك رجاءٌ إجابة الدعاء عندها، جعلها الله سببًا لحصول المنفعة وذلك معلومٌ بين المسلمين عوامهم وخواصهم، ما كان ينكره أحدٌ قبل الحرّاني. فقول هؤلاء المنكرين لم تجعلون وسائط بينكم وبين الله، ولم لا تطلبون حاجاتكم من الله من غير واسطة كلامٌ لا معنى له، لأن الشرع رخص للمؤمن بين أن يطلب من الله حاجته بدون توسّل، وبين أن يطلب حاجته مع التوسّل، فالذي يقول اللهم إني أسألك بنبيك أو بجاه نبيك أو نحو ذلك، فقد سأل الله،



كما أن الذي يقول اللهم إني أسألك كذا وكذا قد سأل الله، فكلا الأمرين سؤال من العبد ربّه وكلاهما داخلٌ تحت حديث: «**إذا سألت فاسأل الله**» فالأمر ليس كما يزعم من يرمي الناس بالضلالة لمجرد التوسل والتبرك بالأنبياء والصالحين، وكل ما يحصل منهم منذ أن نشر الحرّاني في الناس هذا الاعتقاد الفاسد، فيما يتعلق بالتوسل وزيارة القبور للتبرك من تضليل وتكفير، فوبأله عليهم وعلى إمامهم لأن ذلك داخل تحت حديث: «**ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده**».

ولا شك أن آثار رسول الله ﷺ صفوة خلق الله وأفضل النبيين أثبت وجوداً وأشهرُ ذكراً وأظهر بركة، وقد شهدها الجمع الغفير من أصحابه، وأجمعوا على التبرك بها والاهتمام بجمعها، وهم الهداة المهديون، والقادة الصالحون، فتبركوا بشعراته ﷺ، وبفضل وصورته^(١)، وبعرقه وبثيابه وءانيته، وبمس جسده الشريف، وبماء جبّته، كما ثبت عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وبغير ذلك مما عُرف من آثاره الشريفة التي صحت بها الأخبار عن الأخيار. فلا جرم أن كان التبرك بها سنة الصحابة رضي الله عنهم. وقد اقتفى آثارهم في ذلك من نهج نهجهم من التابعين وصلحاء المؤمنين. وقد وقع التبرك ببعض آثاره ﷺ في عهده، وأقره ولم ينكره على المتبرك، فدل ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعاً لنهى عنه ﷺ وحذر منه، بل تدل الأخبار الصحيحة وإجماع الصحابة على مشروعيته كما ستري ذلك واضحاً في أبواب هذا الكتاب وفصوله إن شاء الله.



(١) الوضوء: بفتح الواو وهو الماء الذي يتوضأ به.

الفصل الثاني

في بيان مشروعية التبرك بالنبي ﷺ وبآثاره الشريفة

المبحث الأول: ذكر شواهد عامة على البركة والتبرك في الكتاب والسنة

١. الكعبة: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ۖ ﴾ (١٦)

(سورة آل عمران)

فهو بناء قال عنه ربنا (مبارك) أي أن الله خصه ببركة عظيمة، فهو وإن كان من حيث ذاته بناءً كباقي الأبنية من حجر، لكن الله عظمه حتى سمت درجته على باقي البيوت، وتمييز عن سائر الأمكنة، وصار الناس يطوفون حوله، ويتخذونه قبلة التزاماً بأمر الله. ومن الدليل على أن الكعبة يتبرك بها ما قاله الزركشي^(١): «فمن أراد التبرك (بالكعبة) أتى بطيب من عنده فمسحها به ثم أخذه» قاله النووي في الروضة من زوائده ورأيته منقولاً عن النبي ﷺ في نسخة رأيتها منقولاً عن أحمد ابن حنبل رضي الله عنه، قال عطاء: كان أحدنا إذا أراد أن يستشفى به جاء بطيب من عنده فمسح به الحجر وهذا دليل واضح على جواز التبرك بالكعبة والحجر الأسود.

٢. الحجر الأسود: أصله من الجنة، أهبط مع آدم عليه السلام. لا يخلق

نفعاً ولا ضرراً، غير أنه ثبت بلا خلاف ولا نكير بين المسلمين أن رسول الله ﷺ قبله، وهكذا أصبح الناس يقبلونه في كل شوط في الطواف، وإلا قبلوا ما يثيرون به إليه وإن كان يداً أو عصاً، ولا شرك في ذلك كله إلا عند

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ١٤٣

من يزيد على رسول الله ﷺ، وكان في ديننا ثلثة أو ثغرة تحتاج لمن يرفعها، وذلك ما لا يقوله مسلم.

وفي الدر المنثور^(١): أخرج الأزرقى والجندي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لولا ما طبع من الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها وأيدي الظلمة الآثمة لاستشفي به من كل عاهة».

وأخرج الأزرقى عن ابن عباس: «ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام، فإنهما جوهرتان من جواهر الجنة، ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله» وأخرج الطبراني بمعناه.

وأخرج الحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر قال: «استقبل النبي ﷺ الحجر فاستلمه، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، فالتفت فإذا عمر يبكي فقال: **يا عمر ههنا تسكب العبرات**».

٣. **مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام**: وهو كذلك حجر أصله من الجنة، أُهبط أيضاً مع آدم عليه السلام، فيه يظهر قدم إبراهيم عليه السلام في الصخرة الصماء، ولولا أن المولى أمر باتخاذ مصلى وعظمه بقوله: **﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾** (سورة البقرة) لما صلينا خلفه ولا عظّمناه ذلك التعظيم، فلم يُبَيِّط نفاة التبرك من أراد الصلاة عنده عن ذلك؟!!

فإذا كان هذا في الحجر الذي وقف عليه إبراهيم عليه السلام فيه هذه البركة، فكيف بمكان سجد فيه رسول الله ﷺ، وهو مما ثبت أن عدداً من الصحابة كانوا يجرون على الصلاة عند تلك الأماكن، ومنهم عبد الله بن عمر وعتبان بن مالك.

فقد أخرج البخاري في صحيحه^(٢) عن موسى بن عقبة قال: رأيت

(١) الدر المنثور (١/٢٦٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب المساجد التي على طرق المدينة.

سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصل في فيها، وأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة. قال موسى: وحدثني نافع أن ابن عمر كان يصلي في تلك الأمكنة.

وأخرج البخاري أيضًا في صحيحه^(١) حديث طلب عتبان بن مالك من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يصلي له في مكان من بيته ليتخذ مصلًا لما ضُغف بصره وخاف من حيلولة السيل بينه وبين المسجد النبوي، فجاءه النبي ﷺ في بيته، فصلى فيه، فصفوا خلفه.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وستراها إن شاء الله في موضعها.

٤. صلاة النبي بطالب جبريل في طيبة وطور سيناء وبيت لحم:

جاء في بعض أحاديث الإسراء أنه ﷺ لما أُسري به، وهو راكب البراق وبصحبه جبريل الأمين عليه السلام، سار حتى بلغوا أرضًا ذات نخل، فقال له جبريل: انزل فصلًا هنا. قال: «فصليت»، ثم ركب، فقال جبريل: أتدري أين صليت؟ قلت: «لا» قال: صليت بטיبة، وإليها المهاجر، فانطلق به البراق فقال له جبريل: انزل فصلًا، قال: «فصليت»، فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: «لا» قال: صليت بطور سيناء عند شجرة موسى، حيث كلمه ربه، ثم انطلق به البراق فقال له: انزل فصلًا، قال: «فصليت» فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: «لا»، قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى ابن مريم، إلى آخر ما جاء في الحديث الذي ورد بروايات متعددة.

وأصل الحديث صحيح رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة^(٢).

فيؤخذ من هذا أن كل موضع وأثر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام يصلى فيه ويتبرك فيه، فالموضع الذي ولد فيه النبي محمد ﷺ أو صلى فيه، وكذلك قبره

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: كتاب المساجد في البيوت.

(٢) دلائل النبوة (ج ٢/ ٣٥٥).

الشريف أعظم بركة من باب أولى، هذا عند المؤمن المسلم لنبيه ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء) وبعد وفاته ﷺ نُحَكِّمُ كتاب الله وسنة نبيه، وهما لا يتعارضان بل يُصَدِّقَانِ بعضهما بعضاً، وستأتيك الإجابات والأخبار والآثار.

5. البركة حول بيت المقدس: قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾ (سورة الإسراء) وقد علم الناس البركة التي جعلها الله في ثمار هذه البلاد، فاعتبروا يا أولى الأبصار!!

6. طور سيناء: قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (سورة طه) وهو الموضع الذي ناجى فيه موسى ربه، والذي صلى فيه رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام أيضاً ليلة الإسراء. وما معنى المقدس؟ إنه المطهر. ولم الإشارة إليه في الآية؟ أليس لما له من هذه المزية التي ميّزه الله بها لا العباد؟! قال العلامة ابن العماد^(١): قال بعض المفسرين: ولأجل المعنى السابق أمر الله تعالى موسى عليه السلام بخلع نعليه ليباشر بقدميه الأرض المقدسة فينال بركتها بمباشرته إياها بالمشي عليها.

7. قميص يوسف عليه السلام: قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة يوسف) ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (سورة يوسف) ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (سورة يوسف) ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة يوسف).

(١) تسهيل المقاصد لزوار المساجد ص ٨٩.

وقال العلامة شهاب الدين أحمد ابن العماد^(١): وما أحسن قول يوسف عليه السلام لأخوته اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا أراد أن يعم بركته جملة بدنه والوجه يعبر به عن جملة البدن ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (سورة الأنعام) قيل وكان ذلك القميص من الجنة.

فإذا كانت هذه البركة العظيمة والشفاء الكبير ليعقوب النبي الكريم عليه السلام وقد حصل باللقاء قميص سيدنا يوسف عليه السلام بطلب منه على وجه سيدنا يعقوب عليه السلام وكلاهما نبي، لأن هذا القميص لامس جسد يوسف عليه السلام (اذهبوا بقميصي)، فكيف بقميص نبي الله محمد ﷺ، وكذا ما كان من أثاره الشريفة، أو شعره المبارك إنه بلا شك أكبر بركة وأعظم فائدة؛ لأن شعره الشريف خرج من جسده ﷺ، والنبي كله بركة بلا ريب، وهذا دليل من القراءان على حصول الشفاء، وذهاب الأمراض بآثار الأنبياء والصالحين بإذن الله.

٨. **بركة يوسف بعد موته:** روى الخازن في تفسيره^(٢): لما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام، وقيل من حجارة المرمر، وذلك أنه لما مات يوسف تشاح^(٣) الناس فيه، فطلب كل أهل محلة أن يدفن في محلتهم رجاء بركته، حتى هموا أن يقتتلوا، ثم رأوا أن يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه، ويتفرق عنه، وتصل بركته إلى جميعهم.

وقال عكرمة: إنه دفن في الجانب الأيمن من النيل فأخصب ذلك الجانب وأجذب الجانب الآخر، فنقل إلى الجانب الأيسر فأخصب وأجذب الجانب

(١) تسهيل المقاصد لزوار المساجد ص ٩٠.

(٢) تفسير الخازن (٣/٣١٩).

(٣) قال في مختار الصحاح (ص ٣٥٤): «وتشاح الرجلان على الأمر لا يريدان أن يفوتها».

الأيمن، فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فأخصب الجانبان، فبقي إلى أن أخرجته موسى عليه الصلاة والسلام، وحمله معه حتى دفنه بقرب آباءه بالشام في الأرض المقدسة.

9. **التابوت في زمن بني إسرائيل:** قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ

نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ (سورة البقرة)

كان بنو إسرائيل يحفظون على التابوت، وهو صندوق التوراة المبارك، وكان من خشب وعليه صفائح الذهب، طوله عدة أذرع بعرض ذراعين. وقيل إنه أنزل على سيدنا آدم عليه السلام، فتناقله أولاد آدم من الأنبياء حتى وصل إلى موسى عليه السلام، فبقي عنده إلى أن مات، وكان من أمر التابوت أن فيه السكينة، وهي روح من خلق الله تتكلم، فكانوا إذا اختلفوا في أمر نطقت وحكمت بينهم، وكانوا إذا حضروا القتال قدّموه بين أيديهم فينشر في قلوبهم سكينة واطمئناناً، ويبعث في قلوب أعدائهم هلعاً ورعباً، تحمله من فوقهم الملائكة أثناء العراك، فإذا سمعوا منه صيحة استيقنوا النصر، وكان فيه بالإضافة إلى السكينة طست من ذهب كانت تُغسل فيه قلوب الأنبياء، ولوحان من التوراة، وعصا موسى وهارون، وثيابها وعمّاتهما، وشيء من متاعهما.

وذكر أمر التابوت الطبري في تاريخه، وأكثر المفسرين، ومنهم القرطبي في تفسيره^(١)، ومما قاله: «اختلف الناس في السكينة والبقية، - ثم قال - والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وءاثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى.

(١) تفسير القرطبي (٣/٢٤٧-٢٤٩).

وقد بينَّ الحافظ السيوطي في الدر المنثور^(١) الأسانيد لتفسير قوله تعالى :
﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى ﴾ (سورة البقرة). فمن شاء فلينظرها.

١. تعظيم النبي ﷺ لقدر ماء زمزم: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له» رواه ابن ماجه، وأحمد في المسند، والبيهقي في السنن، وصححه ابن عيينة، والسيوطي في حاشيته على سنن ابن ماجه.

وقد أطبقت وأجمعت الأمة على جواز التبرك بها والدعاء عند التبرك بها، وسيأتي أن النبي ﷺ دعا بدلو من ماء زمزم، ثم تضمض ومجَّ فيه، وأمر به فأهريق في زمزم. فما زالت البركة فيه من أثر ريق النبي إلى أيامنا هذه.

١. تربة أرض المدينة المنورة: روى البخاري في صحيحه^(٢) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى سقيمنا، بإذن ربنا».

فأرض المدينة المنورة بركة، وهوؤها فيه بركة، وترابها فيه بركة، ولذلك كان الإمام مالك رضي الله عنه يمشي فيها ولا يركب؛ لأن رسول الله ﷺ مدفون فيها، ولأنه كان يرجو أن يصيب بقدميه موضعاً أصابته قدم النبي ﷺ تبركاً.

وقد قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة» رواه البخاري في الصحيح^(٣).

فمن دخل مدينة رسول الله ﷺ فليغتتم كل أوقاته في الطاعة، وتتبع أثار النبي والصحابة الكرام؛ فإن العلماء الأكارم والصالحين كانوا إذا دخلوها سعوا جاهدين أن ينالوا من عظيم بركاتهما، حتى إنهم كانوا يشربون

(١) الدر المنثور (١/٧٨٥).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الطب: باب رقية النبي ﷺ.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة.

من لبن نوق المدينة يقولون: لعل هذه الناقة أكلت من عشبٍ نبت في أرض داس عليها رسول الله ﷺ!!

وقال العلماء يستحب لزائر المدينة أن يأتي بئر أريس، التي روي أن النبي ﷺ تفل فيها، وهي عند مسجد قباء، فيشرب من مائها ويتوضأ منه.

كما يستحب أن يأتي الآبار التي كان رسول الله يتوضأ منها ويغتسل، فيشرب ويتوضأ، وهي سبع آبار.

ذكر استحباب ذلك ابن حجر في حاشية الإيضاح على مناسك النووي.

وفي فتح الباري للحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني الذي ضلله نفاة التبرك بأثار الصالحين ما نصه: «الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبتة في النبي ﷺ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة، لأنه في زمن النبي ﷺ للتعلم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم، ومن بعد ذلك لزيارة قبره ﷺ، والصلاة في مسجده والتبرك بمشاهدة آثاره وءاثار أصحابه».

١٢. بركة ورد علمه النبي ﷺ لفاطمة وعلي رضي الله عنهما:

عن علي رضي الله عنه قال: شكت فاطمة رضي الله عنها ما تلقى من أثر الرّحى^(١) في يدها، قال: فذهبت إلى رسول الله ﷺ تسأله خادماً فلم تره، قال: فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها، فلما جاء ذكرت له، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم، فقال مكانك، ثم جلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال ألا أدلكما على ما هو خيرٌ لكما من خادم^(٢)!؟

(١) أي بسبب طحن الدقيق.

(٢) أي جارية تخدمكما، وهو يُطلق على الذكر والأنثى.

قال العيني وجه الخبرية إما أن يراد به أنه يتعلق بالآخرة والخادم بالدنيا، والآخرة خيرٌ وأبقى، وإما أن يراد بالنسبة إلى ما طلبته بأن يحصل لها بسبب هذه الأذكار قوة تقدر على الخدمة أكثر مما يقدر الخادم. [من كتاب تحفة الأحوذى، باب ما جاء في التسييح الجزء ٨ صحيفة ٣٠٦].

إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبراً أربعاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكم من خادم. رواه البخاريُّ ومسلم والبيهقي.

المبحث الثاني: ذكر الأدلة التفصيلية على استحباب التبرك بالنبِيِّ ﷺ، وبآثاره الشريفة:

المطلب الأول: في التبرك به ﷺ حال حياته ؛ وفيه:

أولاً: التبرك بجسده الشريف وأعضائه الشريفة ﷺ:

ومن ذلك أن الله تعالى جعل لريقه الشريف ﷺ خصائص ظاهرة باهرة إكراماً لحبيبه ﷺ، فريقه الشريف ﷺ شفاء للعليل ورواء للغليل، وغذاء وقوة وبركة ونماء، فكم داوى ﷺ بريقه الشريف من مريض فبراً من ساعته بإذن الله!!

فقد ورد في قصة سيدنا علي كرم الله وجهه يوم غزوة خيبر حين كان يشتكي من عينيه، كما روى البخاري في صحيحه^(١) عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه».

(١ / ١) وفي رواية له أيضاً: «رجلاً يحب الله ورسوله» أو قال: «يجب الله ورسوله»، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال ﷺ: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: «فأرسلوا إليه، فأتوني به»، فلما جاء بصق في عينيه، ودعا له، فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاها الراية..... الحديث.

(٢ / ١) روى البخاري^(٢) عن يزيد بن أبي عبيد الله رضي الله عنه قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة

(١) كتاب المغازي: باب غزوة خيبر.

(٢) كتاب المغازي: باب غزوة خيبر.

أصابتنى يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي ﷺ، فنفت فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة.

(٣/١) أخرج أحمد في مسنده^(١) والبيهقي في دلائل النبوة^(٢) عن خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: أتيت النبي ﷺ أنا ورجلٌ من قومي في بعض مغازيه، فقلنا: إنا نشتهي معك مشهدًا. قال: **«أأسلمتم؟»** قلنا: لا، قال: **«إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين»**. قال فأسلمتُ وشهدتُ مع رسول الله ﷺ فأصابتنى ضربة على عاتقي فخانتنى، فتعلقت يدي، فأتيت النبي ﷺ فتغلَّ فيها وأزرقها، فالتأمت وبرئت، وقتلتُ الذي ضربني، ثم تزوجت ابنة الذي ضربته فقتلته. وحدثني، فكانت تقول: لا عَدِمْتُ رجلاً وَشَحَكَ هذا الوشاح، فأقول: لا عَدِمْتُ رجلاً عَجَّلَ أباك إلى النار.

(٤/١) وقد دعا ﷺ لعلي كرم الله وجهه بذهاب الحر والبرد عنه، فما كان علي رضي الله عنه يجد بعد ذلك حرًّا ولا بردًا؛ فكان يلبس في الحر الشديد القباء المحشوَّ الثخين، وفي البرد الشديد ثوبين خفيفين.

١ - وروى البيهقي والحاكم أن الصحابي قتادة بن النعمان الأنصاري سقطت عينه يوم غزوة أحد فردّها النبي المصطفى ﷺ فكانت المردودة أحدًا وأحسن من العين الصحيحة، أي أشد حِدَّةً وأقوى نظرًا من السالمة، ولذلك قال القائل: **[من البسيط]**

إن كان عيسى برا الأعمى بدعوته فكم براحتة قد ردّ من بصر

٢ - روى ابن حجر في الإصابة^(٣) والبيهقي في دلائله^(٤)، وأخرجه ابن

(١) مسند أحمد (ج ٣/٤٥٤).

(٢) دلائل النبوة (٦/١٨٧).

(٣) الإصابة (٤/٧٠٤).

(٤) دلائل البيهقي (٦/٢٣٠).

شاهين في دلائله عن أبي الطفيل رضي الله عنه: أن رجلاً كان يقال له: فراس بن عمرو - من بني ليث - أصابه صداع شديد، فذهب به أبوه إلى النبي ﷺ، فشكى إليه الصداع الذي به، فدعا رسول الله ﷺ فرأساً فأجلسه بين يديه، وأخذ بجلدة ما بين عينيه فجذبها، فانتفضت، فبنت في موضع أصابع رسول الله ﷺ من جبينه شعرة، وذهب عنه الصداع، فلم يصدع. وفي رواية: «فرأيتها كأنها شعرة قنفذ». وفي خلافه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «فهم بالخروج على علي رضي الله عنه مع أهل حروراء، قال: فأخذه أبوه وأوثقه وحبسه، فسقطت تلك الشعرة، فلما رءاها قد سقطت شق عليه ذلك، فقيل له: هذا ما هممت، فأحدث توبة، فأحدث وتاب» قال أبو الطفيل رضي الله عنه: «فرأيتها قد سقطت، ورأيتها بعدما نبتت».

٣- ذكر البيهقي في دلائل النبوة^(١): روى رجل من قريش من آل الزبير رضي الله عنه أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أصابها ورم في رأسها ووجهها، وأنها بعثت إلى عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما: اذكري وجعي لرسول الله ﷺ لعل الله يشفيني، فذكرت عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ وجع أسماء، فانطلق رسول الله ﷺ حتى دخل على أسماء رضي الله عنها، فوضع يده على رأسها ووجهها من فوق الثياب، فقال: **«بسم الله، أذهب عنها سوءه وفحشته، بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك، بسم الله»**. صنع ذلك ثلاث مرات، فأمرها أن تقول ذلك، فقالت ذلك ثلاثة أيام فذهب الورم.

٤- أخرج الطبراني في الكبير^(٢)، والبيهقي في دلائل النبوة^(٣) عن مخلد بن عقبة بن عبد الرحمن بن شرحبيل الجعفي عن جده عبد الرحمن عن أبيه رضي الله عنهما، قال: «أتيت النبي ﷺ وبكفي سلعة^(٤)،

(١) دلائل النبوة (٦/١٨١).

(٢) المعجم الكبير (٧/٣٠٦).

(٣) دلائل النبوة (٦/١٧٦).

(٤) السلعة: زيادة تحدث في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة / الصحاح/.

فقلت: يا رسول، هذه السَّلعة قد اذتني، تحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه، وعنان الدابة، قال: «**ادنُ منِّي**» فدنوت منه فقال: «**افتح كفَّك**» ففتحتها، فنفت في كفِّي ووضع كفَّه على السَّلعة، فما زال يطحنها بكفِّه حتى رفعها عنها، وما أدري أين أثرها».

٥- أخرج أحمد في مسنده^(١)، والبيهقي في دلائله^(٢)، والحاكم في المستدرک^(٣)، عن محمد بن حاطب عن أبيه عن أمِّه أم جميل أم محمد بن حاطب رضي الله عنهما قالت: أقبلت بك من أرض الحبشة، حتى إذا كنتُ من المدينة بليلة أو ليلتين، طبختُ لك طيخًا، ففني الحطب، فرحُتُ أطلب الحطبَ، فتناولت القدرَ فانكفأت على ذراعك، فقدمتُ المدينة، فأتيتُ بك النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب، وهو أول من سُمِّي بك، فمسح على رأسك ودعا بالبركة ثم تفل في فيك، وجعل يتفل على يدك وهو يقول: «**أذهب البأس ربَّ الناس، اشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**». قالت: فما قمتُ بك من عنده حتى برئت يدك.

٦- أخرج الطبراني في الكبير^(٤) عن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي رضي الله عنهما قالت: كنا عند عتبة أربع نسوة، وما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيَّب من صاحبتهَا، وما يمسُّ عتبة رضي الله عنه الطيب إلا أن يمسَّ دهنًا ويمسح به لحيته، وهو أطيَّب منا. وكان إذا خرج إلى الناس قالوا: ما شَمَمْنَا ريحًا أطيَّب من ريح عتبة رضي الله عنه. فقلتُ له يومًا: إنَّا لنجتهد في الطيب ولأنت أطيَّب ريحًا منا، فَمِمَّ ذلك؟ قال: أخذني الشرى^(٥)

(١) مسند أحمد (٣/٤١٨).

(٢) دلائل البيهقي (٦/١٧٤).

(٣) مستدرک الحاكم (٤/٧٠).

(٤) المعجم الكبير (١٧/١٣٣).

(٥) الشرى: بثور حمر كالدرهم تصيب الجلد بحكة مؤلمة / المعجم الوسيط/.

على عهد رسول الله ﷺ فأتيته فشكوت ذلك إليه، فأمرني أن أتجرّد، فتجرّدتُ وقعدتُ بين يديه، وألقيت ثوبي على فرجي، فنفت في يده ثم مسح ظهري وبطني بيديه، فعَبَّقَ بي هذا الطيب من يومئذ.

٧- روى البيهقي في دلائل النبوة^(١): اشتكى عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه فجعل يدعو، فقال النبي ﷺ: «اللهم اشفه وعافه» ثم ضربه برجله، فما اشتكى ذلك الوجع بعد. ضرباً خفيفاً على وجه الملاطفة والمباينة.

٨- أخرج أحمد في مسنده^(٢)، والحميدي في مسنده^(٣): لما أثقل بالجراحة خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه يوم حنين، أتاه النبي ﷺ يقول: «من يدلني على رجل خالد؟» حتى دُلَّ عليه، فوجده قد أُسند إلى مؤخرة رحله، فنفت على جرحه فبرئ.

٩- ذكر الهيثمي^(٤)، والبيهقي^(٥): أن رسول الله ﷺ نفث على ساعد علي بن الحكم رضي الله عنه يوم الخندق لما انكسرت، فبرئ مكانه، وما نزل عن فرسه.

١٠- روى البيهقي في دلائله^(٦): روى أسامة بن زيد رضي الله عنه: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الحجّة التي حجّها، حتى إذا كان ببطن الرّوحاء^(٧) نظر إلى امرأة تؤمّه، فحبس راحلته، فلما دنت منه، قالت: يا رسول الله، هذا ابني - والذي بعثك بالحق - ما أفاق من يوم ولدته إلى يومه هذا، قال: فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه فيما بين صدره وواسطة الرّحل، ثم تفل في فيه

(١) دلائل النبوة (٦/ ١٧٩).

(٢) مسند أحمد (٤/ ٣٥٠).

(٣) مسند الحميدي (٢/ ٣٩٨).

(٤) مجمع الزوائد (٦/ ١٣٤).

(٥) دلائل البيهقي (٦/ ١٨٥).

(٦) دلائل البيهقي (٦/ ٢٤).

(٧) الرّوحاء: موضع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

وقال: «**اخرج يا عدو الله، فإني رسول الله**» قال: ثم ناو لها إياه وقال: «**خذي، فلا بأس عليه**». قال أسامة رضي الله عنه: فلما قضى رسول الله حجته، انصرف حتى إذا نزل ببطن الروحاء، أتته تلك المرأة بشاة قد شوتها فقالت: يا رسول الله، أنا أم الصبي الذي أتيتك به في مبدئك، قال: «**فكيف هو**؟» قالت: والذي بعثك بالحق، ما رايني منه شيء بعد...» الحديث بطوله.

١١- أخرج الدارمي في سننه^(١)، وأحمد في مسنده^(٢): جاءت امرأة النبي ﷺ بابن لها فقالت: يا رسول الله، إن بابني هذا جُنُونًا، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا ويفسد علينا، قال: فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له، فثَعَّ _ أي: سعل _ ثَعَّةً خرج من جوفه مثل الجرو الأسود، فشفي.

١٢- أخرج مسلم^(٣)، والبيهقي في دلائله^(٤) واللفظ له: أن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ سوءَ حظي للقرءان، فقال: «**ذاك شيطان يقال له خنزب، أدنُ مني يا عثمان**» ثم وضع يده على صدري، فوجدت بردها بين كتفي، وقال: «**اخرج يا شيطان من صدر عثمان**». قال: فما سمعت بعد ذلك شيئًا إلا حفظت.»

١٣- أخرج البخاري^(٥)، ومسلم^(٦): شكى أبو هريرة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ النسيان، فأمره ﷺ ببسط ثوبه وغرف بيده فيه، ثم أمره بضمه، ففعل، فما نسي شيئًا بعد.

(١) سنن الدارمي (١/٢٤).

(٢) مسند أحمد (١/٤٢٠).

(٣) في السلام: باب التعوذ من شيطان الوسوسة بنحوه.

(٤) دلائل البيهقي (٥/٣٠٧).

(٥) في الاعتصام.

(٦) في فضائل الصحابة.

١٤- وفي الشفا للقاضي عياض^(١) ما نصه:

أ- «فصل في إبراء المرضى وذوي العاهات: «... وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد قال: فما ضرب عليّ ولا قاح.

ب- وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يكشف لي عن بصري، قال: «فانطلق، فتوضأ، ثم صلّ ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري، اللهم شفّعه فيّ، قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره».

ج- إلى أن قال: وذكر العُقيلي عن حبيب بن حبيب بن فديك، ويقال فريك، أن أباه ابيضت عيناه، فكان لا يبصر بها شيئاً، فنفت رسول الله ﷺ في عينيه، فرأيته يُدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين.

د- ورُمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره، فبصق رسول الله ﷺ فيه فبرئ.

هـ- ونفل على شجرة عبد الله بن أنيس فلم تُمدّ.

و- ونفت في رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت.

ز- ثم قال بعد كلام: وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء، فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله ﷺ، وألصقها فليصقت، رواه ابن وهب.

ح- ومن روايته أيضاً: أن حبيب بن يساف أُصيب يوم بدر مع رسول الله ﷺ بضربة على عاتقه حتى مال شقّه، فردّه رسول الله ﷺ ونفت عليه حتى صحّ.

(١) الجزء الأول من (ص ٣٢١) وما بعدها.

ط - وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء، لا يتكلم، فأتي بهاء، فمضمض فاه وغسل يديه، ثم أعطاها إياه، وأمرها بسقيه ومسّه به، فبرئ الغلام وعقل عقلاً يفضّل عقول الناس.

ي - ثم قال بعد كلام: «وسألته جارية طعاماً وهو يأكل فناولها من بين يديه، وكانت قليلة الحياء، فقالت: إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه، ولم يكن يسأل شيئاً فيمنعه، فلما استقرّ في جوفها ألقى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها».

١٥ - مما يدل على بركة أعضاء جسده الشريف ﷺ ما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمّسح عنه بيده رجاء بركتها^(١).

١٦ - وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على تقبيل يده ﷺ، كما كانوا أيضاً يحرصون على مس أي موضع من جسده ﷺ وتقبيله كلما أمكن ذلك للتبرك وغيره. ومن هذا ما روى أبو داود في سننه^(٢) أن أسيد بن حضير رضي الله عنه بينما هو يحث القوم - وكان فيه مزاح - طعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود - لإيناسه من غير إيلام أو إيذاء - فقال: اصبرني يا رسول الله، قال: **اصطبر**، قال: إن عليك قميصاً وليس علي قميص، فرفع النبي ﷺ قميصه، فاحتضنه وأخذ يُقبّل كَشْحَهُ، قال: «إنما أردت هذا يا رسول الله»^(٣).

١٧ - روى أحمد^(٤) أنه ﷺ جاء إلى السوق فوجد زهيراً قائماً يبيع متاعاً، فجاء من

(١) صحيح البخاري (٢٢/٧) كتاب الطب باب الرقى بالقرآن والمعوذات، صحيح مسلم (٤/١٧٢٣) كتاب السلام باب رقية المريض بالمعوذات والنفث، واللفظ لمسلم.

(٢) سنن أبو داود (٥/٣٩٤).

(٣) أخرجه الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري في كتابه المستدرک علی الصحیحین (٣/٢٨٨)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والكشح هو: الخصر

(٤) في مسند أحمد (٣/٩٣٨) وابن كثير في البداية والنهاية (٦/٤٧) وصححه وقال إن رجاله ثقات.

قبل ظهره، وضمه بيده إلى صدره، فأحس زهير بأنه رسول الله ﷺ، قال:
فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء حصول البركة.

١٨- وكان يؤتى إليه ﷺ بالمرضى وأصحاب العاهات والمجانين فيمسح عليهم بيده الشريفة ﷺ، فيزول ما بهم من مرض وجنون وعاهة^(١).

١٩- قال رافع بن عمرو المزني^(٢): إني لفي حجة الوداع خماسي أو سداسي فأخذ بيدي أبي حتى انتهينا إلى النبي ﷺ بمنى يوم النحر فرأيتته يخطب على بغلته الشهباء، فقلت لأبي: من هذا؟! فقال: هذا رسول الله ﷺ، فدنوت منه حتى أخذت بساقه ثم مسحتها حتى أدخلت كفي بين أخمص قدمه والنعل.

ثانياً: التبرك بما انفصل من جسده الشريف ﷺ:

١. النبي يأمر بتوزيع شعره بين الناس:

روى البخاري ومسلم في صحيحهما أن سيدنا أبا القاسم رسول الله ﷺ لما حلق شعره في حجة الوداع أمر الحلاق أبا طلحة الأنصاري بتقسيم شعره الشريف بين الصحابة، فصار هذا يأخذ شعرة والآخر شعرتين، وهكذا.

ففي صحيح مسلم^(٣) عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس»، وفي رواية: «فبدأ بالشق الأيمن، فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك» ثم قال: «ههنا أبا طلحة» فدفعه إلى أبي طلحة.

قال النووي في شرح صحيح مسلم^(٤): «من فوائد الحديث التبرك بشعره

(١) انظر نسيم الرياض بشرح الشفا ٣/١٤٧-١٤٨ للخفاجي المصري.

(٢) الإصابة (ج ٣/ ٨).

(٣) صحيح مسلم ٢/٩٤٧ كتاب الحج باب أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يلحق والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق.

(٤) شرح صحيح مسلم (٩/٥٤).

ﷺ وجواز اقتنائه للتبرك»، ومثله قال الحافظ ابن حجر في الفتح^(١).

وقال ملا علي القاري في شرح المشكاة^(٢) ما نصه: «النوع الخامس فيه التبرك بشعره ﷺ، وغير ذلك من أثاره. بأبي وأمي ونفسي هو».

وكان الصحابة يحرصون على اقتناء شعره الشريف ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال^(٣): «لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل».

وقد ذكر النووي رحمه الله تعالى في شرحه^(٤): «إن من أحكام هذا الحديث تبرك الصحابة بشعر رسول الله ﷺ الكريم، وإكرامهم إياه أن يقع منه إلا في يد رجل سبق إليه».

وهذه نقاط رئيسية نقف عندها ونحن نقرأ هذه الرواية الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ:

١- الحديث صحيح لا غبار عليه ولا لبس فيه، رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

٢- تقسيم الشعر بين الناس كان بطلب من رسول الله ﷺ.

٣- الشعر لا يؤكل ولا يزرع بحسب العادة، وإنما الوارد في الأثر أن المطلوب من الشخص عادة أن يدفن شعره وأظفاره وفضلات لحمه في التراب.

٤- الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي أرشد الصحابة إلى ترك عادات الجاهلية القبيحة، وهو الذي علمهم أن الله هو الذي يُعَظَّمُ التعظيم المطلق، وأن الأنبياء عباد الله، ومع ذلك أمر بتوزيع شعره على الصحابة، فحاشا أن يكون فعلاً رسول الله عليه الصلاة والسلام من الوثنية.

(١) الفتح (١/١٧٤).

(٢) شرح المشكاة (١٠/٦٣).

(٣) انظر صحيح مسلم [كتاب الفضائل باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به (ج ٤/١٨١٢)].

(٤) شرح النووي (١٥/٨٢).

٥- الرسول عليه الصلاة والسلام ما كان يستغفر لأمه ولأبيه مع أنها مؤمنة خشية أن يستغفر الصحابة لأبائهم المشركين الذين ماتوا على الكفر، ومع ذلك لم ير رسول الله عليه الصلاة والسلام في توزيع شعره على الصحابة باباً أو ذريعة أو مقدّمة ليشركوا بالله ويعبدوه هو ﷺ.

٦- الرسول عليه الصلاة والسلام هو أعلم الناس بالدين، وهو أشد الناس عداءً للشيطان، وبطلب توزيع شعره بين الناس لم يفتح مجالاً للشيطان ليوسوس للناس بعبادته وتأليهه والعياذ بالله.

٧- الحكمة من توزيع شعره عليه الصلاة والسلام بين الصحابة أن يكون هذا الشعرُ بقیةً باقيةً منه بين المسلمين وبركةً مستمرةً بينهم إلى يوم القيامة.

قال الزرقاني: «إنما قسم رسول الله ﷺ شعره في أصحابه ليكون بركة باقية بينهم وتذكرة لهم».

والروايات في تقسيم شعره ﷺ كثيرة وإنما اقتصرنا على ما ذكرنا منها اكتفاءً لحصول الغرض بها.

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق^(١) عن سعيد بن المسيّب أن أبا أيوب الأنصاري أخذ من لحية رسول الله ﷺ شيئاً، فقال^(٢) عليه الصلاة والسلام: لا يصيبك السوء يا أبا أيوب.

وسياتي أن الصحابة وخالد بن الوليد استمروا على هذا التبرك بعد وفاته ﷺ.

٢. من دفن معه شيء من الآثار الشريفة:

روى البخاري^(٣) أن رسول الله ﷺ أمر النساء اللواتي تولين غسل ابنته زينب

(١) تاريخ دمشق (١٦/٤٧-٤٨).

(٢) ورواه الحاكم في المستدرک (برقم ٥٩٤٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٣) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر (٧٣/٢) ومسلم (٦٤٧/٢).

بعد وفاتها أن يجبرنه بعد فراغهن، فلما فرغن أعطاهن حَقْوَهُ (أي إزاره) ليجعلنه على جسدها، ثم بعده الكفن، لتناها ببركته ﷺ ببركة ثوبه. وفي رواية أنه ﷺ قال: أشعرنها إياه.

قال الحافظ ابن حجر^(١): «قيل: الحكمة في تأخير الإزار معه أن يفرغن من الغسل، ولم يناولهن إياه أولاً، ليكون قريب العهد من جسده الكريم، حتى لا يكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل، وهو أصل في التبرك بأثار الصالحين».

وقال العيني^(٢): «والحكمة فيه التبرك بأثاره الشريفة، وإنما أخره إلى فراغهن من الغسل ولم يناولهن إياه أولاً ليكون قريب العهد من جسده ﷺ حتى لا يكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل، وهو أصل في التبرك بأثار الصالحين».

قال الزرقاني^(٣): «فقال (أشعرنها) بهمزة قطع (إياه) أي اجعلنه شعارها، أي الثوب الذي يلي جسدها تبركاً، وحكمة تأخيره معه حتى فرغن من الغسل دون إعطائه لهن ليكون قريب العهد من جسده الكريم بلا فاصل من انتقاله من جسده إلى جسدها، وهو أصل في التبرك بأثار الصالحين».

وقال النووي^(٤): «ومعنى أشعرنها إياه اجعلنه شعاراً لها، وهو الثوب الذي يلي الجسد. سمي شعاراً لأنه يلي شعر الجسد، والحكمة في إشعارها به تبريكها به، ففيه التبرك بأثار الصالحين ولباسهم».

وقال السندي^(٥): «وفيه دلالة على أن التبرك بأثار أهل الصلاح مشروع».

قال ابن سعد^(٦): «إن عبد شمس بن الحارث بن عبد المطلب خرج من مكة

(١) الفتح (٣/١٣٠).

(٢) عمدة القاري (٨/٤١).

(٣) شرح الموطأ (٢/٧٢).

(٤) شرح صحيح مسلم (٧/٣).

(٥) حاشية السندي على سنن النسائي (٤/٢٩).

(٦) طبقات ابن سعد (٤/٤٨).

قبل الفتح مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ مسلمًا، فقدم على رسول الله ﷺ، فسماه عبد الله، وخرج مع رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فمات بالصفراء، فدفنه النبي ﷺ في قميصه، يعني قميص النبي عليه السلام.

٣. أم سليم ترجو البركة بجمعها من عرق النبي ﷺ في الطيب والقوارير:

روى مسلم في صحيحه^(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل علينا النبي ﷺ فَقَالَ - أي نام وهو من القيلولة - عندنا، فَعَرِقَ، وجاءت أمي بقارورة، فجعلتُ تَسَلُّ العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ، فقال: يا أمَّ سُلَيْمِ، ما هذا الذي تصنعين؟ قالت هذا عَرَقُكَ نجعلُهُ في طيننا، وهو من أطيب الطيب.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها وليست فيه^(٢)، قال: فجاء ذات يوم، فنام على فراشها، فَأُتِيَتْ، فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت، وقد عَرِقَ واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عَتِيدَتَهَا^(٣)، فجعلت تُنَشِّفُ ذلك العرق، فتعصره في قواريرها، فَفَزِعَ^(٤) النبي ﷺ، فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: «أصبت».

وعن أنس أيضًا عن أم سليم أن النبي ﷺ كان يأتيها، فيَقِيلُ عندها، فتبسُّطُ له نطعًا، فيقِيلُ عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه، فتجعله في الطيب والقوارير، فقال النبي ﷺ: «يا أم سليم، ما هذا»؟ قالت: عرقك أدوف^(٥) به طيبي.

(١) شرح صحيح مسلم (١٥/٨٦ - ٨٧).

(٢) كانت أم سليم محرماً له ﷺ.

(٣) كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز عليها.

(٤) استيقظ من نومه.

(٥) أي أخلط.

٤. توزيع أظفاره ﷺ بين الناس

ثبت أن النبي ﷺ قَلَّمَ أظفاره، وقَسَمَهَا بين الناس للتبرك بها، فقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله تعالى من حديث محمد بن زيد أن أباه حدثه أنه شهد النبي ﷺ على المنحر، ورجلاً من قريش وهو يقسم أصحابي، فلم يصبه منها شيء ولا صاحبه، فحلق رسول الله ﷺ رأسه في ثوبه، فأعطاه قسم منه على رجال، وقلم أظفاره وأعطاه صاحبه، وفي رواية (١): «ثم قَلَّمَ أظفاره فقسمها بين الناس».

ومعلوم أن الأظفار يُسَنُّ دَفْنُهَا، والنبي ﷺ قد قسمها، فاعتبروا يا أولي الأبصار. [ولسان حال نفاة التبرك بأثار الأنبياء قائل: لم يا رسول الله تفعل ذلك؟ إنك تفتح بذلك باباً للشرك؟] والعياذ بالله من جهلهم العريض هذا.

٥. تبريكه ﷺ علم بعض الأفراد (التبرك بالمسح)

أما الآثار التي وردت بشأن مسح رسول الله ﷺ لبعض رؤوس الصحابة، صغاراً وكباراً، والدعاء لهم، بل مسح بعض أجزاء من أجسادهم وإجلاس البعض منهم على حجره فكثيرة، وهي في حد ذاتها تعد دليلاً شرعياً لكل من تأسى أو أراد التأسي بالسلف الطاهر. فالتمس البركة من معاصريه من الصالحين، كما أنها كذلك حجة دامغة على من أولع جهلاً، أو تقليداً أو عناداً ومكابرة بالمشي مكباً على وجهه في طريق المعاندين.

تلك الآثار تتمثل في نماذج كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

(١/٥) عن محمد بن عبد الملك بن أبي مخذورة عن أبيه عن جده قال (٢): قلت يا رسول الله، علمني سنة الأذان، قال: فمسح مقدم رأسه، قال: «تقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ترفع بها صوتك.....».

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢/٤) ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٨/٣) وأبو داود في سننه (كتاب الصلاة: باب كيف الأذان) والنسائي وابن حبان.

وفي رواية: فكان أبو محذورة يجزّ ناصيته لا يفرقها لأن النبي ﷺ مسح عليها.

وعن صفية بنت مجزأة^(١): أن أبا محذورة كانت له قصة في مقدمة رأسه، إذا قعد أرسلها، فتبلغ الأرض فقالوا له: ألا تحلقها؟ فقال: إن رسول الله ﷺ مسح عليها بيده فلم أكن لأحلقها حتى أموت.

(٢/٥) روى الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة بتمييز الصحابة أن رسول الله ﷺ مسح صدر أبي قحافة والد أبي بكر الصديق^(٢)، كما مسح رأس عبد الله ابن مسعود رضي الله عنهما.

(٣/٥) وروى أيضًا في المصدر السابق^(٣) أن عبد الرحمن وعبد الله ابني عبد القاري، أتى بهما إلى الرسول ﷺ، فبرك عليهما، ومسح برأسيهما، حتى لقد ورد أنهما كانا إذا حلقا رأسيهما نبت موضع يد رسول الله ﷺ قبل الباقي.

(٤/٥) وفي الإصابة^(٤) أيضًا أنه عليه الصلاة والسلام وضع يده على رأس خادمه عياذ بن عمرو الأزدي أو السلمى، فأمرها على وجهه و صدره تبريكا له وتكريما.

(٥/٥) وفي الإصابة^(٥) أن عبد الرحمن بن المالك الهمداني قدم على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام، فأسلم وحسن إسلامه، ومسح على رأسه، ودعاه بالبركة.

(١) مجمع الزوائد (ج ٥/ص ١٦٥).

(٢) الإصابة بتمييز الصحابة (٢/٤٦١).

(٣) الإصابة (٣/٦٢).

(٤) الإصابة (٣/٤٦).

(٥) الإصابة (٢/٢٢١).

(٦/٥) وفي الإصابة^(١) أن عامر بن لقيط العامري كان قد وفد إلى النبي ﷺ، فصافحه عليه السلام، ومسح ناصيته، وقال له: أنت الوafd الميمون، بارك الله فيك.

(٧/٥) وفي الإصابة^(٢) أيضًا أن محمد بن أنس بن فضالة الظفري الأنصاري، قدم على النبي ﷺ المدينة مع أبيه وكان ابن أسبوعين، فمسح رسول الله ﷺ على رأسه، قالوا: فلقد عمّر حتى شاب شعره، وما شاب موضع يد رسول الله ﷺ.

(٨/٥) روي أن عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ: إني أريد أن أعتق من ولد إسماعيل قصداً، فقال لها: انتظري حتى يجيء سبي العنبر غداً، فلما جاء قال لها: خذي أربعة. قال عطاء: فأخذت جدي رويحاً، وابن عمي سمرة، وابن عمي رخاء، وخالي زبيباً، فمسح النبي ﷺ على رؤوسهم، وبارك عليهم^(٣).

(٩/٥) روي^(٤) أنه عليه السلام حين فتح مكة كان أهل مكة يأتون إليه بصبيانهم وأطفالهم، يمسح بيده الشريفة على رؤوسهم ويدعو لهم بالبركة.

(١٠/٥) روى الترمذي عن عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصاري أن رسول الله ﷺ مسح وجهه ودعا له^(٥).

يقول أحمد: فقد بلغ بضعاً ومائة سنة، وما في رأسه ولحيته بياض إلا نزرُ سير، ولقد كان منبسط الوجه، ولم ينقبض وجهه حتى مات.

(١) الإصابة (٣٢/٢).

(٢) الإصابة (٣٧٠/٣).

(٣) الإصابة (٢/٢).

(٤) الاستيعاب (٣٢/٣)، ومسند الإمام أحمد (٣٢/٢)، وأسد الغابة (٩٥/٢)، والإصابة (٣٨/٣).

(٥) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب (٦).

(١١/٥) وفي الاستيعاب^(١): أن عمرو بن ثعلبة الجهني حين أسلم مسح رسول الله ﷺ وجهه، ودعا له بالبركة.

(١٢/٥) وفي الاستيعاب^(٢) أن عمرو بن حريث القرشي رأى رسول الله ﷺ وسمع منه ومسح رأسه، ودعا له بالبركة.

(١٣/٥) وروي في أسد الغابة^(٣) أنه عليه السلام أجلس عبد الله بن عتبة بن مسعود في حجره، ووضع يده على رأسه، ومسح على وجهه، ودعا له بالبركة.

(١٤/٥) وروي^(٤) أن عبد الله بن هلال الأنصاري، ذهبت به أمه إلى رسول الله ﷺ، وكان حينذاك صبيًّا يعي ما يحدث، فقالت: يا رسول الله، ادع له وبارك عليه، قال عبد الله: فما أنسى برّد يد رسول الله ﷺ على يافوخي.

(١٥/٥) وروي في الإصابة^(٥) أن عائذ بن سعيد قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، امسح لي وجهي، وادع لي بالبركة، قالوا: ففعل، فكان وجه عائذ يزهو.

(١٦/٥) وروي^(٦) أن رسول الله ﷺ نظر إلى سعد بن حبنة يوم الخندق يقاتل قتالا شديداً وهو حديث السن، فدعاه، فقال له: من أنت يا فتى؟! قال: سعد بن حبنة، فقال له ﷺ: أسعد الله جدك، اقترب مني، فاقرب منه، فمسح على رأسه.

(١) الاستيعاب (٢/٥٣٣).

(٢) الاستيعاب (٢/٥١٥).

(٣) أسد الغابة (٣/٢٥٣).

(٤) أسد الغابة (٣/٣٤١) والاستيعاب (٢/٣٣٧).

(٥) الإصابة (٢/٢٦٢).

(٦) أسد الغابة (٣/٩٧).

(١٧/٥) وروي في أسد الغابة^(١) أنه عليه السلام مسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ودعا بالبركة.

(١٨/٥) روي^(٢) أن سالم بن حرملة وفد إلى النبي ﷺ فيمن وفد إليه، وكان آنذاك حدثاً له ذؤابة، وقد كاد أن يبلغ، فتطهر من فضل رسول الله ﷺ، فشمت عليه رسول الله ﷺ، ودعا له.

(١٩/٥) روي^(٣) أنه عليه السلام أجلس عكرمة في حجره، ومسح رأسه، ودعا له بالعلم.

(٢٠/٥) وروي^(٤) عن يعلى بن مرة قال: كان النبي ﷺ يمسح وجوهنا في الصلاة وبارك علينا.

(٢١/٥) روي^(٥) أن زياد بن عبد الله وفد على النبي ﷺ، فدخل على ميمونة زوج النبي ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، هذا ابن أختي، ثم خرج حتى أتى المسجد، ومعه زياد، فصلى الظهر، ثم أدنى زياداً، فدعا له، ووضع يده على رأسه، ثم حددها على طرف أنفه، فكان بنو هلال تقول: مازلنا نتعرف البركة في وجه زياد.

(٢٢/٥) أخرج أحمد في مسنده^(٦) عن يزيد بن الأسود في حديث حجة الوداع قال: «ثم ثار الناس يأخذون بيده ﷺ ويمسحون بها وجوههم».

فقد كان الصحابة رضي الله عنهم مع جليل مكانة الرسول ﷺ العلية عندهم، وعظيم هيئته في نفوسهم، وشدة التعظيم له الفائق على كل

(١) أسد الغابة (٣/٣٤٦).

(٢) أسد الغابة (٣/٢٢٧).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/٣١٢)، وكذا في الطبقات الكبرى (٢/١١٩).

(٤) نفس المصدر السابق (٢/١٧١).

(٥) الطبقات الكبرى (ج ١).

(٦) مسند أحمد (٤/١٦١).

تعظيم يعظمه غيرهم للملوك، وشِدَّة الأَدب معه الذي لم ينل مثله كبار الحكام من الخاصة والعامة، ورغم أنهم كانوا لا يُحَدُّون النظر إليه إجلالاً وإكباراً وتوقيراً واحتراماً، رغم كل ما تقدم فإنهم - رضي الله عنهم - كانوا لا يغفلون عن حاجتهم وحاجة أمثالهم الماسة للتبرك ببعض أجزاء جسده الشريف، فكانوا لذلك يأخذون يديه عليه السلام، ويمسحون بها وجوههم، وربما أحس بعضهم برُدِّها، وشم طيب رائحتها، كما حدث لابن أبي جحيفة حيث قال (١): «وقام الناس، فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، وأضاف: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك».

(٥/٢٣) قال الحافظ ابن حجر (٢) في باب التبرك بأثار الصالحين عن محمد بن سوقة عن أبيه قال: أتيت عمرو بن حريث أتكاري منه بيتاً في داره، فقال: تكار - أي استأجر - فإنها مباركة على من هي له، مباركة على من سكنها، فقلت: من أي شيء ذلك؟ قال: أتيت رسول الله ﷺ وقد نحرت جزور، وقد أمر ﷺ بقسمتها، قال عمرو: فلم يعطني وأغفني، فلما كان الغد أتيت رسول الله ﷺ وبين يديه دراهم، فقال ﷺ: «أخذت القسم الذي أمرت لك به؟» - أي من لحم الجزور - قلت: يا رسول الله ما أعطاني شيئاً. قال عمرو: فتناول رسول الله ﷺ من الدراهم فأعطاني، فجئت بها إلى أمتي فقلت: خذي هذه الدراهم التي أخذها رسول الله ﷺ بيده ثم أعطانيها، أمسكيها حتى ننظر في أي شيء نضعها، ثم ضرب الدهر ضرباته - أي مضى زمن طويل - حتى اشتريت هذا الدار. أي بتلك الدراهم المباركة.

(٥/٢٤) وجاء في المسند للإمام (٣) أحمد أن النبي ﷺ أعطى امرأة من غفار قلادة، ووضعها بيده في عنقها، قالت: والله لا تفارقني، فلما ماتت أوصت

(١) فتح الباري (٥/٣٣٠).

(٢) انظر المطالب العالية (١٣/٣٥٤).

(٣) مسند أحمد (٦/٣٨٠).

أن تدفن معها.

٦. مجه ﷺ في بئر ماء زمزم وغيره:

(١/٦) روى أحمد^(١) والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء النبي ﷺ إلى زمزم، فنزعنا له دلوًا فشرب، ثم مَجَّ فيها، ثم أفرغناها في زمزم، ثم قال: لولا أن تُغلبوا عليها لنزعت بيدي، وفي رواية: فشرب فمضمض، ثم مَجَّ في الدلو، وأمر فأهريق في زمزم. وفي رواية أخرى: عن عبد الجبار ابن وائل عن أبيه أن النبي ﷺ أتى بدلوٍ من ماء زمزم، فتمضمض فمَجَّ فيه أطيب من المسك أو قال مسك (والمج هو إرسال الماء من الفم).

وبهذا تعلم أن بركة ريقه الشريف ﷺ قد حَلَّتْ على بركة زمزم، فازداد ماء زمزم بركة على بركة، ولذة على لذة، وشفاء على شفاء، ونورًا على نور، وطهورًا على طهور بمجه ﷺ في دلوٍ قد أهريق في زمزم، وأثر ذلك يبقى إلى الآن.

فما أرحمه بأتمته وأرافه بها حيث لم يرض بحرمان من يأتي بعده ﷺ من أمته إلى يوم القيامة من فضل سؤره، وبركة طهوره، نفديه بأرواحنا وأولادنا وبآبائنا وأمهاتنا، صلاة الله وسلامه عليه أبد الأبدين وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين.

(٢/٦) وروى ابن سعد^(٢) عن سعد قال: سمعت عدة من أصحاب النبي ﷺ فيهم أبو أسيد وأبو حميد وأبو سهل بن سعد يقولون: أتى رسول الله ﷺ بئر بضاعة، فتوضأ في الدلو، وردده في البئر، ومج في الدلو مرة أخرى، وبصق فيها، وشرب من مائها، وكان إذا مرض المريض في عهده يقول: «اغسلوه من ماء بئر بضاعة» فيغسل، فكأنما حُلَّ من عقال.

(١) مسند أحمد (١/٣٧٢).

(٢) الطبقات الكبرى (١/١٨٤).

(٣ / ٦) وأخرج الطبراني^(١) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إن النبي ﷺ توضأ في طست، فأخذته، فصبته في بئر لنا.

(٤ / ٦) وفي الصحيحين^(٢) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً، قال فتلّه^(٣) رسول الله ﷺ في يده.

١. حرص الصحابة على أن يُحَنِّكَ رسول الله ﷺ أولادهم:

كان ﷺ يتفل في أفواه الأطفال، ويمج ريقه في الأيدي، وكان يمضغ الطعام ويمجه في فم الشخص، وكان الصحابة يأتون بأطفالهم ليحنكهم النبي ﷺ رجاء البركة^(٤).

٢. من شرب منهم من دم النبي ﷺ:

١- روى الحاكم^(٥) عن الهند بن القاسم بن عبد الرحمن بن ماعز قال: سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير، يحدث أن أباه حدثه أنه أتى النبي ﷺ وهو يجتجم فلما فرغ قال: «يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد» فلما برزت عن رسول الله ﷺ عمدت إلى الدم، فحسوته، فلما رجعت إلى النبي ﷺ قال: «ما صنعت يا عبد الله؟» قال جعلته في مكان ظننت أنه خافٍ على الناس، قال: «فلعلك شربته؟» قلت نعم، قال: «ومن أمرك أن تشرب الدم؟»

(١) انظر المعجم الأوسط (برقم ٦٩٨٠).

(٢) صحيح البخاري (٢٤٩/٦) ومسلم (١٦٠٤/٣).

(٣) أي وضعه في يده.

(٤) الخصائص الكبرى، أو كفاية الطالب للبيب في خصائص الحبيب للحافظ جلال الدين السيوطي (١٥٣/١-١٥٤)، وانظر مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للشيخ محمد الخطيب الشربيني الشافعي (٢٩٦/٤).

(٥) المستدرک (برقم ٦٣٤٣).

ويل لك من الناس، وويل للناس منك»^(١).

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «**فما حملك على ذلك؟**» فقال: علمت أن دمك لا تصيبه نار جهنم، فشربته لذلك. فقال ﷺ: «**ويل لك من الناس وويل للناس منك**»^(٢).

وروى الدارقطني في سننه عن أسماء قالت: احتجم ﷺ فدفع دمه لابني عبد الله، فشربه، فأتاه جبريل فأخبر النبي ﷺ فقال: «**ما صنعت؟**» قال: كرهت أن أصب دمك، فقال ﷺ: «**لا تمسه النار**» ومسح على رأسه.

قال القسطلاني: «وفي كتاب الجواهر المكنون في ذكر القبائل والبطون، أن ابن الزبير لما شرب دم حجامه النبي ﷺ توضع - أي فاح - فمه مسكاً، وبقيت رائحته موجودة في فمه، إلى أن قتل رضي الله عنه».

٢- وأخرج الطبراني^(٣) عن برة بن عمر بن سفينة مولى رسول الله ﷺ عن أبيه عن جده قال^(٤): احتجم (النبي ﷺ) فقال: «**خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطيور والناس**» فتغييت، فشربته ثم ذكرت ذلك له، فضحك. واللفظ لأحمد بن صالح.

٣- وعن أبي سعيد الخدري أن أباه مالك بن سنان لما أصيب رسول الله ﷺ في وجهه يوم أحد، مصّ دم رسول الله ﷺ، وازدرده، فقيل له أتشرب الدم؟ فقال نعم، أشرب دم رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**خالط دمي دمه، لا تمسه النار**»^(٥).

(١) قال الهيثمي في المجمع (٢٧٠ / ٨): رواه الطبراني والبخاري باختصار ورجال البزار رجال الصحيح غير هنيذ بن القاسم وهو ثقة وأخرجه أيضاً البيهقي وأبو نعيم في الحلية والبزار وانظر الخصائص الكبرى (١٧١ / ١).

(٢) ومعناه ويل للحجاج منكم وويلك من الحجاج يقتلك فتموت شهيداً.

(٣) المعجم الكبير (برقم ٦٤٣٤).

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٠ / ٨) بعدما أورده: رجال الطبراني ثقات.

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٠ / ٨): رواه الطبراني في الأوسط ولم أر في إسناده من أجمع على

وفي رواية: فقال له ﷺ: «جه»، فقال: والله لا أجه أبدًا، ثم ازدرده - أي ابتلعه - فقال النبي ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلي نظر إلى هذا»، فاستشهد - أي بأحد -.

ثالثًا: التبرك بما لمسه أو بأشهره أو جاوره ﷺ وحصول البركة فيه:

1 - التبرك بفم قِربٍ شرب منها النبي ﷺ:

(١ / ١) روى الترمذي^(١): عن أم ثابت كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ، فشرب من قربة معلقة قائمًا، فمتمت إلى فيها فقطعته. وفي رواية ابن الأثير في أسد الغابة^(٢)، زيادة: (تبتغي البركة موضع في رسول الله ﷺ).

قال النووي في رياض الصالحين: «وإنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ، وتبرك به، وتصونه عن الابتدال».

(٢ / ١) روى أحمد في مسنده^(٣) عن أنس: أن النبي ﷺ دخل على أم سليم، وفي البيت قربة معلقة فيها ماء، فتناولها، فشرب من فيها وهو قائم، فأخذتها أم سليم، فقطعت فمها، فأمسكته عندها. وكذا في الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٣ / ١) وروى الحافظ ابن حجر^(٤): عن أم عامر - واسمها فكيهة أو أسماء - بنت يزيد بن السكن قالت: رأيت رسول الله ﷺ في مسجدنا المغرب، فجئت منزلي، فجئته بلحم وأرغفة، فقلت: «تعش». فقال لأصحابه: «كلوا». فأكل هو وأصحابه الذين جاءوا،...، قالت: وشرب عندي في شجب، فأخذته،

ضعفه وأخرجه سعيد بن منصور.

(١) سنن الترمذي: كتاب الأشربة: باب ما جاء في الرخصة في ذلك وقال حديث حسن صحيح.

(٢) أسد الغابة (٥/٥٣٩) حرف الكاف.

(٣) مسند أحمد (٧/٥٢٠).

(٤) الإصابة (٨/٢٤٨) حرف العين، ترجمة أم عامر، برقم ١٣٧٤.

فدهنته وطويته، وكنا نسقي فيه المرضى، ونشرب منه في الحين رجاء البركة.

(٤ / ١) نفخ النبي ﷺ في رواحل أهل تبوك من أصحابه وقد أعيت وكَلَّتْ، ونزلوا عنها يسوقونها، فانبعثت تسير سيرًا شديدًا، حتى نازعتهم أزمته^(١)؛

فقد أخرج أحمد^(٢) والطبراني^(٣) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ غزا غزوة تبوك، فجهد الظهرُ جهدًا شديدًا، فشكوا إليه ذلك، قال: ورءاهم رجالا لا يريحون ظهرهم، فنظر رسول الله ﷺ من مضيق يمرُّ الناس فيه، فوقف عليه والناس يمرُّون، فنفخ فيها وقال: **اللهم احمل عليها في سبيلك، إنك تحمل على القوي والضعيف، والرطب واليابس في البحر والبر**»، واستمرت، فما دخلنا المدينة، إلا وهي تُنازعنا أزمته^(٤).

وقوله: «(لا يريحون) ظهرها»، أي: يسوقونها.

(٥ / ١) وفي كتاب الشفا للقاضي عياض المالكي^(٤): «فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره ﷺ»:

(٦ / ١) حدَّثنا البخاري، حدَّثنا يزيد بن زريع، حدَّثنا سعيد عن قتادة عن أنس ابن مالك رضي الله عنه: أن أهل المدينة فرَّعوا مرَّةً، فركب رسول الله ﷺ فرسًا لأبي طلحة كان يقطف أو به قِطَاف، وقال غيره: يُبَطِّأ، فلما رجع قال: وجدنا فرسك بحرًا، فكان بعدُ لا يُجَارَى.

(٧ / ١) ونَحَسَ جملَ جابر، وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه.

(٨ / ١) وصنع مثل ذلك بفرسٍ جُعِيلٍ الأشجعي، خَفَقَهَا بِمُخَفَقَةٍ^(٥) معه، وبرَّك

(١) والحديث أخرجه الدارمي في سننه (ص ٢٧) والبيهقي في دلائل النبوة (١١ / ٦) والبخاري في المغازي باب غزوة الحديدية وغيرهم.

(٢) مسند أحمد (٢٠ / ٦).

(٣) المعجم الكبير (١٨ / ٣٠٠).

(٤) الشفا (١ / ٣٣٠-٣٣٥).

(٥) هي الدرة التي يُضرب بها.

- عليها، فلم يملك رأسها نشاطًا، وباع من بطنها باثني عشر ألفًا.
- (٩/١) وركب حمارًا قَطُوفًا لسعد بن عباد، فردّه هَمَلًا جَا لا يُسَايِرُ.
- (١٠/١) وسكب من فضل وضوئه في بئرِ قُبَاءِ فما نَزَفَتْ بعدُ.
- (١١/١) وبزق في بئرِ كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أَعَذَبَ منها.
- (١٢/١) ومرَّ على ماء، فسأل عنه، فقيل له: اسمه بَيْسَانُ، وماؤه مِلْحٌ، فقال: بل هو نُعْمَانُ، وماؤه طَيِّبٌ، فطاب.
- (١٣/١) وأُتِيَ بدلو من ماء زمزم، فمَجَّ فيه فصار أطيّب من المسك.
- (١٤/١) وأعطى الحسن والحسين لسانه، فمَصَّاه وكانا يبكيان عطشًا، فسكتا.
- (١٥/١) وكان لأم مالك عُكَّةٌ تُهْدِي فيها للنبي ﷺ سمنًا، فأمرها أن لا تعصرها، ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنًا، فبأيتها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء، فتعمد إليها، فتجد فيها سمنًا، فكانت تُقيم إدمها حتى عصرتها.
- (١٦/١) وكان يتفعل في أفواه الصبيان المراضع، فيَجْزِئُهُم ريقه إلى الليل.
- (١٧/١) ومن ذلك بركة يده فيما لمسّه وغرسه لسلمان رضي الله عنه حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة، ودِيَّةٍ يغرسها لهم كلها تَعْلُقُ وتُطْعِمُ، وعلى أربعين أوقية من ذهب، فقام ﷺ وغرسها له بيده إلا واحدة غرسها غيره، فأخذت كلها^(١) إلا تلك الواحدة فقلعها النبي ﷺ وردّها، فأخذت.
- وفي كتاب البزّار: فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة، فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها، فأطعمت من عامها، وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه، فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم.

(١) فأخذت كلها: أي طلعت.

(١٨/١) وفي حديث حَنَسِ بْنِ عَقِيلٍ: سَقَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَرْبَةً مِنْ سَوِيْقٍ شَرِبْتُ أَوْلَهَا وَشَرِبْتُ بَعْدَهَا، فَمَا بَرِحْتُ أَجِدُ شِبَعَهَا إِذَا جُعْتُ، وَرِيَّهَا إِذَا عَطَشْتُ، وَبَرَدَهَا إِذَا ظَمِئْتُ.

(١٩/١) وَأَعْطَى قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانَ، وَصَلِيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ، مَطِيرَةٌ عُرْجُونًا^(١)، وَقَالَ: انْطَلِقْ بِهِ فَإِنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْرًا وَمِنْ خَلْفِكَ عَشْرًا، فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسْتَرِ سَوَادًا، فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَخْرُجَ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ، فَانْطَلِقْ، فَأُضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ، وَوَجَدَ السَّوَادَ فَضْرِبْهُ حَتَّى يَخْرُجَ.

(٢٠/١) وَمِنْهَا دَفَعَهُ لِعَكَّاشَةَ جِذَلٍ حَطْبٍ، وَقَالَ: اضْرِبْ بِهِ، حِينَ انْكَسَرَ سَيْفُهُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا صَارِمًا طَوِيلَ الْقَامَةِ أَبْيَضَ شَدِيدَ الْمَتْنِ، فَقَاتَلَ بِهِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَوَاقِفَ إِلَى أَنْ اسْتَشْهَدَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَةِ، وَكَانَ هَذَا السَّيْفُ يُسَمَّى الْعَوْنُ.

(٢١/١) وَدَفَعَهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ يَوْمَ أَحَدٍ - وَقَدْ ذَهَبَ سَيْفُهُ - عَسِيبَ نَخْلٍ، فَجَرَعَ فِي يَدِهِ سَيْفًا.

(٢٢/١) وَمِنْهُ بَرَكْتُهُ فِي دُورِ الشَّيَاهِ الْحَوَائِلِ بِاللَّبَنِ الْكَثِيرِ، كَقِصَّةِ شَاةٍ أُمِّ مَعْبَدٍ، وَأَعْنَزُ مَعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرٍ، وَشَاةٍ أَنْسَ، وَغَنَمِ حَلِيمَةَ مَرْضَعَتِهِ وَشَارِفَهَا، وَشَاةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَكَانَتْ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا فَحْلٌ، وَشَاةُ الْمَقْدَادِ.

(٢٣/١) وَمِنْ ذَلِكَ تَزْوِيدُهُ أَصْحَابَهُ سِقَاءَ مَاءٍ بَعْدَ أَنْ أَوْكَاهَ فِيهِ، فَلَمَّا حَضَرْتَهُمُ الصَّلَاةُ نَزَلُوا، فَحَلَّوهُ، فَإِذَا بِهِ لَبْنٌ طَيِّبٌ وَزُبْدَةٌ فِي فَمِهِ. مِنْ رِوَايَةِ حَمَادِ بْنِ سَلْمَةَ.

(٢٤/١) وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ عَمِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَبَرِّكَ، فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ، فَمَا شَابَ.

(١) هُوَ أَصْلُ الْعَذْقِ الَّذِي يَقْطَعُ مِنْهُ الشَّارِيخُ فَيَقِي عَلَى النَّخْلِ يَابَسًا.

- (٢٥ / ١) وروي مثل هذه القصص عن غير واحد، منهم السائب بن يزيد، ومدلوك، وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول الله ﷺ مسح بيديه على بطنه وظهره.
- (٢٦ / ١) وسلت الدَّم عن وجه عائذ بن عمرو، وكان جرح يوم حنين، ودعا له، فكانت له عُرَّة كغرَّة الفرس.
- (٢٧ / ١) ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي، ودعا له، فهلك وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض، وموضع كف النبي ﷺ وما مرَّت يده عليه من شعره أسود، فكان يُدعى الأغرَّ.
- (٢٨ / ١) وروي مثل هذه الحكاية لعمر بن ثعلبة الجهني، ومسح وجهه آخر، فما زال على وجهه نور.
- (٢٩ / ١) ومسح وجه قتادة بن ملحان، فكان لوجهه بريق حتى كان يُنظر في وجهه كما ينظر في المرأة.
- (٣٠ / ١) ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه، فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي ﷺ فيذهب الورم.
- (٣١ / ١) ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء، فكان لا يعرف في وجه امرأة من الجمال ما بها.
- (٣٢ / ١) ومسح على رأس صبي به عاهة فبرئ، واستوى شعره.
- (٣٣ / ١) ومثله روي في خبر المهلب بن قباله، وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤوا.
- (٣٤ / ١) وأتاه رجل به أدرَّة، فأمره أن ينضحها بهاء من عين مج فيه، ففعل، فبرئ.
- (٣٥ / ١) وعن طاوس: لم يؤت النبي ﷺ بأحد به مسَّ فَصَكَّ في صدره إلا



ذهب المسُّ الجُنُونُ.

(٣٦ / ١) ومَجَّ في دلو من بئر ثم صبَّ فيها، ففاح منها ريح المسك.

(٣٧ / ١) وأخذ قبضة من ترابٍ يوم حنين، ورمى بها في وجوه الكفار، وقال: «شاهت الوجوه»، فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم.

(٣٨ / ١) وشكا إليه أبو هريرة رضي الله عنه النسيان، فأمره ببسط ثوبه، وغرف بيده فيه، ثم أمره بضمه، ففعل، فما نسي شيئاً بعدُ، وما يروى في هذا كثير.

(٣٩ / ١) وضرب صدر جرير بن عبد الله، ودعا له، وكان ذكر له أنه لا يثبُتُ على الخيل، فصار من أفرس العرب وأثبتهم.

(٤٠ / ١) ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وهو صغير وكان دميماً، ودعا له بالبركة، ففرَّعَ الرجالَ طولاً وتماماً.

فإن قيل: إنَّ ذلك كله لا يخرج عن كونه معجزة وكرامة للنبي ﷺ والله قادر على ذلك.

قلنا: وهذا ما يعتقده المسلمون في شأن التبرك بالنبي ﷺ، سواءً في حال حياته أو بعد وفاته؛ فإنَّ الكل من الله الواحد القهار كما سنفصل ذلك إن شاء الله. وما زالت بركته في أمته كرامة له من الله، ولا مانع من ذلك.

٢- تتبع آثار أصابع النبي ﷺ من بعد طعام أكل منه:

أخرج أبو بكر بن أبي شيبة وابن أبي عاصم من طريق أبي الخير، عن أبي رُهم في حديث عن أبي أيوب، أنه قال: قلت يا رسول الله، كنت ترسل إليَّ بالطعام فأنظرُ، فأضعُ أصابعي حيث أرى أثرَ أصابعك حتى كان هذا الطعام، قال: «أجل إن فيه بصلاً فكرهت أن أكل من أجل الملك، وأما أنتم فكلوا»^(١).

(١) انظر صحيح مسلم: كتاب الأشربة وفيه ذكر الثوم بدل البصل.

قال النووي في شرح صحيح مسلم^(١): «ففيه التبرك بأثار أهل الصلاح في الطعام وغيره».

٣ - التبرك بفضل وضوء رسول الله ﷺ:

(١/٣) أخرج البخاري في صحيحه^(٢) بإسناده إلى الجعيد بن عبد الرحمن قال: سمعت السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي ودعالي بالبركة، وتوضأ فشربت من وضوئه..... الخ.

ومحل الاستدلال منه قول الصحابي: فشربت من وضوئه.

قال ملا علي القاري في شرح المشكاة مزوجاً بالمتن^(٣): «(فمسح رأسي) أي رسول الله كما في الشمائل. قال ابن حجر: يحتمل أن الوجع كان برأسه، فمسحه عليه الصلاة والسلام بيده المباركة ليكون ذلك سبباً لشفائه، فكان الأمر كذلك، فبلغ السائب نحو المائة ولم يشب له شعر ولا سقط له سن. (ودعالي) وفي بعض نسخ الشمائل بالفاء (بالبركة) أي النماء وزيادة الخير والنعماء، (ثم توضأ فشربت من وضوئه) بفتح الواو أي ماء وضوئه، قال ملا علي الحنفي في شرح الشمائل: يجوز أن يراد بالوضوء هنا فضل وضوئه، يعني الماء الذي بقي في الظرف بعد فراغه من الوضوء، وأن يراد به ما انفصل من أعضاء وضوئه وهذا أنسب بما يقصده الشارب من التبرك».

(٢/٣) وورد^(٤) أن رسول الله ﷺ نفسه كان يرى ولع الصحابة وحرصهم على التبرك بماء وضوئه فيقرهم على ذلك، ولا ينهاهم عن شرايه لعلمه أن البركة التي تصيب الماء المماس لأعضائه كافية بإذن الله تعالى في تحقيق رغبة من

(١) شرح صحيح مسلم (١١/١٤).

(٢) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب خاتم النبوة.

(٣) شرح المشكاة (٩٩/٤).

(٤) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب الصلاة في الثوب الأحمر.

يستفيد منها. وورد أنهم كانوا يتسارعون يتدرون وضوءه، فمن أصاب منه شيئاً تَمَسَّحَ به، ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه.

(٣/٣) أخرج البخاري في صحيحه^{(١)(٢)} بإسناده إلى أبي جحيفة قال: دُفِعَتْ إلى النبي ﷺ وهو بالأبطح في قبة كانت بالهاجرة، فخرج بلال، فنأى بالصلاة، ثم دخل، فأخرج فضل وضوء رسول الله ﷺ، فوقع الناس عليه يأخذون منه..... الحديث.

وأما المقصود بفضل وضوئه ﷺ فقد قال ابن حجر في الفتح^(٣): «كأنهم اقتسموا الماء الذي فضل عنه، ويحتمل أن يكونوا تناولوا ما سال من أعضاء وضوئه ﷺ».

وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه^{(٤)(٥)} بإسناده إلى أبي جحيفة قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبة حمراء من آدم [جلد]، ورأيت بلالا أخذ وضوء النبي ﷺ، والناس يتدرون الوضوء، فمن أصاب منه شيئاً تَمَسَّحَ به، ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه. وهو بمعنى حديث أبي جحيفة السابق.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح^(٦): «وفي الحديث من الفوائد التماس البركة مما لامسه الصالحون».

قال العيني في عمدة القاري^(٧): «قوله (وضوء رسول الله) بفتح الواو هو الماء الذي يتوضأ به، وقوله (يتدرون) أي يتسارعون ويتسابقون إليه

(١) وهذا الحديث أخرجه البخاري أيضاً في كتاب الوضوء في باب استعمال فضل وضوء الناس.

(٢) كتاب المناقب: باب صفة النبي ﷺ.

(٣) الفتح (١/٣٩١).

(٤) وقد أخرجه البخاري أيضاً في كتاب الصلاة في باب الصلاة إلى العزّة (عصا أقصر من الرمح)، وباب السترة بمكة.

(٥) كتاب اللباس: باب القبة الحمراء من آدم.

(٦) الفتح (١/٥٧٤).

(٧) عمدة القاري (٤/٩٩).

تبركاً بآثاره الشريفة وفي رواية مسلم (وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه، فيمسحون بها وجوههم. قال: فأخذت بيده، فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك) ثم قال بعد كلام: وفيه التبرك بآثار الصالحين».

قال النووي في شرح صحيح مسلم: «ففيه التبرك بآثار الصالحين، واستعمال فضل طهورهم وطعامهم وشرابهم ولباسهم».

(٤/٣) روى البخاري كتاب الوضوء أنه عليه السلام زار جابراً رضي الله عنه يعود من مرض كان قد ألم به، وكان انذاك لا يعقل من شدة المرض، يقول جابر: فتوضأ عليّ من وضوئه، فعقلت. فقلت: يا رسول الله لمن الميراث، إنما يرثني كلاله؟ فنزلت آية الفرائض.

وعلق الكرماني على الحديث السابق بما يأتي: قال ابن بطال شارح البخاري الذي يكثر النقل عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «وفيه رقية الصالحين بالماء، ومباشرتهم إياه، وذلك مما يرجى بركته»^(١).

وهذا الحديث كما ترى يدل على أمور؛ منها: على عناية رسول الله ﷺ بأصحابه، ومنها قوة عقيدتهم في بركته الحسية والمعنوية وظاهر النفع والبركة، كما يدل على أن وضوء رسول الله ﷺ بلسم ناجع، وسريع الأداء والمفعول، بدليل أن جابراً كان لا يعقل، ولكنه ما إن توضأ صب عليه السلام على جابر رضي الله عنه من وضوئه، أي أصاب جابراً من أثر الماء الذي لامس بعض أعضاء رسول الله ﷺ، حتى عقل، وأصبح يسأل عن مسائل لا يفكر فيها ولا يشغل نفسه بها إلا ذوو الصحة والعافية.

(٥/٣) وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أرشد الصحابة رضي الله عنهم أحياناً إلى

(١) (راجع ج ١/ص ٤٢).

شئ من هذا وساعدهم عليه؛ فقد روى البخاري في صحيحه^(١)، ومسلم في صحيحه^(٢)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده بلال، فأتى رسول الله ﷺ رجل من الأعراب، فقال: ألا تنجز لي يا محمد ما وعدتني؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أبشر»، فقال له الأعرابي: أكثرت عليّ من أبشر، فأقبل رسول الله ﷺ على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: «إن هذا قد ردّ البشري فأقبلا أنتما» فقالا: قبلنا يا رسول الله، ثم دعا رسول الله ﷺ بقدر فيه ماء، فغسّل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال: «اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما، وأبشرا» فأخذا القدر، ففعلا ما أمرهما به رسول الله ﷺ، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أفضلا لأمكما مما في إنائكما، فأفضلا لها منه طائفة.

قال الحافظ النووي في شرحه على صحيح مسلم^(٣) ما نصه: «فيه فضيلة ظاهرة لأبي موسى وبلال وأم سلمة رضي الله عنهم، وفيه استحباب البشارة، واستحباب الازدحام فيما يتبرك به، وطلبه ممن هو معه، والمشاركة فيه».

قال العيني في عمدة القاري^(٤) ما نصه: «لعبه أطيب من المسك، ومن غيره يُستقذر، ولهذا كرهه العلماء، والنبي عليه الصلاة والسلام أعظم» - ثم قال بعد كلام - «وخلوفه ما كان يشابهه خلوف غيره؛ وذلك لمناجاته الملائكة، فَطَيَّبَ اللهُ نَكْهَتَهُ، وخلوف فمه، وجميع رائحته» ﷺ.

وهذا الخبر يفيد أحد الأمور الآتية:

(أ) إما أن بعض ما يمس جسده من ماء أفضل من بعض، بدليل أن سيدتنا أم سلمة وهي زوجة عليه السلام، أمرت أبا موسى ومن معه بأن يفضلا

(١) كتاب المغازي: باب غزوة الطائف.

(٢) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما.

(٣) انظر صحيح مسلم باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر (٨/٢٦٧).

(٤) انظر عمدة القاري (٣/٧٤-٧٥).

لأَمَهما من الماء الذي غسل فيه رسول الله ﷺ يديه ووجهه ومج فيه، مع العلم بأنه عليه السلام كان يبيت عندها، ويتوضأ للصلاة، ويشرب مما عندها من الماء.

ب) أو أن حب الصحابة والصحابيات، بما فيهن زوجات رسول الله ﷺ، جعل الجميع يتحینون كل فرصة تتاح لهم للتبرك مما مس جسده الشريف من ماء.

ج) أو أن خاصية تلك الحالة التي كان فيها رسول الله ﷺ هي التي دفعته عليه السلام لأن يأمر الناس بالتبرك بما مس جسده من ماء، كما دعت السيدة أم سلمة أن تطلب بأن يحتفظ لها بنصيب من هذا الماء المبارك المتميز عن غيره. هذا وقد ورد كذلك أنه عليه السلام كان أحياناً يمسح بنفسه وجه الآخرين من فضل ماء وضوئه.

(٦/٣) وروى البخاري عن محمود بن الربيع، قال: وهو الذي مج رسول الله ﷺ في وجهه وهو غلام من بئرهم، وقال عروة بن المسور وغيره يصدق كل واحد منهما صاحبه وإذا توضأ النبي ﷺ كادوا يقتتلون على وضوئه.

(٧/٣) وروى أحمد في مسنده^(١) عن أم هانئ أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الفتح، فأتته بشراب، فشرب منه، ثم فضلت منه فضلة، فناولها، فشربته، ثم قالت: يا رسول الله، لقد فعلت شيئاً ما أدري يوافقك أم لا؟ قال: وما ذاك يا أم هانئ؟ قالت: كنت صائمة، فكرهت أن أرد فضلك، فشربته، قال: تطوعاً أو فريضة؟ قالت: قلت: بل تطوعاً، قال: فإن الصائم المتطوع بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر، وفي رواية: لقد شربت وأنا صائمة. قال: فما حملك على ذلك؟ قالت: من أجل سؤرك، لم أكن لأدعه لشيء، لم أكن أقدر عليه، فلما قدرت عليه شربته.

(١) وانظر أيضاً الطبقات الكبرى (١٠٩/٨).

(٨ / ٣) وروى^(١) أن سلمة بن عرادة نازع عيينة بن حصن فضل وضوء رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**دع الغلام يتوضأ**»، فتوضأ ثم شرب البقية، فمسح رسول الله ﷺ وجهه بيده.

(٩ / ٣) جاء عن طلق بن علي قال^(٢): خرجنا وفدًا إلى رسول الله ﷺ فبايعناه وصلينا معه، وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا. فاستوهبناه من فضل طهوره، فدعا بساء، فتوضأ وتمضمض، ثم صبه لنا في إداوة، وأمرنا فقال لنا: «**إذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم، وانضحوا مكانها بهذا الماء، واتخذوها مسجدًا**»، قلنا: إن البلد بعيد، والحر شديد، والماء ينشف، فقال: «**مدوه من الماء فإنه لا يزيد إلا طيبًا**».

(١٠ / ٣) وورد أيضًا^(٣) أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا شديدي العناية بأثاره، للتبرك بها والشفاء منها، وكانوا إذا بعدت بلادهم عن موطنه عليه السلام جمعوا ماء وضوئه في إناء وحملوه معهم.

(١١ / ٣) وروى^(٤) أن أم حسان بن شداد التميمي الطهوي وفدت بابنها إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني وفدت عليك بابني هذا لتدعوه له أن يجعل الله فيه البركة،... فتوضأ، وفضل من وضوئه، فمسح وجهه وقال: «**اللهم بارك لها فيه**».

٤ - غمس النبي ﷺ يده في أواني أهل المدينة غداة كل يوم:

أخرج مسلم في صحيحه^(٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان

(١) أسد الغابة (٢/٣٢٩).

(٢) مشكاة الأنوار ٧١٦، وجامع الأحاديث للسيوطي (١/٥٢٤).

(٣) صحيح البخاري كتاب الوضوء باب استعمال فضل وضوء الناس.

(٤) الإصابة (١/٣٢٧)، وأسد الغابة (٢/٨).

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل: باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به.

رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه، فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها.

قال النووي في شرح مسلم^(١): «وفيها صبره ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين، وإجابته من سأله حاجة أو تبريكاً بمس يده، وإدخالها في الماء كما ذكروا، وفيه التبرك بأثار الصالحين، وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرك بأثاره ﷺ، وتبركهم بإدخال يده الكريمة في أانية، وتبركهم بشعره الكريم، وإكرامهم إياه أن يقع شيء منه إلا في يد رجل سبق إليه».

رابعاً: اتخاذ موضع صلاته ﷺ مكاناً:

١- أخرج البخاري في صحيحه^(٢) حديث طلب عتبان بن مالك من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يصلي له في مكان من بيته ليتخذة مصلياً لما ضعف بصره، وخاف من حيلولة السيل بينه وبين المسجد النبوي، فجاءه النبي ﷺ في بيته وقال: «**أين تحب أن أصلي لك**»؟ فأشار إلى ناحية من بيته، فصلى فيه، فصفوا خلفه.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ أو وطئها ويستفاد منه أن من دعي من الصالحين ليتبرك به أنه يجب إذا أمن الفتنة».

وقال ابن عبد البر^(٣): «وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ ووطئها، وقام عليها، وفي هذا دليل على صحة ما كان القوم عليه من صريح الإيمان، وما كان عليه رسول الله ﷺ من حسن الخلق، وجميل الأدب في إجابته كل من دعاه إلى ما دعاه عليه ما لم يكن إثماً».

(١) شرح مسلم (١٥/٨٢).

(٢) صحيح البخاري كتاب الصلاة: كتاب المساجد في البيوت.

(٣) انظر التمهيد (٦/٢٢٨) والاستذكار (٢/٣٦١).

وقال النووي في شرحه على مسلم^(١): «وفي هذا الحديث أنواع من العلم تقدم كثير منها، ففيه التبرك بأثار الصالحين، وفيه زيارة العلماء والفضلاء والكبراء أتباعهم، وتبريكهم إياهم، وفيه جواز استدعاء المفضول للفاضل لمصلحة تعرض» وبمعناه قال العيني في عمدة القاري^(٢).

٢- روى النسائي^(٣) عن أنس بن مالك أن أم سُلَيْمٍ سألت رسول الله ﷺ أن يأتيها، فيصلي في بيتها، فتتخذها مصلى، فأتاها، فعمدت إلى حصير، فنضحته بهاء، فصلى عليه، وصلوا معه.

٣- روى مالك في الموطأ^(٤) عن محمد بن عمران الأنصاري عن أبيه أنه قال: عدل إلي عبد الله بن عمر وأنا نازل تحت سرحة بطريق مكة، فقال: ما أنزلك تحت هذه السرحة؟ فقلت: أردت ظلها، فقال: هل غير ذلك؟ فقلت لا، ما أنزلني إلا ذلك، فقال عبد الله بن عمر: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنت بين الأخشبين من منى، ونفخ بيده نحو المشرق، فإن هناك وادياً يقال له السرر، به شجرة مرتحتها سبعون نبياً».

قال ابن عبد البر^(٥): «هذا الحديث دليل على التبرك بمواضع الأنبياء والصالحين ومساكنهم وآثارهم، وإلى هذا قصد ابن عمر بحديثه هذا، والله أعلم».

٤- روى البخاري^(٦) أن مليكة جدة أنس بن مالك دعت رسول الله ﷺ لطعام، فأكل منه، ثم قال رسول الله ﷺ: «قومي، فلا أصلي بكم»، قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسودَّ من طول ما لبس، فنضحته بهاء، فقام عليه رسول الله

(١) شرح النووي على مسلم (١/٢٤٤).

(٢) عمدة القاري (٤/١٧٠).

(٣) سنن النسائي كتاب المساجد (برقم ٧٣٧).

(٤) الموطأ (برقم ٩١٨).

(٥) الاستذكار (٤/٤٠٦-٤٠٧) والتمهيد (١٣/٦٧).

(٦) صحيح البخاري كتاب الصلاة.

ﷺ، وصفت أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى لنا ركعتين، ثم انصرف.

يقول الزرقاني في شرحه على الموطأ: «وفي هذا الحديث إجابة الدعوة، وإن لم يكن عرسًا، ولو كان الداعي امرأة، لكن حين تؤمن الفتنة، والأكل من طعام الدعوة، وصلاة النافلة جماعة، وفيه تنظيف مكان المصل.»

٥- وفي شرح الزرقاني على الموطأ^(١) أن أنصاريًا دعا رسول الله ﷺ في بيته ليتخذ مكانه مصلًى.

٦- وروى النسائي^(٢) أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة، فصلى العشاء ركعتين، ثم قام فصلى ركعة أوتر بها، فقرأ فيها بمائة آية من النساء، ثم قال - أي أبو موسى: ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله ﷺ قدميه، وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله ﷺ.

١ - تكثير القليل ببركته ﷺ :

(١ / ١) روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بعثني أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ لأدعوه وقد جعل طعامًا، قال فأقبلت ورسول الله ﷺ مع الناس فنظر إلي فاستحييت منه فقلت: أجب أبا طلحة، فقال للناس: قوموا، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، إنما صنعت لك شيئًا. قال: فمسها رسول الله ﷺ، ودعا فيها بالبركة، ثم قال: أدخل نفرًا من أصحابي عشرة، وقال: كلوا، وأخرج لهم شيئًا من بين أصابعه، فأكلوا حتى شبعوا، فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع، ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها.»

(٢ / ١) وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «والله

(١) الموطأ (١/٣١٠).

(٢) النسائي (٣/٤٣).

الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر بي النبي ﷺ، فتبسم حين رءاني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: **«أبا هر»** قلت: لبيك يا رسول الله، قال: **«الحق»**، ومضى فاتبعته، فدخل واستأذنت، فأذن لي، فدخلت، فوجد لبناً في قدح، فقال: **«من أين هذا اللبن»**؟ قالوا: أهدها لك فلان أو فلانة، قال: **«أبا هر»**، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: **«الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي»**. قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها، فسأني^(١) ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة! كنت أحق، أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاؤوا، وأمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا، فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: **«أبا هر»**، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: **«خذ فأعطهم»**، قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل، فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم، فقال: **«أبا هر»** قلت: لبيك يا رسول الله، قال: **«بقيت أنا وأنت»** قلت: صدقت يا رسول الله، قال: **«اقعد فاشرب»** فقعدت فشربت، فما زال يقول: **«اشرب»** حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلماً! قال: **«فأرني»** فأعطيته القدح، فحمد الله تعالى، وسمى، وشرب الفضلة».

(٣/١) روى البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال: «لما حُفِرَ الخندق

(١) معناه وقع في نفسه أنه لا يبقى ما يصل إليه .

رأيت بالنبي ﷺ خمصاً^(١)، فانكفأت إلى امرأتي فقلت: «هل عندك شيء؟ فيني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً؟» فأخرجت إلي جراباً فيه صاع^(٢) من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، وفرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه، فجئت فساررتة فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعاً من شعير، فتعال أنت ونفر معك، فصاح رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل الخندق: إن جابراً قد صنع سوراً فحيتها بكم» فقال النبي ﷺ: «لا تُنزلن برمتكم ولا تحزين عجينكم حتى أجيء» فجئت، وجاء النبي ﷺ يقدم الناس، حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك! فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت عجيناً، فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: «ادع خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها» وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو». أي بقي من الطعام أكثر مما كان.

ولعمري، إن لم يكن في ذي الآثار الصحاح أبلغ الشواهد والدلائل على معنى البركة وحصولها، فبأي حديث بعدها يؤمن المنكرون؟! وانظر إلى قوله: «فبصق فيه وبارك»، فإن لم يكن في بصاقه الطاهر المبارك - بأبي وأمي هو - خير وبركة فلم بصق في العجين والبرمة ودعا بالبركة. ومن لك بذلك الريق المبارك، ذاك الريق الترياق بإذن الله تعالى. وذا قد ورد في أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى!

(٤ / ١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما كان غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرننا نواضحنا، فأكلنا وادّهنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا». فجاء عمر رضي الله عنه،

(١) خمصاً: جائعاً.

(٢) الصاع: أربعة أمداد بحسب المذهب الشافعي وستة أمداد بحسب المذهب الحنفي، والمد: ملء الكفين المعتدلتين.

فقال: يا رسول الله، إن فعلت قلَّ الظهرُ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة، فقال رسول الله ﷺ: **«نعم»** فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: **«خذوا في أوعيتكم»**، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في المعسكر وعاءً إلا ملؤوه، وأكلوا حتى شبعوا وفضل فضلة، فقال رسول الله ﷺ: **«أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيُحجَبَ عن الجنة»**.

(٥/١) وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أطعم جماعة من أقراص شعير قليلة بحيث جعلها خادمه أنس رضي الله عنه تحت إنطه لقلتها، فأكل منها ثمانون رجلاً، وشبعوا كلهم وهو كما أتى لهم كأنه لم يمسه أحد.

(٦/١) وروى الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أصبت بثلاث، موت النبي ﷺ وكنيت صويجه وخويده، وقتل عثمان، والمزود. قالوا: يا أبا هريرة: وما المزود؟ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فأصاب الناس مخمصة، فقال النبي ﷺ: **«يا أبا هريرة هل من شيء؟»** قلت: نعم شيء من تمر في المزود، قال: **«اتني به»**، فأتيته به، فأدخل يده، فأخرج قبضة فبسطها، ثم قال: **«ادع لي عشرة»**، فدعوت عشرة، فأكلوا حتى شبعوا، فما زال يصنع ذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا، ثم قال لي: **«خذ ما جئت به فأدخل يدك فيه واقبض ولا تكبه»**، فقال أبو هريرة: «فقبضت على أكثر مما جئت به»، ثم قال أبو هريرة: «ألا أحدثكم كم أكلت منه؟ أكلت حياة رسول الله ﷺ، وحياة أبي بكر، وأطعمت، وحياة عمر، وأطعمت وحياة عثمان، وأطعمت، فلما قتل عثمان رضي الله عنه أنتهب بيتي وذهب المزود».

(١) دلائل النبوة (ج ٢/ ص ٤٣٥)

(٧/١) وروى الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال: «أتيت النبي ﷺ بتمرات، فقلتُ: يا رسول الله ادع الله فيهن بالبركة، فضمَّهن، ثم دعا لي فيهن بالبركة، فقال: «خذهن، واجعلهن في مزودك هذا، أو في هذا المزود، كلما أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل فيه يدك فخذه، ولا تنثره نثرًا»، فقد حملتُ من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله - حيث وزع من ذلك المزود مقدار خمسين وسقًا في سبيل الله عز وجل - فكنا نأكل منه ونُطعمُ، وكان لا يفارق حَقْوِي^(١) حتى كان يومُ قتل عثمان^(٢)، فإنه انقطع أي ضاع المزود لما نُهب بيت أبي هريرة رضي الله عنه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة.

(٨/١) روى أحمد في مسنده عن النعمان بن مُقَرَّن رضي الله عنه قال: «قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمئة من مُزينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما لنا طعام نتزوِّده، فقال النبي ﷺ لعمر: زودهم، فقال: ما عندي إلا فاضلة من تمر، وما أراها تغني عنهم شيئاً، فقال: انطلق فزودهم، فانطلق بنا إلى عليِّة له، فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق، فقال: خذوا فأخذ القوم حاجتهم، قال: وكنت أنا في آخر القوم، قال: فالتفتُ وما أفقدُ موضع تمر، وقد احتمل منه أربعمئة رجل».

والتمر كان مقداره كالفصيل الجالس، أي أن الجراب الذي كان فيه التمر كان مقدار الفصيل وهو ولد الناقة إذا جلس، فزودهم جميعهم منه وكأنه ما قبض أحد منه تمر واحدة.

(٩/١) روى أحمد في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال: توفي عبد الله بن عمرو ابن حرام يعني أباه أو استشهد وعليه دين، فاستعنت رسول الله ﷺ على

(١) حقوي: إزارِي.

(٢) أي أكل منه رضي الله عنه في حياة النبي ﷺ، ثم حياة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، إلى حين قتل عثمان رضي الله عنه.

غرمائه أن يضعوا من دينه شيئاً، فطلب إليهم، فأبوا، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب فنصّف تمرك أصنافاً العجوة على حدة، وعَدَقْ زيدَ على حدة، وأصنافه ثم ابعث إليّ، قال: ففعلت، فجاء رسول الله ﷺ فجلس على أعلاه أو في وَسَطِهِ، ثم قال: كُلْ للقوم، قال: فَكَلْتُ للقوم حتى أوفيتهم، وبقيَ تمري كأنه لم يَنْقُصْ منه شيء. قال القاضي عياض في الشفا (١/ ٢٩٥) ما نصه: قال أي جابر: «وكان الغرماء من اليهود، فعجبوا من ذلك».

(١٠/١) وروى أبو نعيم في دلائل النبوة أنه عليه الصلاة والسلام أطعم أهل الخندق أيضاً من تمر يسير جداً أتت به إليه بنت بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير، وأنهم - أي أهل الخندق - شبعوا منه جميعاً، وكانوا ثلاثة آلاف.

(١١/١) ومن ذلك أن ريقه الشريف ﷺ بركة ظاهرة في تكثير الماء الذي يكفي المئات بل الألوف، كما تمّ ذلك في غزوة الحديبية؛ فقد روى البخاري في صحيحه^(١) عن البراء - رضي الله عنه - قال: كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبي ﷺ على سفير البئر فدعا بهاء، فمضمض ومجّ في البئر، وفي رواية له: فبصق، فمكثنا غير بعيد، ثم استقيننا حتى رويننا، وروت أو صَدَرَتْ ركائبنا. وفي رواية له أيضاً من حديث جابر، قال رضي الله عنه: «لو كنا مئة ألف لكفانا».

(١٢/١) وأخرج مسلم في صحيحه^(٢)، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه الطويل أن رسول الله ﷺ قال: «احفظ علينا ميضأتك فإنه سيكون لها نأ»، وذكر أن الناس انتهوا إلى رسول الله ﷺ حين امتدّ النهار وحمي كلُّ شيء، وهم يقولون: يا رسول الله، هلكننا عطشاً، فقال ﷺ: «لا هلك عليكم»، قال: «أطلقوا لي غمري»، قال: ودعا بالميضأة، فجعل رسول الله ﷺ يصبُّ، وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة، تكأبوا عليها،

(١) كتاب المغازي: باب غزوة خيبر.

(٢) كتاب المساجد: باب قضاء الصلاة الفائتة.

فقال رسول الله ﷺ: «أحسنوا الملاء، كلکم سیروى»، قال: ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصبُّ وأسقيهم، حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ، فصبَّ رسول الله ﷺ، فقال لي: «اشرب»، فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله، فقال ﷺ: «إن ساقى القوم آخرهم شرباً»، قال: فشربتُ، وشرب رسول الله ﷺ. قال رضي الله عنه: «فأتى الناس الماء جامينَ رواءً^(١).....» الحديث.

(١٣/١) ومثله ما أخرجه البيهقي^(٢) من حديث عمران بن حصين حين أصاب أصحاب النبي ﷺ عطشٌ، فشكوا ذلك إليه، فدعا علياً رضي الله عنه وءاخر، وأعلمهما أنها يجدان امرأة بمكان كذا، معها بعير عليه مزادتان^(٣)، فوجداهما، وأتيا بها النبي ﷺ، فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم أعاد الماء في المزادتين، ثم فتحت عزاليهما^(٤)، وأمر الناس، فملؤوا وأسقيتهم حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملؤوه.

وقال عمران رضي الله عنه: فتخيَّل إليَّ أنها لم يزدادا إلا امتلاءً، ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها، وقال: «أذهبي، فإننا لم نأخذ من مائك شيئاً ولكن الله سقانا».

وفي رواية أخرجه البخاري^(٥)، ومسلم^(٦): «والله ما رزئناك من مائك شيئاً، ولكن الله عزَّ وجلَّ سقانا»..... الحديث بطوله.

(١٤/١) وهذه مختارات من كتاب الشفا للقاضي عياض مما لم ينقل قبل^(٧):

(١) أي نشاطاً مستريحين / شرح النووي على مسلم (١٨٩/٥).

(٢) السنن الكبرى (٣٢/١).

(٣) المزايدة: قرابة كبيرة فيها ماء / فتح الباري (٤٥٢/١).

(٤) فم المزايدة (القرية) الأسفل.

(٥) في التيمم، باب: الصعيد الطيب.

(٦) في المساجد، باب: قضاء الصلاة الفاتئة.

(٧) كتاب الشفا (ج١/ ص٢٩١-٢٩٨).

«فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه :

أ- عن جابر أن رجلاً أتى النبي ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ، فأطعمه شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ، فما زال يأكل منه وامرأته وضيافته حتى كآله، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: لو لم تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ بِكُمْ.

ب- وحديث أبي أيوب: أنه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر من الطعام زُهَاءً ما يكفيهما، فقال له النبي ﷺ: ادْعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ، فدعاهم فأكلوا حتى تركوا، ثم قال: ادْعُ سَتِينَ، فكان مثل ذلك، ثم قال: ادْعُ سَبْعِينَ، فأكلوا حتى تركوه، وما خرج منهم أحدٌ حتى أسلم وباع، قال أبو أيوب: فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً.

ج- وعن سمرة بن جندب: أتى النبي ﷺ بقصعة فيها لحم، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل، يقوم قوم ويقعد آخرون.

د- ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، وذكر في الحديث أنه عجن صاعاً من طعام، وصنعت شاة، فَشَوِيَ سِوَادُ بَطْنِهَا^(١)، قال: وإيم الله، ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حَزَّ له حَزَّةٌ من سواد بطنها، ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون، وَفَضَلَ في القصعتين، فحملته على البعير.

ه- وعن أبي هريرة: أمرني النبي ﷺ أن أدعو له أهل الصُّفَّةِ، فَتَبَعْتُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةٌ، فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا، وَفَرَعْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وُضِعَتْ إِلَّا أَنْ فِيهَا أَثَرُ الْأَصَابِعِ.

و- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وكانوا أربعين، فصنع لهم مُدًّا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي كما

(١) هو الكبد، وقيل حشو البطن كله.

هو، ثم دعا بِعُسٍّ^(١) فشربوا حتى رُووا، وبقي كأنه لم يُشرب منه.

ز- وقال أنس: إن النبي ﷺ حين ابْتَنَى بزينب أمره أن يدعو له قوماً سَمَّاهم وكُلَّ من لَقِيت، حتى امتلأ البيت والحجرة، وقدم إليهم تَوْرًا^(٢) فيه قَدْرٌ مُدٌّ من تمر جُعِلَ حَيْسًا^(٣)، فوضعه قُدَّامه، وغمس ثلاث أصابع، وجعل القوم يتغدَّون ويخرجون، وبقي التَّوْرُ نحوًا مما كان، وكان القوم أحدًا أو اثنين وسبعين.

وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها إن القوم كانوا زهاء ثلاثمائة، وإنهم أكلوا حتى شبعوا، وقال لي: ارفع، فلا أدري حين وُضعت كانت أكثر أم حين رُفعت.

ح- وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه أن فاطمة طبخت قَدْرًا لِغَدَائِهِمَا، وَوَجَّهَتْ عَلِيًّا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيَتَغَدَّى مَعَهَا، فَأَمَرَهَا فَغَرَفَتْ مِنْهَا لِجَمِيعِ نِسَائِهِ صَحْفَةً صَحْفَةً، ثُمَّ لَهُ ﷺ وَلِعَلِيٍّ، ثُمَّ لَهَا ثُمَّ رَفَعَتِ الْقَدْرَ وَإِنهَا لِتَفِيضُ، قَالَتْ: فَأَكَلْنَا مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ.

ط- وفي حديث الأَجْرِيِّ فِي إِنْكَاحِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَلِيِّ فَاطِمَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِلَالًا بِقِصْعَةٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أَمْدَادٍ أَوْ خَمْسَةٍ، وَيَذِيحُ جَزْرًا لَوَلِيمَتِهَا، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ بِذَلِكَ، فَطَعَنَ فِي رَأْسِهَا، ثُمَّ أَدْخَلَ النَّاسَ رُفْقَةً رُفْقَةً يَأْكُلُونَ مِنْهَا، حَتَّى فَرَّغُوا، وَبَقِيَتْ مِنْهَا فَضْلَةٌ، فَبَرَكَ فِيهَا، وَأَمَرَ بِحَمْلِهَا إِلَى أَزْوَاجِهِ وَقَالَ: كُلْنَ، وَأَطْعِمْنَ مِنْ غَشِيكِنَّ.

ي- وفي حديث أنس رضي الله عنه: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمَّ سُلَيْمٍ حَيْسًا، فَجَعَلْتَهُ فِي تَوْرٍ، فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ:

(١) قَدَحٌ ضَخْمٌ.

(٢) إِنَاءٌ شَبِهَ قَدَحَ مِنْ حِجَارَةٍ.

(٣) هُوَ تَمْرٌ وَسَمْنٌ وَأَقْطٌ، وَقَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: هُوَ التَّمْرُ يَنْزَعُ نَوَاهُ وَيَخْلَطُ بِالسُّوَيْقِ.

ضَعُهُ وادْعُ لي فلانًا وفلانًا ومن لَقِيتَ، فدعوئهم ولم ادْعُ أحدًا لقيته إلا دعوته، وذكر أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا الصُّفَّةَ والحُجْرَةَ، فقال لهم النبي ﷺ: «**تحلقوا عشرة عشرة**»، ووضع النبي ﷺ يده على الطعام، فدعا فيه، وقال ما شاء الله أن يقول، فأكلوا حتى شبعوا كلهم، فقال لي: ارفع، فما أدري حين وُضعت كانت أكثر أم حين رُفعت. وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح، وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين، ثم من لا يَنعَدُّ بعدهم، وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة، ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق، ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر منها».

٢ - التبرك بما مسه شكء من جسء رسول الله ﷺ :

(١/٢) أخرج مسلم في صحيحه^(١) عن عبد الله بن كيسان مولى أسماء بنت أبي بكر قال: «أخرجت إلينا جبة طيالسة كسروانية، لها لبنة ديباج وفرجها مكفوفين بالديباج فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها».

قال الحافظ النووي في شرحه على صحيح مسلم: «وفي هذا الحديث دليلٌ على استحباب التبرك بأثار الصالحين وثيابهم».

قال القاضي عياض في شرحه على صحيح مسلم^(٢): «قولها: فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها» لما في ذلك من بركة ما لبسه النبي ﷺ أو لمسه، وقد جرت عادة السلف والخلف بالتبرك بذلك منه عليه السلام، ووجود ذلك وبلوغ الأمل من شفاء وغيره».

(٢/٢) سأل أبو هريرة الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه أن يكشف له المكان

(١) صحيح مسلم: كتاب اللباس وال: باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحريز على الرجال وإباحته للنساء.

(٢) المسمى إكمال المعلم (٥٨٢/٦).

الذي قبله رسول الله ﷺ، وهو سُرَّته، فقبَّله تبرُّكاً بأثاره وذريته صلى الله تعالى عليه وسلم.

(٣/٢) روى أبو يعلى^(١) عن ثابت البناني قال: كنت إذا أتيت أنساً يخبر بمكاني، فأدخل عليه، فأخذ يديه فأقبَّلهما وأقول: بأبي هاتان اليدان اللتان مسَّتا رسول الله ﷺ، وأقبَّل عينيه وأقول: بأبي هاتان العينان اللتان رأتا رسول الله ﷺ.

وأخرج البخاري بمعناه في الأدب المفرد، وفيه يقول ثابت لأنس: أمسست النبي ﷺ بيدك؟ قال: نعم، فقبَّلتها.

(٤/٢) أخرج البخاري^(٣) عن عبد الرحمن بن رزين قال: مررنا بالربذة فقبل لنا: ههنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، فأتينا فسلمنا عليه فأخرج يديه، فقال: بايعت بهاتين نبي الله ﷺ، فأخرج كفَّاه ضخمه كأنها كفُّ بعير، فقمنا إليها وقبَّلتها.

(٥/٢) أخرج البخاري في الأدب المفرد عن يحيى بن الحارث الذماري قال: لقيت وائلة بن الأسقع رضي الله عنه، فقلت: بايعت بيدك هذه رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قلت أعطني يدك أقبَّلتها، فأعطانيها فقبَّلتها.

(٦/٢) عن حنظلة بن حذيم قال: «وفدت مع جدي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنَّ لي بنين ذوي لحى وغيرهم، هذا أصغرهم، فأدنانى رسول الله ﷺ ومسح رأسي وقال: «بارك الله فيك». قال الذَّيَّال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه، أو الشاة الوارم ضرعها فيقول: «بسم الله على

(١) مسند أبي يعلى (٦/٢١١).

(٢) وذكره العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/٢٤١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد

(٩/٣٢٥): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ثقة.

(٣) الأدب المفرد للبخاري وابن سعد في الطبقات (٤/٣٠٦) وأحمد في مسنده.

موضع كف رسول الله ﷺ، فيمسحه فيذهب الورم»^(١).

(٧/٢) في كتاب الشفا للقاضي عياض أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده على مقعد رسول الله ﷺ من المنبر، ثم يضعهما على وجهه، وهو تبرك بما مس من ثيابه ﷺ^(٢).

(٨/٢) روى ابن أبي شيبة^(٣) عن أبي مودودة قال: حدثني يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال: رأيت نفراً من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر القرعاء فمسحوها ودعوا.

(٩/٢) قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة^(٤): وروى جعفر بن محمد قال: كان الماء يستنقع في جفون النبي ﷺ فكان عليٌّ يحسوه. أي يشربه أثناء غسلهم للنبي ﷺ بعد وفاته.

(١٠/٢) روى الحافظ ابن حجر^(٥) عن محمد بن جابر قال: سمعت أبي يذكر عن جدي أنه أول وفدٍ وفد على رسول الله ﷺ من بني حنيفة، فوجده يغسل رأسه، فقال: «اقعد يا أخا أهل اليمامة، فاغسل رأسك»، فغسلت رأسي بفضلة غسل رسول الله ﷺ،...، فقلت: يا رسول الله، أعطني قطعة من قميصك أستأنس بها، فأعطاني. قال محمد بن جابر: فحدثني أبي أنها كانت عندنا نغسلها للمريض يستشفى بها.

- (١) رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه (١٦/٤)، وأحمد في مسنده في حديث طويل (٦٧/٥-٢٨)
- (٢) وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠٨/٩): ورجال أحمد ثقات. وعند ابن سعد في الطبقات (٧٢/٧) قال الذبالي: فرأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه، وبالشاة الوارم ضرعها، فيتفل في كفه ثم يضعها على صلغته ثم يقول: «بسم الله على يد رسول الله» ثم يمسح الورم فيذهب.
- (٣) قال الشهاب في شرحه على الشفا: رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٥٤/١) عند ذكر منبر الرسول ﷺ وفي كتاب الثقات لابن حبان (٩/٤).
- (٤) مصنف ابن أبي شيبة (باب مس قبر النبي ﷺ ٣/٤٥٠).
- (٥) صفة الصفوة (٩٥/١).
- (٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٢٣٤/٣) ترجمة سيار طلق اليمازي.

٣- التبرك بالمواضع التي نزل و صلى بها الرسول ﷺ :

(١ / ٣) أخرج البخاري^(٦) عن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصل في فيها، ويحدث أن أباه كان يصلي فيها، وأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة. قال موسى: وحدثني نافع أن ابن عمر كان يصلي في تلك الأمكنة.

(٢ / ٣) وروى ابن حبان في صحيحه^(٧) عن نافع قال: كان ابن عمر يتبع أثر رسول الله ﷺ، وكل منزل نزل رسول الله ﷺ ينزل فيه، فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فكان ابن عمر يجيء بالماء فيصبه في أصل السمرة كي لا تيبس. وإلى هذه الشجرة الإشارة في رواية الحميدي في مسنده^(٨) وفيها: فجعل لها (أي ابن عمر) الماء من المكان البعيد حتى يصبه تحتها.

روى مالك في الموطأ^(٩): عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك أنه قال: جاءنا عبد الله بن عمر في بني معاوية، وهي قرية من قرى الأنصار، فقال: هل تدرون أين صلى رسول الله ﷺ من مسجدم هذا؟ فقلت له: نعم، وأشرت له إلى ناحية منه. قال ابن عبد البر في الاستذكار: «وفيه ما كان عليه ابن عمر من الرغبة والتبرك باتباع حركات رسول الله ﷺ اقتداءً به، وتأسياً بحركاته ومواضع صلاته طمعاً في أن تجاب دعوته في ذلك الموضع».

أخرج البخاري ومسلم والنسائي أن عبد الله بن عمر كان يصلي بالبطحاء التي بذي الحليفة أسوة برسول الله ﷺ، حيث ورد أنه أناخ بالبطحاء فصلى بها. وقال مالك: «لا ينبغي لأحد أن يجاوز المعرس إذا قفل راجعاً إلى المدينة

(٦) صحيح البخاري كتاب الصلاة: باب المساجد التي على طرق المدينة.

(٧) صحيح ابن حبان (١٠٤ / ٩).

(٨) مسند الحميدي (٢٩٣ / ٢).

(٩) موطأ مالك باب ما جاء في الدعاء (١٧١).

حتى يصلي فيه ما بداله، لأنه بلغني أن رسول الله ﷺ عَرَّسَ بِهِ^(١).

وهاك روايةً فيها تفصيل تلك المواضع تلك على عظيم عناية ابن عمر رضي الله عنهما بتتبع تلك المواضع، وكيف كان يُعَلِّمُ سَالِمًا وَنَافِعًا بِهَا حَتَّى كَانَتْ تَرَى (الخريطة) أَمَامَكَ؛ ففِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: «عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَنْزِلُ بِذِي الْحَلِيفَةِ حِينَ يَعْتَمِرُ، وَفِي حَجَّتِهِ حِينَ حَجَّ تَحْتَ سَمُرَةٍ فِي مَوْضِعِ الْمَسْجِدِ الَّذِي بِذِي الْحَلِيفَةِ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ غَزْوٍ كَانَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، أَوْ فِي حَجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ هَبَطَ مِنْ بَطْنِ وَادٍ، فَإِذَا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ وَادٍ أَنْخَبَ بِالْبَطْحَاءِ الَّتِي عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي الشَّرْقِيَّةِ، فَعَرَّسَ ثُمَّ حَتَّى يُصْبِحَ، لَيْسَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الَّذِي بِحِجَارَةِ وَلَا عَلَى الْأَكِمَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الْمَسْجِدُ، كَانَ ثُمَّ خَلِيجَ يَصَلِّي عَبْدَ اللَّهِ عِنْدَهُ، فِي بَطْنِهِ كُتِبَ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ يَصَلِّي، فَدَحَا السَّيْلُ فِيهِ بِالْبَطْحَاءِ، حَتَّى دَفِنَ ذَلِكَ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ عَبْدَ اللَّهِ يَصَلِّي فِيهِ.

وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَيْثُ الْمَسْجِدِ الصَّغِيرِ الَّذِي دُونَ الْمَسْجِدِ الَّذِي بِشَرْفِ الرُّوحَاءِ، وَقَدْ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ يَعْلَمُ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ، يَقُولُ: ثُمَّ عَنْ يَمِينِكَ حِينَ تَقُومُ فِي الْمَسْجِدِ تَصَلِّي، وَذَلِكَ الْمَسْجِدَ عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ الْيَمْنِيِّ وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَّةَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرَ رَمِيَّةٌ بِحِجْرٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وَأَنَّ ابْنَ عَمْرٍو كَانَ يَصَلِّي إِلَى الْعِرْقِ عِنْدَ مَنْصَرَفِ الرُّوحَاءِ، وَذَلِكَ الْعِرْقُ انْتِهَاءُ طَرَفِهِ عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ دُونَ الْمَسْجِدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَنْصَرَفِ وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَّةَ، وَقَدْ ابْتَنَيْتُمْ مَسْجِدًا، فَلَمْ يَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ يَصَلِّي فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ، كَانَ يَتْرَكُهُ عَنْ يَسَارِهِ وَوَرَاءَهُ وَيَصَلِّي أَمَامَهُ إِلَى الْعِرْقِ نَفْسَهُ، وَكَانَ عَبْدَ اللَّهِ يَرُوحُ مِنَ الرُّوحَاءِ فَلَا يَصَلِّي الظَّهْرَ حَتَّى يَأْتِيَ ذَلِكَ الْمَكَانَ فَيَصَلِّي فِيهِ الظَّهْرَ، وَإِذَا أَقْبَلَ مِنْ مَكَّةَ، فَإِنْ مَرَّ بِهِ قَبْلَ الصُّبْحِ بِسَاعَةٍ، أَوْ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ، عَرَّسَ حَتَّى يَصَلِّي بِهَا الصُّبْحَ.

(١) انظر مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري (٢/٤٤٨).

وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْزِلُ تَحْتَ سَرْحَةِ ضَخْمَةَ دُونَ الرَّوَيْثَةِ عَنِ الطَّرِيقِ وَوَجَاهِ الطَّرِيقِ فِي مَكَانٍ بَطْحُ سَهْلٍ حَتَّى يُفِضِي مِنْ أَكْمَةِ دُوَيْنَ بَرِيدِ الرَّوَيْثَةِ بِمِيلَيْنِ وَقَدْ انْكَسَرَ أَعْلَاهَا، فَاثْنَى فِي جَوْفِهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى سَاقٍ، وَفِي سَاقِهَا كَثَبٌ كَثِيرَةٌ.

وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بَنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي طَرَفِ تَلْعَةَ مِنْ وَرَاءِ الْعَرَجِ وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَى هَضْبَةِ، عِنْدَ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ قَبْرَانِ أَوْ ثَلَاثَةَ، عَلَى الْقُبُورِ رَضْمٌ مِنْ حِجَارَةٍ عَنِ يَمِينِ الطَّرِيقِ عِنْدَ سَلَمَاتِ الطَّرِيقِ، بَيْنَ أَوْلَئِكَ السَّلَمَاتِ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَرُوحُ مِنَ الْعَرَجِ بَعْدَ أَنْ تَمِيلَ الشَّمْسُ بِالْهَاجِرَةِ فَيُصَلِّي الظُّهْرَ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ.

وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بَنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ عِنْدَ سَرَحاتٍ عَنِ يَسَارِ الطَّرِيقِ فِي مَسِيلِ دُونَ هَرَشَى، ذَلِكَ الْمَسِيلِ لِاصْتِقِ بَكَرَاعِ هَرَشَى، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّرِيقِ قَرِيبٌ مِنْ غَلْوَةٍ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَصَلِّي إِلَى سَرَحَةٍ هِيَ أَقْرَبُ السَرَحاتِ إِلَى الطَّرِيقِ وَهِيَ أَطْوَلُهُنَّ.

وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بَنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْزِلُ فِي الْمَسِيلِ الَّذِي فِي أَدْنَى مَرِّ الظُّهْرَانِ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، حِينَ يَهْبِطُ مِنَ الصَّفْرَاوَاتِ، يَنْزِلُ فِي بَطْنِ ذَلِكَ الْمَسِيلِ عَنِ يَسَارِ الطَّرِيقِ وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَّةَ، لَيْسَ بَيْنَ مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ الطَّرِيقِ إِلَّا رَمِيَةٌ بِحَجَرٍ.

وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بَنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْزِلُ بِذِي طَوْوَى، وَيَبِيتُ حَتَّى يَصْبَحَ، يَصَلِّي الصُّبْحَ حِينَ يَقْدُمُ مَكَّةَ، وَمُصَلِّي رَسُولِ اللَّهِ ذَلِكَ عَلَى أَكْمَةِ غَلِيظَةٍ لَيْسَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي بُنِيَ ثَمَّ، وَلَكِنْ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَكْمَةِ غَلِيظَةٍ.

وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَقْبَلَ فُرْصَتِي الْجَبَلِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ الطَّوِيلِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، فَجَعَلَ الْمَسْجِدَ الَّذِي بُنِيَ ثَمَّ يَسَارَ الْمَسْجِدِ بِطَرَفِ الْأَكْمَةِ، وَمُصَلِّي النَّبِيِّ أَسْفَلَ مِنْهُ عَلَى السُّودَاءِ، تَدَعُ مِنَ الْأَكْمَةِ عَشْرَةَ أَذْرَعٍ أَوْ نَحْوَهَا ثُمَّ تُصَلِّي مُسْتَقْبِلَ الْفُرْضَتَيْنِ مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْكَعْبَةِ.



قال بعض أهل البدع والزيغ عن فعل ابن عمر: إنه ذريعة للشرك والعياذ بالله تعالى، أعاذنا الله من سوء الفهم!! - مع أن النبي ﷺ مدح ابن عمر رضي الله عنهما فقال عنه «رجل صالح»، فهل نكذب النبي ونصدقهم؟! كلا والله بل هم الكاذبون والنبي هو الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى.

قال الحافظ ابن حجر^(١): «ومحصل ذلك أن ابن عمر كان يتبرك بتلك الأماكن، وتشدده في الاتباع مشهور»، وقال أيضًا: «وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ أو وطئها».

أما إن أردت فهم ألفاظ هذا الحديث فارجع إلى فتح الباري وغيره لينكشف لك معناها؛ إذ زبدة المرام من إيراد ما كان من أحوال ابن عمر - رضي الله عنه - قد ظهرت جلية، بما فيها من صريح حرصه على التبرك بالمواضع التي شرفت وحلت فيها البركة بحلول رسول الله فيها، وفي ذلك - كما لا يخفى على ذوي الألباب - ردٌّ كافٍ شافٍ لمن يُجرّم التبرك بآثار الرسول والصالحين، زاعمًا أنه في تحريمه هذا على نهج السلف الصالح، والحقيقة أنه ضد نهج السلف، بل السلف، ومن رؤوسهم ابن عمر - كان على التبرك عملاً وإرشادًا.

٤ - التمرغ بتراب قبر النبي ﷺ تبركًا:

(١/٤) أخرج الحافظ ابن عساكر^(٢) من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قال: حدثني أبي عن جدي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: لما رُمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها، فوقفت على قبره ﷺ، وأخذت قبضة من تراب القبر، ووضعتها على عينيها، وبكت وأنشأت تقول: [من الكامل]

ماذا على من شمَّ تربة أحمدٍ أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا

(١) فتح الباري (١/٥٦٩).

(٢) انظر التحفة لابن عساكر (١٦٧).

صَبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا صَبَّتْ عَلَى الأَيَامِ عُدُنَ لِيَالِيَا

(٢/٤) روى السمهودي وغيره^(١) أن بلالا الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ الذي سكن بلاد الشام بعد وفاة الرسول ﷺ رأى في المنام رسول الله ﷺ يقول له: يا بلال ما هذه الجفوة؟ مضى زمان لم نرك، فلما استيقظ من منامه غلبه الشوق، فشدَّ رحاله وقصد قبر النبي ﷺ، ولما وصل صار يُمِرِّغُ نفسه بتراب القبر تبرُّكاً، وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه، فلم ينكر عليه عمر رضي الله عنه ولا غيره.

وفي بعض الروايات فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمهما ويقبلهما.

(٣/٤) وذكر القرطبي في تفسيره^(٢) أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «قَدِمَ عَلَيْنَا أَعْرَابِي بَعْدَمَا دَفَنَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثَةِ أَيَامٍ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَحَثَّ مِنْ تَرَابِهِ عَلَى رَأْسِهِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ فَسَمِعْنَا قَوْلَكَ، وَوَعَيْتَ عَنِ اللَّهِ مَا وَعَيْنَا عَنكَ، وَكَانَ فِيهَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء) وقد ظلمت نفسي، وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه قد غفر لك». وقد أوردها القرطبي من غير اعتراض على مضمونها، فتنبه!!

خامساً: وضع الوجه على القبر الشريف:

١. أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد رضي الله عنه وهو أحد مشاهير الصحابة، وأول من نزل الرسول ﷺ عنده لما هاجر من مكة إلى المدينة، جاء ذات يوم

(١) وفاء الوفا (٤/١٣٥٦)، والسبكي في شفاء السقام، والقاضي عياض في الشفاء (٥٢/٥٣)، وابن عساكر في تاريخه (٧/١٣٧).
(٢) تفسير القرطبي (٥/٢٦٥).

إلى قبر رسول الله ﷺ فوضع وجهه على قبر النبي ﷺ تبرُّكاً وشوقاً.

روى ذلك الإمام أحمد^(١) عن داود بن أبي صالح قال^(٢): أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا أبو أيوب، فقال: نعم، جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبكوا على الذين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله».

٢. قال الحافظ ابن عساكر^(٣): ذكر الخطيب ابن حملة أن ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلالا رضي الله عنه وضع خديبه عليه أيضاً.

سادساً: التبرك بالجذع الذي حنّ لرسول الله ﷺ :

جاء عن جابر بن عبد الله أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله، ألا أجعل لك منبراً تقعد عليه فإن لي غلاماً نجاراً، قال: «إن شئت». قال: فعملت له منبراً، فلما كان يوم الجمعة قعد على المنبر الذي صنع له، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تنشق، فنزل رسول الله ﷺ حتى أخذها، فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسكّت، حتى استقرت، فبكى الحسن وقال: يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، أفليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه؟!!!

وما أبلغ قول الإمام الشقراطي: [من البسيط]

وَالْجِدْعُ حَنَّ لَأَنَّ فَارِقْتَهُ أَسْفًا حِينَ تَكَلَّى شَجَّتْهَا لَوْعَةُ الشَّكْلِ

(١) رواه أحمد في مسنده (٤٢٢/٥) والطبراني في المعجم الكبير (١٨٩/٤) والأوسط (٩٤/١)، والحاكم في المستدرک (٥١٥/٤)، والسيوطي في الجامع الصغير (٧٢٨)، والذهبي في تلخيصه مجمع الزوائد (٢٢/٤)، وفي كنز العمال: (٨٨/٦، ح ١٤٩٦٧).

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٥/٢٤٥): رواه أحمد (برقم ٢٣٦٣٣) والطبراني في الكبير والأوسط (برقم ٢٨٤ ورقم ٩٣٦٦) وفيه كثير بن زيد وثقه أحمد وضعفه النسائي وغيره.

(٣) التحفة (٤/١٤٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة»**^(١) حزناً على رسول الله ﷺ، ثم أمر به فدفن تحت المنبر.

هذا الجذع الذي حنَّ للرسول ﷺ خلقَ الله فيه الإدراك والمحبة والشوق لرسول الله ﷺ، فحنَّ من شدة الشوق، وكان هذا الجذع في قبلة المسجد. وحديث الجذع هذا متواتر، وهذه من أعجب المعجزات، ويصح لقائل أن يقول: إنها أعجب من إحياء الموتى الذي حصل للمسيح عليه السلام؛ لأن إحياء الموتى يتضمن رجوع هؤلاء الأشخاص إلى مثل ما كانوا عليه قبل أن يموتوا، أما الخشب فهو من الجماد الذي لم يكن من عادته أن يُظهر صوتاً بإرادة، فهو أعجب، وهذا من أظهر المعجزات!!

فإن قال مانعو التبرك: إنما أمر الرسول بدفنه كي لا يتبرك الناس به!!؟ فالجواب: أن هذا الكلام تَقْوُلُ، أي قول بلا دليل وليس صحيحاً، وإنما أمر بدفنه كي لا يعاود الصراخ بعد ذلك، ومما يثبت ويؤكد ذلك أن الصحابة كانوا يتبركون بهذا الجذع كتبركهم بمنبر النبي ﷺ، وبالرمانة^(٢) القرعاء وهي خشبة مستديرة ملساء توضع على المنبر يضع الخطيب يده عليها، وكانوا يتبركون بقبره^(٣) الشريف، ويضعون وجوههم وأيديهم تبركاً، فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب رضي الله عنه، فكان عنده وفي بيته. رواه الإمام الشافعي في مسنده^(٤) والإمام ابن ماجه في السنن. وما ذلك إلا للتبرك بالجذع الذي كان الرسول يستند إليه ويلمسه، وكذلك يجوز ويصح التبرك بالشبيكة المباركة المعروفة اليوم باسم المواجهة الشريفة.

فإن قال مانعو التبرك: هذه الشبيكة لا رآها الرسول ﷺ ولا لمسها!!؟

- (١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٦٠ و ٥٨٨).
- (٢) مصنف ابن أبي شيبة: باب مسّ قبر النبي (٣/٤٠٥٠).
- (٣) انظر العلل ومعرفة الرجال (٢/٤٩٢) لأحمد بن حنبل.
- (٤) مسند الإمام الشافعي (ص ٦٥).

فيقال: ولكنها جاورتها، وبمجاورتها له صارت مباركة، كما أن جلد الخروف أو (الكرتون) إذا رأيناه في الدكان لا نُقبُّله، لكنه إذا صار غلافًا للمصحف يصير مباركًا بمجاورته فنقبُّله، وكذلك الرسول ﷺ ما رأى قبره الشريف، ومع ذلك فالنقوُّ الصحيحة طافحة مستفيضة بتبرك الصحابة الكرام بقبره الشريف، ومسه وتقبيله، ووضع الخد والوجه عليه، لكن من لي بإفهام من حرمهم الله الفهم السليم، والتبرك بسيد العالمين ﷺ؟ وأنشدوا [من الطويل]

وَحَنَّ إِلَيْهِ الجِدْعُ شَوْقًا وِرْقَةً وَرَجَّعَ صَوْتًا كالعِشَارِ مرددًا
فَبَادَرُهُ ضَمًّا فَقَرَّ لوقته لِكُلِّ امرئٍ من دَهْرِهِ ما تَعَوَّدَا

١- التبرك بأثاره ﷺ عامة :

روى البخاري في باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمته، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم تذكر قسمته، ومن شعره ونعله وءانيتها مما يتبرك به أصحابه وغيرهم بعد وفاته أحاديث منها:

١. عن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه لما استخلف بعثه إلى البحرين، وكتب له هذا الكتاب، وختمه بخاتم النبي ﷺ، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، ورسولٌ سَطْرٌ، والله سَطْرٌ.

قال الحافظ ابن حجر^(١): «وفيه استعمال أثار الصالحين، ولباس ملابسهم على جهة التبرك والتيمن بهم».

قال النووي في شرح مسلم^(٢): «فيه التبرك بأثار الصالحين، ولبس لباسهم، وجواز لبس الخاتم».

٢. عن ابن شهاب أن علي بن حسين حدثه أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل حسين بن علي رحمة الله عليه، لقيته المسور بن مخرمة

(١) الفتح (١٠/٣٣٠).

(٢) شرح مسلم (١٤/٦٧).

فقال له: هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا، فقال: فهل أنت مُعْطِيٌّ سيفَ رسول الله ﷺ؟ فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وإيم الله لئن أعطيتنيه لا يُخْلَصُ إليه أبداً حتى تُبْلَغَ نَفْسِي..... الحديث.

قال الحافظ ابن حجر^(١): «الغرض من هذه الترجمة تثبيت أنه ﷺ لم يورث، ولا بيع موجوده، بل ترك بيد من صار إليه للتبرك به، ولو كانت ميراثاً لبيعت وقسمت، ولهذا قال بعد ذلك مما لم تذكر قسمته، وقوله مما تبرك أصحابه أي به وحذفه للعلم به».

وقال ابن المنير^(٢): «قلت رضي الله عنك وجه دخول الترجمة وأحاديثها في الفقه، تحقيق أنه ﷺ لم يورث، وأن أئامته بقيت عند من وصلت إليه للتبرك، ولو كانت ميراثاً لاقتسمها ورثته».

سابعاً: في حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه علم أن يدفن مع النبي ﷺ :

لما طُعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابنه عبد الله رضي الله عنه: اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبي. قالت: كنت أريده لنفسي فلا وثرنه اليوم على نفسي، فلما أقبل قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين، قال: ما كان شىء أهم إلي من ذلك المضجع. رواه البخاري^(٣).

١ - من دفن معه شيء من الآثار النبوية الشريفة :

١. روى الحافظ الزبيدي في شرح الإحياء عن الشعبي^(٤) قال: حضرت عائشة

(١) الفتح (٦/٢١٣).

(٢) المتواري (١/١٨٨).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما (١٣٩٢).

(٤) الإتحاف (١٠/٣٣٣).

رضي الله عنها فقالت: «إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثًا ولا أدري ما حالي عنده، فلا تدفنوني معه، فإني أكره أن أجاور رسول الله ﷺ ولا أدري ما حالي عنده، ثم دعت بخرقة من قميصه ﷺ فقالت: ضعوا هذه على صدري، وادفنوها معي لَعَلِّي أنجو بها من عذاب القبر».

وهو يشبه فعل النبي ﷺ حين كفن ابنته زينب رضي الله عنها، فعائشة رضي الله عنها هي أم المؤمنين، وأفقها نساء العالمين، وحبيبية الرسول ﷺ، وقد تبركت به كثيرًا ﷺ، ومع ذلك فإنها لم تعتبر نفسها مستغنية عن التبرك بآثاره بعد وفاته وعند وفاتها، بل رأت أنها محتاجة لذلك من تواضعها مع كونها مبشرة بالجنة. ولو كان فعلها هذا من قبيل الشرك كما يزعم المحرومون من البركة، فكيف سماها الله في القرءان أمًّا للمؤمنين بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ انْفُسِهِمْ وَازْوَجَهُنَّ وَأُمَّهَاتَهُنَّ﴾ (سورة الأحزاب)!! .

٢. قال الحافظ ابن حجر^(١): وروى ابن السكن من طريق صفوان بن هبيرة عن أبيه قال: قال لي ثابت البناني: قال لي أنس بن مالك: هذه شعرة من شعر رسول الله ﷺ، فضعتها تحت لساني، قال: فوضعتها تحت لسانه فدفن وهي تحت لسانه.

٣. روى البخاري في صحيحه^(٢) عن محمد بن عبد الله الأنصاري قال: «حدَّثني أبي عن ثمامة عن أنس أن أم سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نطعًا، فيقبل عندها على ذلك النطع، قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره، فجمعته في قارورة، ثم جمعته في سَكِّ، قال: فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى أن يجعل في حَنُوطه من ذلك السَكِّ، قال: فجعل في حَنُوطه»^(٣).

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/١٢٧).

(٢) صحيح البخاري كتاب الاستئذان: باب من زار قومًا فقال عندهم.

(٣) ذكره ابن المنذر في الأوسط (٢/٢٩٤)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/٢٥) عن حميد الطويل.

قال العيني في عمدته^(١) ما نصه: «وجعله أنس في حنوطه تعوذاً من المكاره». ولا يخفى أن وفاة أنس رضي الله عنه تأخرت كثيراً عن وفاة رسول الله ﷺ.

٤. وفي مجمع الزوائد^(٢) باب دفن الآثار الصالحة مع الميت، ما نصه: «عن أنس رضي الله عنه أنه كانت عنده عصبة لرسول الله ﷺ، فدفنت معه بين جبيهه وقميصه». رواه البزار، ورجاله موثوقون.

٥. روى الحافظ ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كانت له عصا صغيرة من رسول الله ﷺ أوصى أن تدفن معه بين جنبه وكفنه. وأنس رضي الله عنه لازم الرسول ﷺ وخدمه عشر سنوات، وتبرك به وانتفع به بمسسه ولمسه وتقبيله ومصافحته ومس ما كان من آثاره، ومع ذلك رأى من النافع والمفيد أن تدفن معه هذه العصا الصغيرة التي كانت نحو ذراع، وأخذها من رسول الله ﷺ، وخبأها لتدفن معه، وما هذا إلا مما فهمه الصحابة من رسول الله ﷺ أنه يجوز التبرك بآثاره بعد وفاته ﷺ.

٦. روى الإمام أحمد في مسنده^(٣) عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن بُيُح يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعرة فائته فاقتله،... إلى أن قال: فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرأني، فقال: «أفلح الوجه»، قال: قلت: قتلته يا رسول الله، قال: «صدقت»، قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ، فدخل في بيته، فأعطاني عصاً، فقال: «أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس»، قال: فخرجت بها على الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها، قالوا: أولا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك؟ قال:

(١) عمدة القاري (٢٢/٢٦٣).

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي (٣/٤٥).

(٣) مسند أحمد - المجلد الثالث ص ٤٩٦.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «**آية بيني وبينك يوم القيامة أن أقل الناس المتخصرون يومئذ يوم القيامة**»، فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه، حتى إذا مات أمر بها، فصبت معه في كفنه، ثم دُفنا جميعاً^(١).

وفي تاريخ الإسلام للذهبي^(٢) عن أبي وائل أنه كان عند علي رضي الله عنه مسك، فأوصى أن يحنط به، وقال علي: «هو فضل حنوط رسول الله ﷺ» اهـ.

٢ - التبرك بنعل رسول الله ﷺ:

النعل التي ينظر إليها الناس نظر ازدراء وتحقير، ويتعففون عن لمسها، وعلى الأخص إذا كانت مستعملة، فإنها يتغير النظر إليها والموقف منها بتغير المستعمل لها.

على أن هذا التغير منه ما هو ظاهري ومنفعي كالذي يكون للرؤساء والحكام وذوي الوجاهة الدنيوية، ومنه ما هو باطني قلبي، وهذا الأخير هو المقصود.

(١/٢) روى البخاري والترمذي في الشمائل عن عيسى بن طهمان قال: أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالان، فحدثني ثابت البناني بعد عن أنس أنها نعلا النبي ﷺ، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خادم نعل رسول الله ﷺ، وخادم السواك والوساد.

(٢/٢) وقد روى الحارث وابن أبي عمر من مرسل القاسم بن عبد الرحمن، أن عبد الله بن مسعود كان إذا قام النبي ﷺ ألبسه نعليه، وإذا جلس ﷺ جعلها - ابن مسعود - في ذراعيه - أي كل فردة في ذراع - حتى يقوم ﷺ فإذا قام

(١) قال الهيثمي في المجمع (٦/٢٠٤): رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه، وفيه راو لم يسم وهو ابن عبد الله بن أنيس وبقية رجاله ثقات، ورواه الطبراني ورجاله ثقات. وانظر صحيح ابن حبان (١١٥/١٦) والأحاديث المختارة (٢٨/٩).

(٢) تاريخ الإسلام (١/١٥٩).

ألبسه نعليه في رجليه.

(٣/٢) قال الحافظ العراقي في ألفية السيرة في نعله ﷺ: [من الرجز]

وَنَعْلُهُ الكَرِيمَةُ المَصُونَةُ طوبى لمن مَسَّ بها جَبِينَهُ
لَهَا قَبَالَانِ بِسَيْرٍ وَهُمَا سَبْتَيْتَانِ سَبَتُوا شَعْرَهُمَا
وَطَوَّلُهَا شِبْرٌ وَإِضْبَعَانِ وَعَرَضُهَا مِمَّا يَلِي الكَعْبَانَ
سَبْعُ أَصَابِعٍ وَبَطْنُ القَدَمِ خَمْسٌ، وَفَوْقَ ذَا فَسَتْ فَاعْلَمِ
وَرَأْسُهَا مَحْدَدٌ وَعَرَضُ مَا بَيْنَ القِبَالَيْنِ إِضْبَعَانِ إِضْبَطُهُمَا
وهذه مثال تلك النعلِ ودَوْرُهَا أَكْرَمُ بِهَا مِنْ نَعْلِ

(٤/٢) وقد جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «يا أبا هريرة اذهب بنعليّ هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة» معناه أخبرهم بأن من كان مستيقناً بمعنى لا إله إلا الله فهو من أهل الجنة، وإنما لم يذكر الشهادة الثانية اكتفاء بالأولى.

قال أبو هريرة: فلما خرجت من عنده عليه الصلاة والسلام فإذا أول من لقيني عمر، فذكرت له الحديث، فضرب عمر بين ثديي حتى خررت على استي، فقال: ارجع، فرجعت، فذكرت لرسول الله ﷺ ما جرى، فجاء عمر على أثري، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عمر، ما حملك على ما فعلت؟» قال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، إني خشيت أن يتكل الناس عليها، فقلت: خلّهم يعملون، فقال عليه الصلاة والسلام «فخلّهم».

(٥/٢) ولا بن رشيد السبتي أبيات كتبها على حذو صورة نعل النبي ﷺ

بدار الحديث الأشرفية، وهي: [من الطويل]

هنيئاً لعيني أن رأت نعل أحمدٍ فيا سعد جدّي قد ظفرت بمقصدي

وَقَبَّلْتُهَا أَشْفِي الْغَلِيلَ فزَادَنِي فَيَا عَجَبًا زَادَ الظَّمَا عِنْدَ مُورِدِي
وَاللَّهِ ذَاكَ الْيَوْمَ عِيدًا وَمَعْلَمًا بِمَطْلَعِهِ أَرَّخْتُ مَوْلَدَ أَسْعُدِي
عَلَيْهِ صَلَاةٌ نَشْرُهَا طَيِّبٌ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى رَبُّنَا لِمُحَمَّدٍ

وفي تاج العروس^(١) للحافظ اللغوي مرتضى الزبيدي^(٢) ما نصه: «ومن أغرب ما منح الله به المجد صاحب القاموس أنه قرأ بدمشق بين باب النصر والفرج تجاه نعل النبي ﷺ على ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن جهيل صحيح مسلم في ثلاثة أيام».

وفي سنة ستمائة وخمس وثلاثين هجرية وهي السنة التي توفي فيها الملك الأشرف مظفر الدين موسى في دمشق، والذي حكى أبو المظفر يوسف بن قزوغلي سبط ابن الجوزي عنه في كتابه «مرآة الزمان» من الأوصاف الجميلة والمروءة والعفة عن المحارم، مع التمكن منها ما يرجى له به الخير عند الله تعالى بإذنه عز وجل. وكان مما حكاه عنه أنه قال: كنت عند الملك الأشرف بمدينة خلاط، فقدم النظام ابن أبي الحديد، ومعه نعل النبي ﷺ، فأخبرته بقدمه، فأذن بحضوره، فلما جاء ومعه النعل، قام ونزل في الإيوان، وأخذ النعل، فقبَّله، ووضع على عينيه، وبكى، وأكرم النظام، وأعطاه نفقته، وأجرى عليه جارية، وقال: يكون في الصحبة تبرك به، أي تبقى مع النعل عندنا للتبرك بالأثر الشريف.

ثم عزم الملك الأشرف على أخذ قطعة من النعل تكون عنده، وبات متفكرًا ثم قال: إن فعلت هذا فعل غيري مثله، فيتسلسل الحال ويؤدي إلى استئصاله، فعاد عن هذا خاطر وتركه. ثم أقام النظام عند الملك الأشرف شهرًا ومرض، وأوصى له بالنعل، ومات وأخذه بأسره، ولما اشترى دار قايماز النجمي وجعله

(١) تاج العروس (ج ١/ ١٤).

(٢) في المقصد التاسع في ترجمة المؤلف الإمام الفيروزآبادي.

دار حديثٍ ترك النعل فيها، ونقل إليها الكتب الثمينة، وأوقف عليها الأوقاف، وعمّر غيرها من الأماكن المشرفة، منها مسجد أبي الدرداء بقلعة دمشق، بناه وزخرفه وكان غالب إقامته به، وكان رحمه الله تعالى حسن الظن بالفقراء، يُحسن إليهم، ويزورهم، ويتفقدهم بالمال والأطعمة، وكان يعتقد بالأولياء الصالحين، فعندما كان على فراش الموت قال لعِمَادِ الدين بن موسى: أحضر لي الوديعة، فقام وعاد على رأسه مئزر صوف أبيض تلوح منه النوار، وفتحه، وإذا فيه خرق الفقراء وطواقي الأولياء، وفيه إزار عتيق ما يساوي خمسة قراطيس، وهي عملة قليلة كانت أيامهم، فقال: يكون هذا على جسدي أتقي به حرّ الوطيس، فإن صاحبه كان من الأبدال، وكان حبشيًّا، أقام بجبل الرُّها يزرع قطعة زعفران يتقوت بها، وكنت أصعد إليه وأزوره، وأعرض عليه المال فلا يقبله، فسألته شيئًا من أثره أجعله في كفني، فأعطاني هذا الإزار وقال: قد أحرمت فيه عشرين حجة، وكان آخر كلام الملك الأشرف رحمه الله: لا إله إلا الله.

ويظهر أن الناس في ذلك الوقت قد صنعوا أمثلة لنعل رسول الله ﷺ، وتناقلوها في الأمصار الإسلامية، ليشبعوا حنينهم إلى رسول الله ﷺ وعهده المبارك، وفضولهم إلى معرفة شكل الأشياء التي كان يستعملها النبي الأمين ﷺ، وكانت هذه الأمثلة تثير كوامن نفوس الشعراء، فينظمون فيها الشعر الذي يظهرون فيه مشاعرهم الدينية، ومحبتهم الكبيرة لرسول الله ﷺ.

وانتشر الحديث شعرًا عن النعل النبوي الشريف في المغرب العربي خاصة، فاتخذه الشعراء وسيلة لإظهار عواطفهم الدينية، وتوطئة لمدح صاحب النعل ﷺ، فزادوا بذلك معاني المدح النبوية، وحرّكوا مضمونها، فأكثروا من نظم القصائد التي تتحدث عن نعل رسول الله ﷺ، ومن أشهرها ميمية الإمام القاضي

والكاتب الأديب أبي الحكم السبتي الفاسي: [من الطويل]

بَوْضَفِ حَبِيبِي طَرَزَ الشُّعْرَ نَاطِمُهُ
 نَبِيٌّ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ
 رَوْوْفٌ عَطُوفٌ أَوْسَعُ النَّاسِ رَحْمَةً
 لَهُ الْحَسَنُ وَالْإِحْسَانُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ
 حَفِيٌّ وَفِي لَاتِمِينَ عُهُودِهِ^(١)
 بِهِ خَتَمَ اللهُ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ
 أَحَبُّ رَسُولِ اللهِ حَبًّا لَوْ أَنَّهُ
 كَانَ فَوَادِي كَلِمًا مَر ذَكَرَهُ
 أَهِيْمٌ إِذَا هَبَّتْ نَوَاسِمُ أَرْضِهِ
 فَأَنْشَقُ مَسْكَ طَيْبًا وَكَأَنَّمَا
 وَمَا دَعَانِي وَالِدَوَاعِي كَثِيرَةٌ
 مِثَالٌ لِنَعْلِي مَنْ أَحَبَّ حَوِيْتَهُ
 أَجْرٌ عَلَى رَأْسِي وَوَجْهِي أَدِيمُهُ
 صَبَابَةٌ مَشْتَاقٌ وَلَوْعَةٌ هَائِمَةٌ
 أَمْثَلُهُ فِي رَجَلِ أَكْرَمِ مَنْ مَشَى
 أَصْكُ بِهِ خَدِي وَأَحْسَبُ وَقَعُهُ
 وَمَنْ لِي بِوَقْعِ النَّعْلِ فِي حُرِّ وَجْتِي
 تَفِيضُ دَمُوعِي كَلِمًا لَاحَ نُورُهُ

وَنَمْنَمَ خَدَّ الطَّرْسِ بِالنَّفْسِ رَاقِمُهُ
 مَفَاخِرُهُ مَشْهُورَةٌ وَمَكَارِمُهُ
 وَجَادَاتٌ عَلَيْهِمْ بِالنَّوَالِ غَنَائِمُهُ
 فَأَثَارُهُ مَحْبُوبَةٌ وَمَعَالِمُهُ
 حَمِيٌّ أَبِي لَا تَلِينُ شِكَايِمُهُ^(٢)
 وَكُلُّ فِعَالٍ صَالِحٍ فَهُوَ خَاتِمُهُ
 تَقَسَّمُهُ قَوْمِي كَفْتَهُمْ قَسَائِمُهُ
 مِنَ الْوُرُقِ خَفَاقٌ أُصَيِّتُ قَوَادِمُهُ^(٣)
 وَمَنْ لِفَوَادِي أَنْ تَهَبَّ نَوَاسِمُهُ
 نَوَافِجُهُ^(٤) جَادَاتٌ بِهِ وَلَطَائِمُهُ
 إِلَى الشُّوقِ أَنْ الشُّوقِ مِمَّا أَكَاتِمُهُ
 فَهَا أَنَا فِي يَوْمِي وَلَيْلِي لَائِمُهُ
 وَالثَّمَّةُ طَوْرًا وَطَوْرًا أَلْأَزْمُهُ
 نَعْمَ أَنَا مَشْتَاقُ الْفَوَادِ وَهَائِمُهُ
 فَتَبَصَّرَهُ عَيْنِي وَمَا أَنَا حَالِمُهُ
 عَلَى وَجْتِي خَطُورًا هُنَاكَ يَدَاوِمُهُ
 لِمَاشٍ عَلَتْ فَوْقَ النُّجُومِ بَرَايِمُهُ
 بِكَاءِكَ لِلْبَرْقِ الَّذِي أَنْتَ شَائِمُهُ

(١) لا تلمين عهوده: لا تختلف.

(٢) شكائمه: جمع شكيمة، وهي العزيمة القوية.

(٣) الورق: الحمام. القوادم: مؤخرة الطائر التي تساعد على الطيران.

(٤) نوافجه: النافجة هي التي ينعقد فيها المسك في الظباء، أي وعاء المسك، وهي المعروفة بفارة المسك.

فيا دمعَ عيني أنت تمنع ناظري
ويا حرَّ قلبي أنت تحرم باطني
يودُّ هلالُ الأفق لو أنه هوى
وما ذاك إلا أن حُبَّ نبينا
سلامٌ عليه كلما هبَّت الصِّبَا
سلامٌ عليه ما تفاوحتِ الرُّبَا
نِعمًا به فارقت فإنك ظالمه
لُصوقًا به فاسكنْ لعلك راحمه
يزاحمنا في لثمه ونزاحمه
يقوم بأجسام الخلائق لازمه
وغنَّت بأغصان الآراك حمائمُه
بزهرٍ كأنَّ المسك تحوي كمامُه
ثامناً: التبرك بدعائه ﷺ :

١. بركة إجابة دعائه ﷺ :

١. روى أحمد في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على أم سليم، فأته بتمر وسمن، وكان صائماً، فقال: **«أعيدوا تمركم في وعائه، وسمنكم في سقائه»**، ثم قام إلى ناحية البيت، فصلى ركعتين وصلينا معه، ثم دعا لأم سليم ولأهلها بخير، فقالت أم سليم: يا رسول الله إن لي خويصة قال: **«وما هي»**، قالت: خادمك أنس، قال: فما ترك خيراً آخرة ولا دنياً إلا دعا لي به، وقال: **«اللهم ارزقه مالا وولداً وبارك له فيه»**.

وفي رواية البخاري ومسلم **«اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيه»**، قال أنس رضي الله عنه: فما من الأنصار إنسان أكثر مني مالا، وذكر أنه لا يملك ذهباً ولا فضة غير خاتمه، قال وذكر أن ابنته الكبرى أمينة أخبرته أنه دفن من صلبه إلى مقدم الحجاج نيفاً على عشرين ومائة. وقد عاش أنس رضي الله عنه نحو مائة سنة إلا سنة وكان له نخل يحمل في كل سنة حملين.

٢. دعا عليه الصلاة والسلام لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بفقهِ الدين وعلم التأويل، فقال ﷺ كما في سنن ابن ماجه: **«اللهم فقِّههُ في الدين وعلمهُ التأويل»**، فصار ابن عباس رضي الله عنه بحرّاً زخاراً واسعاً في العلم، وصار يسمى البحر والحبر وترجمان القرآن، وكم انتفع بما فتح الله

عليه علماء الأمة جميعًا، فله الحمد أولاً وآخراً.
والأخبار في ذلك كثيرة لا تكاد تحصى، وهو مما لا يخفى.

٢. نبع الماء من بين أصابعه ﷺ :

أ- ١. روى البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: « عطش الناس يوم الحديبية، فكان رسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها، وجهش الناس حوله (فزعوا إليه مع إرادة البكاء) فقال: « ما لكم؟ » فقالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ما نتوضأ به، ولا ما نشربه إلا ما بين يديك، فوضع يده ﷺ في الركوة، وجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. » أي ألفاً وخمسةائة.

وفي رواية أن النبي ﷺ قال: « حيّ على الوضوء والبركة من الله. » قال جابر: فلقد رأيت الماء يتفجر بين أصابعه، فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لاء الو - أي لا أقصر - ما جعلت في بطني منه، فعلمت أنها بركة» وهو ماء طهور مبارك حيث توضأ الصحابة منه وشربوا.

وهذه المعجزة وقعت للنبي المصطفى ﷺ غير مرة، ولم يثبت لواحد من الأنبياء مثلها، فهي من خصائصه ﷺ، وقد قال العلماء: معجزة النبي ﷺ في نبع الماء من بين أصابعه ﷺ الذي كفى به هذا الجيش الكثير، أعجب من معجزة تفجير موسى الماء من الحجر حين ضربه بعصاه؛ لأن خروج الماء معهود من الحجر بخلاف نبع الماء الزلال من بين الأصابع.

وفي هذا قال بعض المادحين: [من البسيط]

إِنْ كَانَ مُوسَى سَقَى الْأَسْبَاطَ مِنْ حَجَرٍ فَإِنَّ فِي الْكَفِّ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْحَجَرِ

وقال غيره: [من الرجز]

وأفضل المياه ماء قد نبغ بين أصابع النبي المتبع

قال العيني في عمدة القاري^(١): «قوله: (لاء الو) أي لا أقصر في الاستكثار من شربه، ولا أفتر فيما أقدر أن أجعله في بطني من ذلك الماء، وفيه من الفقه أن الإسراف في الطعام والشراب مكروه إلا الأشياء التي أرى الله (أي أظهر) فيها بركة غير معهودة، وأنه لا بأس بالاستكثار منها، وليس في ذلك سرف ولا استكثار ولا كراهية».

ب - وفي كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض عن الشعبي: «أتى النبي ﷺ في أسفاره بإداوة ماء، وقيل: ما معنا يا رسول الله ماء غيرها، فسكبها في ركوة، ووضع إصبعه وسطها، وغمسها في الماء، وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون، قال الترمذي: وفي الباب عن عمران بن حصين، ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به»،...، ثم قال بعد كلام: «فهؤلاء قد رَووا هذا، وأشاعوه، ونسبوا حضور الجماء الغفير له، ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه، فصار كتصديق جميعهم له.

(فصل) ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته، وابتعائه بمسّه، ودعوته فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك، وأنهم وردوا العين وهي تَبْضُ بشيء من ماء مثل الشراك، فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه وأعادها فيها، فَجَرَتْ بهاء كثير فاستقى الناس. قال في حديث ابن إسحاق: فانخرق من الماء ما له حِسٌّ كحِسِّ الصواعق، ثم قال: «يوشكُ يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مُلِيَ جناناً».

وفيه أيضًا: عن أبي قتادة، وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله ﷺ العطش

(١) عمدة القاري (١١ / ٢٠٧).

في بعض أسفاره، فدعا بالمیضأة، فجعلها في ضَبْنِهِ، ثم التَّقَمَ فمها، فالله أعلم
نفث فيها أم لا، فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل إناء معهم، فحِيلَ إِلَيَّ أنها
كما أخذها مني، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً، وروى مثله عمران بن حصين».

المطلب الثاني في التبرك بالنبی ﷺ بعد وفاته؛

وفيه :

أولاً: تبرك الصحابة والتابعين بأثاره الشريفة ﷺ :

(ا) التبرك بشعرات النبي المختار ﷺ :

١. أخرج البخاري في صحيحه^(١) بإسناده إلى إسرائيل بن يونس بن عثمان بن
عبد الله بن مَوْهَب مولى آلِ طَلْحَةَ أَنَّهُ قَالَ: أُرْسِلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلْمَةَ زَوْجِ
النَّبِيِّ ﷺ بِقَدْحٍ مِنْ مَاءٍ، وَقَبْضِ إِسْرَائِيلِ ثَلَاثِ أَصَابِعٍ، مِنْ فِضَّةٍ فِيهِ شَعْرٌ مِنْ
شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مَخْضَبَهُ،
فَاطْلَعَتْ فِي الْجُلْجُلِ^(٢)، فَرَأَيْتِ شَعْرَاتِ حَمْرًا.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري^(٣): «والمراد أنه كان من اشتكى
أرسل إناءً إلى أم سلمة، فتجعل فيه تلك الشعرات، وتغسلها فيه، وتعيده،
فيشربه صاحب الإناء، أو يغتسل به استشفاءً بها، فتحصل له بركتها».

وقال القسطلاني^(٤): «والحاصل من معنى هذا الحديث أن أم سلمة كان عندها
شعرات من شعر النبي ﷺ حمر محفوظة للتبرك في شيء مثل الجلجل، وكان
الناس يستشفون بها من المرض، فتارة يجعلونها في قدح من ماء ويشربونه،
وتارة في إجانة^(٥) من الماء، فيجلسون في الماء الذي فيه الجلجل الذي فيه تلك

(١) صحيح البخاري: كتاب اللباس: باب ما يذكر في الشيب.

(٢) الجلجل: شيء يشبه القارورة يحفظ فيه ما يراد صيافته.

(٣) فتح الباري (١٠/٣٥٣).

(٤) إرشاد الساري (١٢/٦٩١ - ٦٩٢).

(٥) إجانة: وعاء يحفظ فيه الماء.

الشعرات الشريفة».

٢. أخرج البخاري في صحيحه^(١) بإسناده إلى ابن سيرين قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس، فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها. وأخرجه الإسماعيلي، وفي روايته: أحب إلي من كل صفراء وبيضاء (يريد الذهب والفضة).

٣. قال الذهبي^(٢): وروى هشام بن حسان عن محمد بن عبيدة قال: اختلف الناس في الأشربة، فما لي شراب منذ ثلاثين سنة إلا العسل واللبن والماء. قال محمد: وقلت لعبيدة إن عندنا من شعر رسول الله ﷺ شيئاً من قبل أنس بن مالك، فقال: لأن يكون عندي منه شعرة أحب إلي من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض.

هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس، ومثل هذا يقوله هذا الإمام بعد النبي ﷺ بخمسين سنة، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعرة بإسناد ثابت، أو شسع نعل كان له، أو قلامه طُفِر، أو قطعة من إناء شرب فيه؟! فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده أكنت تعدّه مبدراً أو سفيهاً؟ كلا، فابذل مالك في زورة مسجده الذي بنى فيه بيده، والسلام عليه عند حجرته في بلده، والتدّ بالنظر إلى (أحده) وأحبه، فقد كان نبيك ﷺ يحبه، وتملأ بالحلول في روضته ومقعده، فلن تكون مؤمناً كاملاً حتى يكون هذا الرسول العظيم أحب إليك من نفسك وولدك وأموالك والناس كلهم، وقبّل حجراً مكرماً نزل من الجنة، وضع فمك لاثماً مكاناً قبله سيد البشر بيقين، فهنأك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخر، ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرسول ﷺ إلى الحجر ثم قبّل محجنه لحق لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل.

(١) صحيح البخاري: كتاب الوضوء: باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان.

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٤٢).

٤. كان لخالد بن الوليد رضي الله عنه قلنسوة وضع في طيها شعراً من ناصية رسول الله ﷺ، أي مقدم رأسه لما حلق في عمرة الجعرانة، وهي أرض بمكة لجهة الطائف، فكان يلبسها يتبرك بها في غزواته. روى الحافظ ابن حجر^(١) أن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: «اعتمرنا مع رسول الله ﷺ في عمرة اعتمرها، فحلق شعره، فسبقتُ إلى الناصية، فاتخذت قلنسوة، فجعلتها في مقدمة القلنسوة، فما وجهت في وجهه إلا فُتح لي»^(٢).

ولما سقطت عنه قلنسوته يوم اليرموك شدَّ عليها شدةً حتى أخذها، فأنكر عليه بعض الصحابة ذلك قبل علمهم بما فيها من شعر رسول الله ﷺ، لظنهم أنه خاطر بنفسه على قلنسوة عادية، فقال خالد: «إني لم أفعل ذلك لقيمة القلنسوة، لكن كرهت أن تقع بأيدي المشركين وفيها من شعر النبي عليه الصلاة والسلام، فرضوا عنه وأثنوا عليه»^(٣). فخالد رضي الله عنه كان يرى أن لوجود شعرات الحبيب ﷺ معه في المعارك بركة عظيمة، وإلا لما قال ما قال، أما المحرومون فيقولون: مثل فعل خالد ذريعة للشرك!! نعم هكذا وبكل بساطة يقولون ذريعة للشرك!! إنهم يسعون بزعمهم لردم ثغرة فتحها النبي ﷺ وصحبه الميامين!؟!

يقول مفتي دمشق السابق سماحة الشيخ محمود الحمازوي: [من الكامل]

شَرَفُ المَحَلِّ بِقَدْرِ مَنْ قَدْ حَلَّهُ أَمْرٌ بديهيُّ الثُّبُوتِ بلا حَفَا
ولذلك المِحْرَابُ فخرٌ شامخٌ إذ حَلَّ فيه شريفُ شعرِ المصطفى
يا زائراً شعرَ النبي محمدٍ كنْ عندَ كشفِكَ للغطاءِ مُعْظَمًا
مُتَأدِّبًا مُتَطَهِّرًا متطيبًا ومُبارِكًا ومُصَلِّيًا ومُسلِّمًا

(١) المطالب العلية (٤/٩٠).

(٢) وعزاه الحافظ لأبي يعلى. انظر مسند أبي يعلى (برقم ٧١٨٣).

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٤٩): رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه ورجلها رجال الصحيح.

وقال فضيلة الشيخ الأديب أسامة السيد: [من الكامل]

يا شَعْرَةً من وجهِ أحمدَ نَسَمِي بنسائمٍ من فَوْحِكِ المعطارِ
وكأنها تاجُ الشموسِ ودُرُّها فانعمْ هُدَيْتَ بلُجَّةِ الأنوارِ
وهي التي جَمَعَتْ بآنٍ واحدٍ شمسَ الضحى مع طَلَّةِ الأَقمارِ
إن كنت تُتَشَدُّ في الحياةِ مَبَاهِجًا فهي البهَاءُ وَمَجْمَعُ الأسرارِ
أو كنت تُتَشَدُّ من مقامِكَ نَعْمَةً فاطرَبُ بِحَضْرَةِ شَعْرَةِ المِخْتارِ
يا من غَدَوْتَ دواءَنَا من دائِنَا أنتِ الضياءُ بظُلْمَتِي ومَناري

٢) التبرك بقدر النبي ﷺ :

١. روى البخاري^(١)، جاء عن أبي بردة قال: «قدمت المدينة، فلقيني عبد الله بن سلام، فقال لي: انطلق إلى المنزل فأسقيك في قدح شرب فيه رسول الله ﷺ، وتصلني في مسجد صلى فيه النبي ﷺ، قال فانطلقت معه، فسقاني، وأطعمني تمرًا، وصليت في مسجده»^(٢).
٢. وأخرج البخاري^(٣) أيضًا بإسناده إلى سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه حديثًا قال فيه: «فأقبل النبي ﷺ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه، ثم قال: «اسقنا يا سهل»، فأخرجت لهم هذا القَدَحَ، فأسقيتهم فيه. قال أبو حازم: «فأخرج لنا سهل ذلك القَدَحَ، فشربنا منه تبركًا برسول الله ﷺ»، قال: «ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز من سهل فوهبه له».

(١) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٢) ورواه أيضًا البخاري في كتاب الأشربة: باب الشرب من قدح النبي ﷺ وءانيتها وفيه قوله: «ألا أسقيك في قدح شرب النبي ﷺ فيه».

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأشربة: باب الشرب من قدح النبي ﷺ وءانيتها.

٣. وقال الحافظ النووي^(١): «روي عن أبي محمد الباجي قال: «كانت عندنا قَصْعَةٌ من قَصَعِ النَّبِيِّ ﷺ، فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون بها، فيشفون بها».

قال العيني في عمدة القاري: «قلت: الأحسن أن يقال: إنها كانوا يشربون من قَدَحِ النَّبِيِّ ﷺ لأجل التبرك به، أما في حياته فلا نزاع فيه، وأما بعد موته فكذلك للتبرك به. ثم قال بعد كلام: ألا ترى أنه كان عند أنس قَدَحٌ، وعند سهل قَدَحٌ، وعند عبد الله بن سلام آخر، وكانت جُبته عند أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما».

٤. روى البخاري في صحيحه^(٢) عن عاصم الأحول قال: رأيت قَدَحِ النَّبِيِّ ﷺ عند أنس بن مالك، وكان قد انصدع، فسلسله بفضة، قال: وهو قَدَحٌ جَيِّدٌ عريض من نُضَارٍ، قال: قال أنس: لقد سقيت رسول الله ﷺ في هذا القَدَحِ أكثر من كذا وكذا. قال: وقال ابن سيرين إنه كان فيه حَلْقَةٌ من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة، فقال له أبو طلحة: لا تُغَيِّرَنَّ شيئاً صنعه رسول الله ﷺ فتركه.

قال العيني في عمدته^(٣): «فيه أن الشرب من قَدَحِهِ ﷺ وءانيته من باب التبرك بأثاره».

وقال الحافظ ابن حجر^(٤): «وذكر القرطبي في مختصر البخاري أنه رأى في بعض النسخ القديمة من صحيح البخاري، قال أبو عبد الله البخاري: رأيت هذا القَدَحِ في البصرة، وشربت منه، وكان اشترى من ميراث النضر ابن أنس بثمانمائة ألف».

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٢٣/١٤).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأشربة: باب الشرب من قَدَحِ النَّبِيِّ ﷺ وءانيته (٥٦٣٨).

(٣) عمدة القاري (٢١/٢٠٤).

(٤) فتح الباري (١٠/١٠٠).

قال الحافظ النووي^(١) تعقيباً على قدح أنس رضي الله عنه: «يعني القدح الذي شرب منه رسول الله ﷺ هذا فيه التبرك بأثار النبي ﷺ وما مسه أو لبسه أو كان منه فيه سبب، وهذا نحو ما أجمعوا عليه وأطبق السلف والخلف عليه من التبرك بالصلاة في مصلى رسول الله ﷺ في الروضة الكريمة، ودخول الغار الذي دخله النبي ﷺ وغير ذلك، ومن هذا إعطاؤه ﷺ أبا طلحة شعره ليقسمه بين الناس، وإعطاؤه ﷺ حقوه لتكفن فيه ابنته رضي الله عنها، وجعله الجريدتين على القبرين، وجمعت بنت ملحان عرقه ﷺ، وتمسحوا بوضوئه ﷺ، وأشباه هذه كثيرة مشهورة في الصحيح، وكل ذلك واضح لا شك».

٥. وروى الحافظ ابن حجر^(٢) عن صفية بنت بحرة قالت: استوهب عمي فراس من النبي ﷺ قصعة رءاه يأكل فيها، فأعطاها إياها. قالوا: كان عمر إذا جاءنا قال: أخرجوا لي قصعة رسول الله ﷺ، فنخرجها إليه، فيملأها من ماء زمزم، فيشرب منها، وينضح على وجهه.

٣) ذكر أخبار متفرقة عن تبرك السلف بأثاره ﷺ:

(١/٣) روى الحافظ ابن عساكر^(٣) عن الإمام المقرئ الحافظ المفسر أبي العالية الرياحي أن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ دفع إليه تفاحة كانت في يده، فجعل أبو العالية يقبلها ويقول: تفاحة مستها كف مستها كف رسول الله.

(٢/٣) قال الأزهري (في باب شكر): وحدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا يعقوب الدورقي، قال: حدثنا الحارث بن مَرارة الحنفي، قال: حدثنا المأثور بن سراج بن مجاعة، وطريف بن سلامة بن نوح بن مجاعة، والأفوق بنت الأغر أن مجاعة أتى رسول الله ﷺ، فقال قائلهم: [من الوافر]

(١) شرح مسلم (١٧٨/١٣-١٧٩).

(٢) الإصابة (٣٦١/٥) وأسد الغابة (٤/٣٥٢).

(٣) تهذيب تاريخ دمشق (٥/٣٢٩).

وَجَّاعُ اليَمَامَةِ قَدِ اتَّانَا يَخْبِرُنَا بِمَا قَالَ الرَّسُولُ
فَأَعْطِينَا المِقَادَةَ وَاسْتَقَمْنَا وَكَانَ المِرْءُ يَسْمَعُ مَا يَقُولُ

فأقطعه رسول الله ﷺ، وكتب له بذلك كتاباً: أي أمر أن يكتب له هذا الكتاب لأن النبي ﷺ ما كان يقرأ المكتوب ولا يكتب الحرف ومع ذلك هو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله.

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابُ كتبه محمدُ رسولُ الله لمجاعة بن مُرارة ابن سُلمي، أي أقطعتك الفورة وعوانة من العرمة والحبل، فمن حاجك فيلي. قال: فلما قبض رسولُ الله ﷺ وفد على أبي بكر فأقطعه الخضرمة، ثم وفد على عمر فأقطعه الريا بالحجر.

ثم إن هلال بن سراج بن مجاعة وفد إلى عمر بن عبد العزيز بكتاب رسول الله ﷺ بعدما استخلف، فأخذه عمر، فقبله، ووضع على عينيه، ومسح به وجهه رجاء أن يصيب وجهه موضع يد رسولِ الله ﷺ (١).

(٣/٣) وأوصى عمر بن عبد العزيز أن يدفن معه شيء كان عنده من شعر النبي ﷺ وأظفار من أظفاره وقال: «إذا مت فاجعلوه في كفني»، ففعلوا ذلك (٢).

وقد مر بك حديث البخاري عن القدح الذي كان عند سهل بن سعد

(١) تهذيب اللغة (١٠/١٢ - ١٤) مادة (ش ك ر) لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (٢٨٢هـ -

٣٧٠هـ) تحقيق علي حسن هلالي ومحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

ونقل القصة أيضاً ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني في الجزء الخامس، وكذا ذكرها الزبيدي في تاج

العروس تحت باب شكر (عن مجاعة).

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (عن مجاعة): قال ابن حبان له صحبة ثم ذكره في التابعين وكذا

ذكره في التابعين البخاري وأبو حاتم وذكره البارودي وابن السكن وابن قانع وجملة من الصحابة

إ.هـ.

(٢) في كتاب تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/٢٤)، وكذا في الطبقات الكبرى لابن سعد.

الساعدي، وأن عمر بن عبد العزيز استوهبه منه فوهبه سهل له.

(٤ / ٣) قال البهوتي الحنبلي^(١) ردًا على ابن تيمية الذي افترى على السلف والأئمة في دعوى الإجماع على تحريم قصد قبور الأنبياء والأولياء رجاء قبول الدعاء عندهم ما نصه: «بل قال إبراهيم الحربي: «يستحب تقبيل حجرة النبي ﷺ». وكان إبراهيم الحربي يُشبهه بالإمام أحمد بن حنبل بالعلم والورع.

(٥ / ٣) روى البخاري في الأدب المفرد عن يحيى بن الحارث الذماري قال: لقيت وائلة بن الأسقع رضي الله عنه، فقلت: بايعت بيدك هذه رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: أعطني يدك أقبلها، فأعطانيها فقبَّلتها.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن يونس بن ميسرة قال: دخلنا على يزيد بن الأسود عاتدين، فدخل عليه وائلة بن الأسقع رضي الله عنه، فلما نظر إليه مدَّ يده، فأخذ يده فمسح بها وجهه وصدره لأنه بايع رسول الله ﷺ، فقال له: يا يزيد، كيف ظنك بربك؟ فقال: حسن، فقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.**».

(٦ / ٣) وفي تعليق التعليق للحافظ ابن حجر العسقلاني في أخبار البخاري^(٢) ما نصه: «وقال وراقة - أي كاتبه - وكان معه - أي البخاري - شيء من شعر النبي ﷺ في ملبوسه».

(٧ / ٣) ومن كتاب مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن للإمام الحافظ ابن الجوزي^(٣) ما نصه: «عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير - وكان مصعب يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ويصوم الدهر - قال: بت ليلة في

(١) كشف القناع (٢/١٥٠-١٥١).

(٢) تعليق التعليق (٥/٤٠٠)، وانظر مقدمة شرح البخاري (١/٤٨١).

(٣) مثير الغرام (ص ٢٧٦).

المسجد بعدما خرج الناس منه فإذا برجل قد جاء إلى قبر النبي ﷺ ثم أسند ظهره إلى الجدار، ثم قال: اللهم إنك تعلم أنني كنت أمسي صائمًا، ثم أمسيت ولم أفطر على شيء، وإني أمسيت أشتهي الشريد فأطعمنيه من عندك، قال: فنظرت إلى وصيف دخل من خوذة المنارة، ليس في خلقه وصفاء الناس، معه قصعة، فأهوى بها إلى الرجل، فوضعها بين يديه، وجلس الرجل يأكل وخصني، فقال: هلم، فجئته، فظننت أنها من الجنة، فأحببت أن أأكل منها، فأكلت منها لقمة، فأكلت طعامًا لا يشبه طعام أهل الدنيا، ثم احتشمت فقمتم، فرجعت لمجلسي، فلما فرغ من أكله أخذ الوصيف القصعة ثم أهوى راجعًا من حيث جاء، وقام الرجل منصرفًا فاتبعته لأعرفه، فلا أدري أين سلك، فظننته الخضر عليه السلام.

(٨/٣) ذكر الحافظ ابن الجوزي الحنبلي^(١) عن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما - في ذكر تبركه واستشفائه بالقرآن وماء زمزم وشعر الرسول ﷺ وقصعته - أنه قال: «رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه ويقبلها، وأحسب أنني رأيت يوضعها على عينيه، ويغمسها في الماء ثم يشربه يستشفى به، ورأيت أنه قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جُبِّ الماء ثم شرب فيها، ورأيت غير مرة يشرب ماء زمزم يستشفى به ويمسح به يديه ووجهه». قال الذهبي: «أين المتنطع المنكر على أحمد وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة النبي ﷺ، ويمس الحجرة النبوية، فقال: لا أرى بأسًا بذلك، أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع!!»

(٩/٣) وروى الحافظ ابن الجوزي^(٢) أنه أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله وهو في الحبس ثلاث شعرات، فقال: هذا من شعر النبي ﷺ، فأوصى

(١) مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ص ٢٤٢-٣٧١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/٢١٢)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/١٨٣-١٨٤).
(٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ص ٤٠٦).

أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة، وشعرة على لسانه، ففعل به ذلك عند موته.

(١٠/٣) قال ابن كثير^(١) عند ذكر محنة الإمام أحمد رضي الله عنه أن أحمد قال: «فعد ذلك قال (يعني المعتصم) لي:، طمعت فيك أن تحييني، ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه، قال أحمد: فأخذتُ وسُحبتُ وخُلعتُ،...، وكان معي شعرات من شعر النبي ﷺ مصرورة في ثوبي».

(١١/٣) في كتاب سؤالات^(٢) عبد الله بن أحمد بن حنبل لأحمد رضي الله عنه قال: «سألت أبي عن مسّ الرجل رمانة المنبر يقصد التبرك، وكذلك عن مسّ القبر، فقال: لا بأس بذلك».

وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال^(٣) ما نصه: «سألته عن الرجل يمسّ منبر النبي ﷺ، ويتبرك بمسّه، ويقبله، ويفعل بالقبر مثل ذلك، أو نحو هذا، يريد بذلك التقرب إلى الله جلّ وعزّ، فقال: لا بأس بذلك».

(١٢/٣) وفي معجم الشيوخ للذهبي^(٤): وقد سئل أحمد بن حنبل عن مسّ القبر النبوي وتقبيله فلم يرَ بذلك بأساً، رواه عنه ولده عبد الله بن أحمد. فإن قيل: فهلاً فعل ذلك الصحابة قيل: لأنهم عاينوه حياً وتملّوا به وقبّلوا يده وكادوا يقتتلون على وضوئه واقتسموا شعره المطهّر يوم الحجّ الأكبر، ونحن لما لم يصح لنا مثل هذا النصيب الأوفر، ترامينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل.

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٤)، وانظر ذلك أيضاً في سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٢٥٠-٢٥٦-٢٦٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ٢٠٢-٢٠٣) والوافي بالوفيات للصفدي (٦/ ٢٦٦-٢٦٧).
(٢) وانظر مصنف ابن أبي شيبة: باب مسّ قبر النبي ﷺ (٤/ ١٢١) والعيني في عمدة القاري (٩/ ٢٤١).
(٣) انظر الكتاب (٢/ ٤٩٢).
(٤) معجم الشيوخ (١/ ٧٣).

(٣/١٣) قال الإمام مالك رحمه الله للخليفة المنصور لما حجَّ وزار قبر النبي عليه وءاله الصلاة والسلام وسأل مالكا قائلا: «يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو؟» فقال الإمام مالك: «ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أهلك آدم إلى الله تعالى، بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك»^(١).

(٣/١٤) قال الحافظ السبكي في كتابه شفاء السقام^(٢): «اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، معروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسيرة السلف الصالحين، والعلماء المسلمين» إ.هـ.

(٣/١٥) في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي قال مصعب بن عبد الله: حدثني إسماعيل بن يعقوب التميمي قال: كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه فكان يصيبه صمات، فكان يقوم كما هو حتى يضع خده على قبر النبي ﷺ ثم يرجع، فعوتب في ذلك، فقال: استعنت بقبر النبي ﷺ.

زاد في وفاء الوفاء للسمهودي^(٣): «وكان يأتي موضعاً في المسجد في الصحن، فيتمرغ فيه ويضطجع، فقيل له في ذلك، فقال: إني رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع، يعني في النوم».

(٣/١٦) ذكر الحافظ ابن الجوزي في الوفا بأحوال المصطفى^(٤) عن ابن الجلاء قال: دخلت مدينة النبي ﷺ وبي فاقة، فتقدمت إلى القبر وقلت: أنا ضيفك، فغفوت، فرأيت النبي ﷺ فأعطاني رغيفاً، فأكلت نصفه، وانتبهت ويدي النصف الآخر.

(١) ذكره القاضي عياض في الشفا وساقه بإسناد صحيح.

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام / الباب الثامن.

(٣) وفاء الوفاء (٢/٤٤٤).

(٤) الوفا بأحوال المصطفى (٢/٢٠٨).

(١٧/٣) ذكر ابن سيد الناس في سيرته عن سرير النبي ﷺ أن الناس من بعده كانوا يحملون عليه موتاهم تبركاً به.

وهذا كله يدل على أن حكم التبرك بأثر النبي ﷺ باق على مشروعيته أي في حياته وبعد وفاته ﷺ، فبركة الرسول ﷺ مستمرة فيها بإذن الله تعالى. ففي البداية والنهاية لابن كثير^(١) ما نصه: «وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف، وكان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه يأخذ القضيب المنسوب إليه صلوات الله وسلامه عليه في إحدى يديه، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع به القلوب ويبهر به الأبصار» اهـ.

(١٨/٣) أخرج البيهقي في شعب الإيمان من طريق أبي حرب الهلالي^(٢):

وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء) وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول: [من البسيط]

يا خيرَ مَنْ دُنْتُ فِي القَاعِ أعْظَمُهُ فطابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ والأَكْمُ
نَفْسِي الفِدَاءُ لِقَبْرِ أَنْتَ ساكِنُهُ فِيهِ العَفَافُ وَفِيهِ الجُودُ والكَرْمُ

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبي، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له.

(١) قال السيد جعفر ابن السيد إسماعيل المدني البرزنجي^(٣): فائدة: رأيت

(١) البداية والنهاية (٨/٦).

(٢) الشعب (٤٩٦/٣) وابن كثير في تفسيره (واللفظ له) (١/٥١٩-٥٢٠).

(٣) انظر كتابه نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين.

بها مش فتاوى لبعض أهل المدينة بخط بعض العلماء ما نصه: ومن سنن المدنيين إذا ثقل لسان صبيهم وأبطأ كلامه جاؤوا به إلى باب الحجرة الشريفة، فيأخذون مفتاحه، ويلحسه مرارًا فإنه ينطق بإذن الله تعالى، هكذا تلقيناه من أكابر أهل المدينة المنورة.

ونظير ذلك ما قاله الفاكهي: كان من سنن المكيين وهم على ذلك إلى اليوم إذا ثقل لسان الصبي وأبطأ كلامه عن وقته جاؤوا به إلى حجة الكعبة، فسألوهم أن يدخلوا مفتاح الكعبة في فمه، فيأخذة الحجة فيدخلونه خزنة الكعبة، ثم يغطون وجهه، ثم يدخل مفتاح الكعبة في فمه، فيتكلم سريعًا وينطلق لسانه بإذن الله تعالى، وذلك مجرب بمكة إلى يومنا هذا. وزاد غيره: ولا يخصون بذلك من ثقل لسانه، بل يفعلون ذلك بالصغار مطلقًا تبركًا بذلك، ورجاء أن يمن عليهم بالحفظ والفهم. قال: وقد فعل ذلك بناء أبائنا، وفعلناه بأولادنا، والحمد لله على ذلك.

أقول - أي البرزنجي -: والذي رأيناه من عادة أهل المدينة أيضًا تأتي الأمهات بأطفالهن بعد صلاة المغرب إلى باب الحجرة الشريفة، جهة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ليلة الجمعة وليلة الاثنين بعد تمام الأربعين يومًا من الولادة غالبًا، فيأخذهم خدمة الحجرة الشريفة، ويذهبون بهم إلى الحجة مقابل الوجه الشريف، فيقفون بهم، ويدخلون بهم ويدخلونهم تحت الستارة الشريفة لحظة يسيرة تبركًا، ورجاء أن يمن عليهم بالحفظ والسلامة من العاهات والأمراض، وبطول العمر وغير ذلك.

وما تقدم عن بعض العلماء من سنن أهل المدينة من لحس من ثقل لسانه من صبيانهم مفتاح باب الحجرة الشريفة، وإن لم نر من فعله في زماننا هذا هو مما يرغب فيه ويُعتنى به لما ذكره تبركًا وتفاؤلًا ورجاء من الله أن يمنَّ عليهم بالحفظ والفهم وطلاقة اللسان، وأن لا يخص بذلك من ثقل لسانه منهم فقط بل الأولى أن يفعلوا ذلك بعموم أطفالهم لذلك كما يفعله أهل مكة بمفتاح

باب الكعبة كما مرّ، ولعل مستند أهل مكة في ذلك إدخال عبد المطلب النبي الكعبة ﷺ يوم ولد شكرًا لله تعالى، فضاهاهم أهل المدينة بإدخال أطفالهم الحجرة الشريفة ولحسهم مفتاحها.

وقال البرزنجي في نفس الكتاب: بعدما سمع صوت هدة في الحجرة الشريفة انتخبوا لدخولها بعض الصالحين وهو الشيخ عمر النشائي الموصللي المجاور بالمدينة المنورة، وأنزلوه بالحبال من الحَوْخِة التي بالسقف إلى الحظير الذي بناه عمر، ودخل منه إلى الحجرة ومعه شمعة يستضيء بها، فرئي شيء من طين السقف وقع على القبور فأزال، وكنس التراب بلحيته، قيل إنه كان مليح الشيبة.

وقد اقتصرنا هنا على ما رأيت مما نُقِلَ عن السلف سوى ما نقلناه لك عن الصحابة اكتفاء لحصول المقصود، وإلا فمن أراد أن يتتبع أمثال ذلك في أخبار السلف وجد منه الكثير الكثير، فالحمد لله أن وفقنا لاتباعهم.

فإذا سلّم المخالف للكتاب والسنة بعد كل هذا بما سبق، وأقرّ بجواز التبرك بل استحبابه قيل له: فلا مانع من التوسل بالصالحين، لأن التوسل نوع من أنواع التبرك، ويأتي بيان ذلك إن شاء الله.

هذا وقد مرّ بك كلام الأئمة الأعلام، ورأيت الروايات عنهم في جواز تقبيل قبره والتمسح به ﷺ، فمنها ما روي عن ابن عمر ومنها ما روي عن بلال وقد رجع من الشام، ومنها ما روي عن السيدة فاطمة، وكذا روي من بعد الصحابة عن أئمة من السلف كالإمام أحمد بن حنبل، ومن فعل ابن المنكدر، ومن كلام إبراهيم الحربي، فلا نعيد أقوالهم ولا رواياتهم، وإنما نزيدك من كلام علماء من هذه الأمة نصوا في كتبهم على جواز ذلك، فدونك ما يأتي:

(٢) قال صاحب مطالب أولي النهى^(١): «ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من

(١) مطالب أولي النهى (٢٥٩).

ترجى بركته».

(٣) وقال السمهودي^(١): «نقل الطيب الناشري عن المحب الطبري أنه يجوز تقبيل القبر (أي قبر رسول الله ﷺ) ومسه، وقال: وعليه عمل العلماء الصالحين».

(٤) وقال المرادوي الحنبلي^(٢): «يجوز لمس القبر (أي قبر رسول الله ﷺ) من غير كراهة، وقيل: يستحب».

(٥) وقال الرملي الشافعي^(٣): «إن كان قبر نبي أو ولي أو عالم واستلمه، أو قبله بقصد التبرك فلا بأس به».

وقال محب الدين الطبري الشافعي^(٤): «ويجوز تقبيل القبر ومسه وعليه عمل العلماء والصالحين».

(٦) وقال الزرقاني المالكي^(٥): «تقبيل القبر الشريف مكروه إلا لقصد التبرك فلا كراهة».

(٧) وقال العيني في عمدته^(٦): «وقال شيخنا زين الدين: وأما تقبيل الأماكن الشريفة على قصد التبرك، وكذلك تقبيل أيدي الصالحين وأرجلهم فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية، وقد سأل أبو هريرة الحسن رضي الله تعالى عنه أن يكشف له المكان الذي قبله رسول الله ﷺ، وهو سرته، فقبله تبركاً بأثاره وذريته ﷺ، وقد كان ثابت البناني لا يدع يد أنس رضي الله تعالى عنه حتى يقبلها، ويقول: يد مست يد رسول الله ﷺ، وقال

(١) وفاء الوفا (٤/١٤٠٥).

(٢) الإنصاف (٢/٥٦٢).

(٣) انظر حاشية الرملي على أسنى المطالب (١/٣٣١).

(٤) أسنى المطالب (١٠/٣٣١).

(٥) شرح المواهب (٨/٣١٥).

(٦) عمدة القاري ما نصه (٩/٢٤١).

أيضاً وأخبرني الحافظ أبو سعيد بن العلاءي قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ، أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره فقال: لا بأس بذلك، قال فأريناها للشيخ تقي الدين بن تيمية، فصار يتعجب من ذلك ويقول: عجبت، أحمد عندي جليل يقوله!! هذا كلامه أو معنى كلامه. وقال - العلاءي - : وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي، وشرب الماء الذي غسله به، وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم، فكيف بمقادير الصحابة، وكيف بأثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟! ثم أورد مقالة مجنون ليلى: [من الوافر]

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

٨) ومنهم الحافظ السيوطي، فقد أجاز التبرك بتراب القبر، وذكر أنه ربما أكرم الله بعض الصالحين بجعل تراب قبورهم مسكاً أو ذار رائحة تُشبهه المسك، وكان مما قال: أخذ إنسان قبضةً من تراب قبر سعد، فذهب بها، ثم نظر إليها فإذا هي مسك.

٩) وقال الشيخ الرهوني في حاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل ما نصه: «أما ما يفعله الناس من حمل تراب الميت جائز، ما زال الناس يتبركون بقبور العلماء، والشهداء، والصالحين، وكان الناس يحملون تراب سيدي حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان يؤخذ حصي من قبره للصداع وهذا مجرب لذلك استثناه العلماء لإخراجه من حرم المدينة كما استثنوا أخذ التراب من قبر صهيب الرومي لأجل الحمى، فإذا ثبت أن تراب قبر سيدنا حمزة يُحمل من قديم الزمان، فكيف يتمالأ أهل العلم بالمدينة على السكوت على هذه البدعة المحرمة. هذا من الأمر البعيد».

١٠) وكذا الشيخ الدسوقي في حاشيته على شرح الدردير.



(١١) والشيخ عبد الغني النابلسي في كشف النور عن أصحاب القبور^(١).
وغيرهم كثير كثير.

فأي مانع من النظر أو التقيبيل لجزء من الحبيب المعشوق الذي تهيم به
قلوب المحبين، أو المسح به على موضع الألم، أو غسله، أو الشرب منه
رجاء أن يجعل الله الشفاء أو التخفيف، وقد رأيت أن ذلك من فعل
الصحابة ومن جاء بعدهم بما لا يقبل التشكيك في صحته في حياته وبعد
وفاته صلوات الله وسلامه عليه!!؟

ثانياً. تبرك الخلف وسائر الأمة بآثاره الشريفة ﷺ:

**١- شفاء الإمام البوصيري من الفالج الكذب أصابه ببركة
مدحه للنبي ﷺ:**

رجل من علماء المسلمين اسمه شرف الدين محمد البوصيري أصيب بفالج
أبطل نصفه، فأقعدته الفراش، ففكر بإنشاء قصيدة قي مدح النبي ﷺ يتوسل
ويستشفع به إلى الله عز وجل، فعمل قصيدة^(٢) مطلعها: [من البسيط]

أَمِنْ تَدَكَّرِ جِيرَانِ بِنْدِي سَلَمٍ مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بَدَمٍ
ومنها قوله:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكُونِيْنَ وَالثَّقَلَيْنِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرَجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحِمٍ
فَاقَ النَّبِيِّنَ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ

ثم نام، فرأى في منامه سيدنا محمدًا عليه الصلاة والسلام، فمسح بيده المباركة

(١) كشف النور عن أصحاب القبور (ص ٣٤).

(٢) وهي قصيدة (البردة) الدائعة الصيت، الطائرة الشهرة بين المسلمين شرقًا وغربًا، وهي أشهر من أن
تُعرف.

عليه، فقام من نومه وقد شفاه الله مما هو فيه وعافاه، فخرج من بيته، فلقى بعض فقراء الصوفية فقال له: يا سيدي أريد أن أسمع القصيدة التي مدحت بها النبي ﷺ، فقال: وأي قصيدة تريد؟ فإني مدحته بقصائد كثيرة، فقال: التي أولها: «أمن تذكر جيران بذي سلم» والله لقد سمعتها البارحة في منامي وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ وهو يسمع، وقد أعجبته.

٢ - مروحة من نخلة جاورت قبر النبي ﷺ أهديت إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه:

قدم موفد صاحب المدينة المنورة على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ومعه الهدايا، فلما جلس أخرج من كفه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الأحمر، وقال: الشريف يخدم مولانا السلطان ويقول: هذه المروحة، ما رأى مولانا السلطان ولا أحد من بني أيوب مثلها! فتعجب السلطان صلاح الدين الأيوبي، فقال الموفد: يا مولانا السلطان لا تعجل قبل تأملها! وكان السلطان صلاح الدين ملكًا حليماً، فتأملها فإذا عليها مكتوب: [من الخفيف]

أنا من نخلة تجاوز قبراً ساد من فيه سائر الناس طراً
شملتني عناية القبر حتى صرّت في راحة ابن أيوب أقرأ

وإذا هي من خوص النخل الذي في مسجد الرسول ﷺ، فقبلها السلطان صلاح الدين رضي الله عنه ووضعها على رأسه، وقال لموفد صاحب المدينة: «صدقت فيما قلت من تعظيم هذه المروحة»^(١).

٣ - غسل الحافظ ابن حنزابة بماء مبارك بشعرات النبي ﷺ:

وفي سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي عند كلامه عن الحافظ ابن حنزابة^(٢)،

(١) طرائف ونوادر من عيون التراث العربي، نايف معروف، دار النفائس، بيروت، ج ٢، ط ٣، ١٩٩٢، ص ٥٠.

(٢) ولد الحافظ ابن حنزابه سنة ٣٠٨ هـ.

قال ما نصه: لما غسل ابن حنزابة جعل فيه (أي في الماء) ثلاث شعرات من شعر النبي ﷺ كان أخذها بهال عظيم. أي على وجه التبرع، لأنه لا يصح بيعها ولا شراؤها، ولا هبتها ولا تملكها، وإنما تحصل بطريق التبرع أو الهدية، فتصير اختصاصا.

٤ - الطبراني وابو الشيخ يشكوان الجوع لرسول الله ﷺ:

ذكر الحافظ ابن الجوزي^(١): «عن أبي بكر المنقري قال: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله ﷺ، وكنا في حالة، فأثر فينا الجوع، وواصلنا ذلك اليوم - أي ما أكلنا -، فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله الجوع الجوع، وانصرفت، فقال لي أبو القاسم: اجلس فيما أن يكون الرزق أو الموت. قال أبو بكر: فقامت أنا وأبو الشيخ والطبراني جالس ينظر في شيء، فحضر الباب علوي^(٢)، فدق، ففتحنا له، فإذا معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شيء كثير، فجلسنا وأكلنا وظننا أن الباقي يأخذه الغلام، فولى وترك عندنا الباقي، فلما فرغنا من الطعام قال العلوي: يا قوم أشكوتم إلى رسول الله ﷺ؟ فإني رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فأمرني أن أحمل بشيء إليكم».

٥ - استيقظ وفي يده النصف الثاني من الرغيف:

ذكر الحافظ ابن الجوزي في صفة الصفوة^(٣) ما نصه: قال أبو الخير الأقطع رحمه الله: دخلت مدينة رسول الله ﷺ وأنا بفاقة، فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً، فتقدمت إلى القبر الشريف، وسلمت على النبي ﷺ، وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقلت: أنا ضيفك يا رسول الله، وتنحيت، ونمت خلف المنبر، فرأيت في المنام النبي ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه عن يمينه، وعمر رضي الله

(١) كتاب «الوفا بأحوال المصطفى» (٢/٨٠٢)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/٤٠٠) وفي تذكرة الحفاظ (٣/٩٧٤).

(٢) أي من أهل بيت النبوة.

(٣) صفة الصفوة (٤/٢٨٤).

عنه عن شماله، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه، فحركني وقال: قم
قد جاء النبي ﷺ، قال: فقامت إليه، وقبلته بين عينيه، فدفعت إلي رغيفاً، فأكلت
نصفه، وانتبهتُ فإذا في يدي النصف الآخر!!

٦ - شعر الإمام ابن دقيق العيد في التبرك بأثار النبي صلى الله عليه وسلم:

نقل الصفدي في الوافي^(١) عن ابن دقيق العيد شعراً منه: [من الكامل]

وتَوَخَّحَ آثار النبي فضع بها متشرِّفاً خديك في عفر البري
شوقي لقرب جنبه وصحابه شوق يحل يسيره أن يذكر

٧ - كنهابُ علة عجز عنها الأطباء وأيسوا من برئها:

قال نور الدين علي بن أحمد السمهودي في (وفاء الوفا بأخبار المصطفى)^(٢):
وقال الفقيه أبو محمد الإشبيلي في مؤلفه في فضل الحج: إنه نزل برجل من أهل غرناطة
علة عجز عنها الأطباء، وأيسوا من برئها، فكتب عنه الوزير أبو عبد الله محمد بن أبي
الخصال كتاباً إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، يسأله فيه الشفاء لدائه والبرء مما
نزل به (أي أن يدعو له الله الشافي)، وضمَّنه شعراً، وهو: [من الطويل]

كتابٌ وقِيدَ من زمانةٍ مُسْتَشْفِئِ بقرِ رسولِ الله أحمدَ يَسْتَشْفِي
لَهُ قَدَمٌ قد قَيَدَ الدَّهْرُ خَطْوَهَا فلمْ يَسْتَطِعْ إلا الإِشَارَةَ بالكِفِ
ولما رأى الزُّوَارَ يبتدرونهُ وقد عاقَهُ عن ظَعْنِهِ عَائِقُ الضَّعْفِ
بكى أسفاً واستودعَ الركبَ إذ غداً تحيةً صدقِ تَفْعَمُ الركبَ بالعَرَفِ

(١) الوافي بالوفيات (٤/١٤٢).

(٢) - دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ط ٤، ١٤٠٤هـ، ص ١٣٨٧.

فيا خاتمَ الرسلِ الشفيحِ لربِّه دعاءَ مَهِيضِ خاشعِ القلبِ والطَّرْفِ
عتيقكَ عبدُ الله ناداك ضارِعًا وقد أخلصَ النَجوى وأيقنَ بالعَطْفِ
رجاكَ لِضُرِّ أعجزَ الناسَ كَشْفُهُ ليصدُرَ داعيهِ بما جاءَ من كَشْفِ
لِرَجْلِ رَمَى فيها الزَّمانُ فقَصَّرتُ خُطاهُ عن الصَّفِّ المُقدِّمِ في الزَحْفِ
وإني لأرْجو أنْ تُعودَ سويَّةً بقدرةٍ من يُحيي العظامَ ومن يَشْفِي
فأنتَ الذي نرجوه حيًّا وميتًا لِصَرْفِ حُطوبٍ لا تَريمُ إلى صَرْفِ
عليكَ سلامُ الله عُدَّةَ خَلْقِهِ وما يَقْتضيه من مَزِيدٍ ومن ضِعْفِ

قال: فما هو إلا أن وصل الركبُ إلى المدينة، وقرئ على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الشعر، وبرئ الرجل في مكانه، فلما قدم الذي استودعه إياه وجده كأنه لم يصبه ضر قط».

٨ - مَلِكٌ يَتَوَاضَعُ لِحَاكِمِ حِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ :

في سنة ستمائة وسبع عشرة للهجرة، التي جرى فيها مأسٍ عظيمةً على دولة الإسلام، حيث بدأ التتر هجومهم واعتداءهم عليها كانت هذه الحادثة المروية عن خوارزم شاه، وكان ملكًا للناحية التي أتى منها التتر، فحاربهم ورددهم، ولكن مشيئة الله نافذة، فقد اشتد بأس التتر حتى هزموه، ولكنه استطاع التفلت والنجاة منهم، وكان اسم هذا الملك علاء الدين محمد بن علاء الدين تُكش، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وشهورًا تقريبًا، واتسع ملكه وعظُم محله، وأطاعته دول كثيرة، ولم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه، فإنه ملك من حدَّ العراق إلى تُركستان، ومَلِكَ بلاد غزنة وبعض الهند، حتى بلاد خراسان وبعض فارس. وكان فاضلا، عالماً بالفقه والأصول وغيرها، وكان مكرماً لعلماء الدين، محباً لهم محسناً إليهم، يُكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه، وكان صبوراً على التعب وإدمان السير، غير متنعم ولا مقبلٍ على اللذات،

وإنما همه في الملك وتدييره، وحفظه وحفظ رعاياه، وكان معظمًا لأهل الدين، مقبلا عليهم متبركًا بهم.

وقد كان أحد خدام حجرة النبي ﷺ خراسانيًا، وذهب لتفقد أهله، فوصل إلى خوارزم، فقصد سلطانها علاء الدين، وعندما أدخله الحاجب دخل فرأى السلطان جالسًا في صدر إيوانٍ كبير، فلما توسط صحن الدار قام السلطان وتوجه نحوه، فأسرع خادم حجرة النبي ﷺ وأراد أن يقبل يد السلطان، فمنعه واعتنقه، وجلس وأجلسه إلى جانبه، وسأله قائلاً: أنت تخدم حجرة النبي ﷺ؟ فقال: نعم، فأخذ يده وأمرها على وجهه، وسأله عن حاله وعيشه، وصفة المدينة المنورة، ومقدارها، وأطال الحديث معه، فلما خرج الخادم من عنده قال: لولا أننا على عزم السفر هذه الساعة لما ودعتك، إنما نريد أن نعبر جِيحون لملاقاة العدو، وهذا الأمر مبارك، إننا رأينا من يخدم حجرة النبي ﷺ، ثم ودعه وأرسل إليه مالا كثيرًا.

وقد اقتصرنا على هذه الأخبار في هذا الفصل لحصول المقصود في الفصول السابقة بحمد الله تعالى.

ومما يطيب لنا إيراده في هذا المقام القصيدة الفريدة: (نيل القبول ببركة شعرة الرسول ﷺ) للأديب الدكتور وافي حاج ماجد: [من الكامل]

نَيْلُ الْقَبُولِ بِبِرْكَةِ شَعْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ

كُشِفَ الْحِجَابُ فَلَاحَتْ الشَّعْرَاتُ ودنا الوصالُ فسالتِ العَبْرَاتُ
فَتَرَنَّمَتْ كُلُّ الْقُلُوبِ بِحُسْنِهَا وترنَّحتُ فاحمرَّتِ الْوَجَنَاتُ
واستعذبتُ لَغَةَ الْغَرَامِ بِوَصْفِهَا فتمايلتُ بمديحها الساداتُ
(طَرِبُوا وَطَابَتْ بِاللِّقَاءِ أَرْوَاحُهُمْ كَتَمُوا فَبَاحَتْ مِنْهُمْ الْعَبْرَاتُ)

(شربوا بأقداح الصفا لما صَفَوْا
نورٌ على نورٍ بفيضِ حبيبهم
فإذا دَنَوْا نالوا المنى بوِصَالِهِ
هُوَ ذا النبيُّ وهذِهِ أنوارُهُ
هُوَ ذا الحبيبُ وهذِهِ آثارُهُ
أثرُ آثارِ الشوقِ في أرواحنا
أثرُ تُنالِ المَكْرَمَاتِ بِسِرِّهِ
شَعْرُ النبيِّ فهِمُ بِهِ متبرِّكًا
فابنُ الوليدِ بِسِرِّهِ هَزَمَ العِدَا
هي شَعْرَةُ المَخْتَارِ فَاحَتْ بِالشَّدَا
يا شَعْرَةَ المَخْتَارِ يا قَمَرَ الدُّجَى
أنتِ المَرَامُ وَأنتِ أنتِ المُلْتَجَا
فَمَتَى تُرَوِّي مُهَجَّتِي رَشَفَاتُ

نالَ المَجِبُونَ الهَنَا بوِصَالِهَا
هَلْ لي بِلِثْمٍ أو بِلَمْسٍ عَاجِلٍ
فِبَطِيئِهَا الأَرْوَاحُ زَادَ حَنِينُهَا
فَادُعُ الإِلَهِ بِسِرِّهَا مُتَوَسِّلَا
يا سَيِّدِي يا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى
وَأنا حُرِمْتُ، ففِي الحِشَا زَفَرَاتُ
فَعَسَى تَزُولُ بِسِرِّهَا الحَسَرَاتُ
وَبِنُورِهَا قَدْ زَالَتِ الكُرْبَاتُ
فَعَسَى تُجَابُ بِسِرِّهَا الدَّعَوَاتُ
كَيْفَ اعْتَدَارِي عَن قُصُورِي فِي السَّرَى

والدَّمَعُ مِنْ مُرِّ البِعَادِ لَقَدْ جَرَى لَكِنَّ عُدْرِيَّ أَنْ عُدْرِيَّ ذَا يُرَى
بُدْرًا المَدِيحِ تُحْصَلُ الحَسَنَاتُ
إِنْ نَالَ (كَعْبٌ) مِنْ عُلَاكَ مَفَاخِرَا فَلَقَدْ رَجَوْتُ بَذَا المَدِيحِ جَوَاهِرَا
أَوْ صَاغَ (كَعْبٌ) عُدْرَهُ بِقَصِيدَةٍ زَهْرَاءَ (بَانَتْ) بِالجَمَالِ فَرِيدَةٍ
فَالْعُدْرُ مِنِّي هَذِهِ الأَبْيَاتُ

ثالثاً: بشائر رؤية النبي ﷺ في المنام:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (سورة البقرة).^(١)

وقال بعض أهل العلم: [من الرجز]

وكلُّ ما أتى به الرسولُ فحَقُّهُ التَّسْلِيمُ والقَبُولُ
لذلك كان المؤمن تواقاً لدخول الجنة خائفاً من سوء الخاتمة، يدعوه الخوف
والقلق للاستعداد ليوم المعاد وللرحيل عن الدنيا للأخرة بخير زاد. والنبي ﷺ
بشر بالعموم كما في قوله: «مَنْ قَالَ: «رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ
نَبِيًّا» أَنَا الزَّعِيمُ يَوْمَ القِيَامَةِ لاَ أُخَذَنَّ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ» رواه الطبراني^(١).

كما بشر البعض بخصوصه؛ فلقد أخبر ﷺ أَنَّ أبا بكرٍ في الجنة، وأنَّ عمرَ في
الجنة، وأنَّ عثمانَ وعليًّا وطلحةً والزبيرَ وسعدًا وسعيدًا وعبد الرحمنَ
ابن عوفَ وأبا عبيدة كلهم في الجنة^(٢).

كما جاء عنه ﷺ أَنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ^(٣)، وأنَّ الجنةَ

(١) المعجم الكبير (٢٠/٣٥٥).

(٢) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٣) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب الحسن بن علي رضي الله عنهما.

تشتاق لعلي وعمار وبلال^(١)، وأنَّ جعفرًا الطيار لما قُطعت يده في غزوة مؤتة أبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة^(٢).

فإن قال قائل: أولئك قوم رضي الله عنهم ورضوا عنه، فسعدوا بما بشرهم به رسول الله ﷺ، وحظوا ببقائه في الدنيا، وباؤوا بالجنة، فاطمأنت قلوبهم، فهل من بشرى لنا وبيننا وبين رسول الله ﷺ مئات السنين؟

أبشر أخي المؤمن، فإنَّ النبي ﷺ قال: «**ذهبت النبوة وبقيت المبشرات**» قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: «**الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له**» رواه الإمام أحمد^(٣).

من المبشرات أن من رأى النبي المصطفى ﷺ في المنام سيفوز بحسن الختام، والدخول بلا عذاب إلى جنة الخلد دار السلام؛ فالرسول بشر من رآه في المنام بدخول الجنان فقال: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**» رواه البخاري في صحيحه^(٤).

وفي فيض القدير^(٥): «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**» بفتح القاف رؤية خاصة في الآخرة بصفة القرب والشفاعة. قال الدماميني^(٦): وهذه بشارة لرائيه بموته على الإسلام؛ لأنه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب منه إلا من تحقق منه الوفاة على الإسلام.

وفي عون المعبود^(٧): «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**»: بفتح القاف أي يوم

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب: باب مناقب سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٢) دلائل النبوة (٤/٣٧١).

(٣) رواه أحمد في مسنده بنحوه (٦/١٢٩).

(٤) صحيح مسلم: كتاب التعبير: باب من رأى النبي ﷺ في المنام.

(٥) فيض القدير (ج٦/١٧٢).

(٦) (ص/١٣٣).

(٧) عون المعبود (ج١١/٦٢). على أن هذا الكتاب فيه الدعوة العقيدة المشبهة فليحذر، وإنما استشهدنا به ردًا على مجسمة العصر الذين يعترضون على هذا التفسير الصحيح.

القيامة رؤية خاصة في القرب منه، أو «من رآني في المنام ولم يكن مهاجر يوفقه الله للهجرة إليّ والتشرف ببقائي» ويكون الله تعالى جعل رؤيته في المنام علماً على رؤياه في اليقظة، وعلى القول الأول ففيه بشارة لرأيه بأنه يموت على الإسلام، وكفى بها بشارة وذلك لأنه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب منه إلا من تحققت منه الوفاة على الإسلام. كذا في شرح القسطلاني لصحيح البخاري.

ولقد قال أهل العلم: إن رؤيته ﷺ في المنام بشرى كبيرة للرأي، وهي أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل الموت، والنبى ﷺ حي في قبره لا يخرج منه، فيصير ما بينه وبين النبى ﷺ من الجبال وغيرها كالبلور أي كالزجاج.

وأما ما قاله البعض: إن المراد باليقظة هنا الآخرة، فجواب أهل العلم على كلامه: أين المزية إذن لمن رأى النبى ﷺ في الدنيا في المنام طالما أن من مات على دينه ﷺ سواء رآه في الدنيا في المنام أم لم يره في المنام فالكل سيراه في الآخرة؟! وما معنى إذن قوله ﷺ: «فسيراني في اليقظة»؟! فالمراد رؤيته في الدنيا قبل الموت.

لقد ورد بالإسناد المتصل أن رجلاً كان في عصر السلف بعد نحو مائة وخمسين سنة من وفاة الرسول ﷺ يسمى الحسن بن حي، كان من العلماء العاملين من أهل الحديث الأتقياء وله أخ مثله، فلمّا كان على فراش الموت سمعه أخوه يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (سورة النساء). فلما سمعه يتلو الآية قال له: «يا أخي تتلو تلاوة أم ماذا؟» قال: «لا، بل أرى رسول الله ﷺ يضحك لي، ويبشرني بالجنة، وأرى الملائكة وأرى الحور العين».

فإن قال قائل: وكيف لي أن أعرف أن الذي رأيته في المنام هو سيدنا محمد ﷺ؟

فالجواب: أنه يقع في قلبك وتطمئن نفسك أن هذا هو رسول الله ﷺ.

وإن قال: ما أوصافه الخلقية حتى أعرفه بها؟

فالجواب: قد تراه على صورته الحقيقية، وقد تراه على غير صورته الحقيقية،



ولكن مع اطمئنان النفس بأن من تراه هو رسول الله ﷺ، لأن الشيطان لا يتمثل به ﷺ.

وأما عن أوصافه الخلقية ﷺ: فإنه ﷺ كامل في ذاته مكمل في أوصافه، جميل الصورة، ظريف القوام، مربع القامة ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير، عظيم الرأس، بعيد ما بين المنكبين، سواء البطن والصدر، مشرق الوجه، كأنه البدر ليلة التمام، أجلى الجبهة، قمري الجبين واسع، حواجه هلالية، كحيل الطرف، أهدب العينين، أبيض الخدين مشرب بالحمرة، يجري الحسن في خديه، عظيم اللحية، كوكبي الأنف، خاتم الفم، جميل الابتسام، مفلج الأسنان، سلسيل الريق، معتدل العنق في صفاء الفضة النقية.

قالت السيدة عائشة في وصف أفضل الكائنات ﷺ: [من الوافر]

وأَجْمَلُ مَنْكَ لَمْ تَرْقُطْ عَيْنٌ وَأَكْمَلُ مَنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مَبْرَرًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

وصف أمّ معبد للنبي عليه الصلاة والسلام:

يروى أن الرسول ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ومولاه ودليلهما، خرجوا من مكة ومروا على خيمة امرأة عجوز تسمى أم معبد، كانت تجلس قرب الخيمة تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمراً ليشتروا منها، فلم يجدوا عندها شيئاً! فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في جانب الخيمة، وكان قد نفذ زادهم وجاعوا، فسأل النبي صلوات الله وسلامه عليه أمّ معبد: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد والضعف عن الغنم! فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: هل بها من لبن؟ قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا النبي ﷺ الشاة، ومسح بيده ضرعها، وسمى الله جل ثناؤه ثم دعا لأمّ معبد في شاتها حتى فتحت الشاة رجليها، ودرّت، فدعا بإناء كبير، فحلب فيه حتى امتلأ، ثم سقى المرأة حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رويوا أي شبعوا، ثم شربوا آخرهم، ثم

حلب في الإناء مرة ثانية حتى ملاً الإناء، ثم تركه عندها وارتحلوا عنها. وبعد قليل أتى زوج المرأة أبو معبد يسوق عنزاً يتمايلن من الضعف، فرأى اللبن، فقال لزوجته: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب (أي الغنم) ولا حلوب في البيت؟ فقالت: لا والله، إنه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، فقال أبو معبد: صفيه لي يا أم معبد، فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة، أبلج الوجه (أي مشرق الوجه)، لم تعبهُ ثُجَلَةٌ (أي نحول الجسم)، ولم تَزِرْ به صُضْعَلَةٌ (أنه ليس بناحل ولا سمين)، وسيمٌ قسيم (أي حسن وضيء)، في عينيه دَعَج (أي سواد)، وفي أشفاره وَطَف (طويل شعر العين)، وفي صوته صَحَل (بُحَّة وحسن)، وفي عنقه سَطَع (طول)، وفي لحيته كثائثة (كثرة شعر)، أزج أقرن (حاجباه طويلان ومقوسان ومتصلان)، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأجلاهم وأحسنهم من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر (كلامه بين وسط ليس بالقليل ولا بالكثير)، كأنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتِ نَظْمٍ يَنْحَدِرُنْ، ربعة (ليس بالطويل البائن ولا بالقصير)، ولا تقتحمه عين من قصر (لا تزدريه لقصره فتجاوزه إلى غيره بل تهابه وتقبله)، ولا تَشْنُوهُ من طول (لا يُبْعَضُ لفرط طوله)، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدًا، له رفقاء يحفون به إذا قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محفود (مخدوم)، محشود (أي عنده جماعة من أصحابه يطيعونه)، لا عابس ولا مُفْنِد (غير عابس الوجه، وكلامه خالٍ من الخرافة)، فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، وأصبح صوت بمكة عاليًا يسمعه الناس، ولا يدرون من صاحبه وهو يقول: [من الطويل]

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائِهِ رقيقينِ قالا خيمتي أمّ معبدِ
هما نزلاها بالهدى واهتدت به فقد فازَ من أمسى رقيقَ محمدِ

حديث حسن قويّ أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.
اللهم ارزقنا رؤيته ﷺ يقظةً وفي المنام على صورته الحقيقية.

ولسان الحال يُنشد: [من الكامل]

إِنَّ القلوب إلى الرسول تميلُ ومعى بذلك شاهد ودليلُ
أما الدليل إذا ذكرت محمداً صارت دموع العاشقين تسيلُ

وقد يسأل عاشق متلهف تواق لرؤية المصطفى في المنام: ما السبيل إلى
رؤيته ﷺ؟

قلنا له: إن من أسباب الرؤيا الصالحة، أن يتلو المرء سورة الكافرون قبل
النوم، وأن يشتغل بالذكر حتى النوم، وينام على طهارة كاملة مستقبلاً القبلة،
وأن يعلق قلبه برسول الله ﷺ. فقد روى أبو داود^(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ
سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمَكْيَالِ الْأَوْفَى إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فليقل: «اللهم صلِّ على
محمد النبي، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل
إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ».

كذلك الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ليلاً ونهاراً، ومن صيغها:

● اللهم صلِّ صلاةً كاملة، وسلِّم سلاماً تاماً على سيدنا محمد، الذي تنحلُّ به
العقدُ، وتنفرجُ به الكربُ، وتُقضى به الحوائجُ، وتُنال به الرغائبُ وحُسْنُ
الحوائم، ويُستسقى الغمامُ بوجهه الكريم، وعلى آله وصحبه وسلِّم (١٠٠
مرة).

● اللهم صلِّ على بدر التمام، ومصباح الظلام، ومفتاح دار السلام، وشمس
دين الإسلام، محمد عليه الصلاة والسلام (كل يوم ١٠ مرات، ويوم الجمعة
١٠٠ مرة).

● اللهم صلِّ على سيدنا محمد طبِّ القلوبِ ودوائها، وعافية الأبدانِ وشفائها،
ونور الأبصارِ وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلِّم.

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب الصلاة على النبي ﷺ.

فردّد - أخي المسلم - هذه الأوراد عسى أن تحظى برؤيته ﷺ، وقل: اللهم
إني أسألك بحبك لنبيك محمد ﷺ أن تجمعني به، إنك على كل شيء قدير.

واستيقظ في أوقات السحر، وصل ركعتين أو أكثر، وادع الله في سجودك
بتضرع وخشوع أن يريك نبيه ﷺ، وأفعل ذلك تكراراً ومراراً فإنك بإذن الله
تراه، وقد تحققت هذه الرؤيا لكثيرين والحمد لله بعد قراءتهم لهذه الأوراد،
فأقبل بقلبك، وتنبه إلى أهمية مراعاة مخارج الحروف عند قراءة أي صيغة من
هذه الصيغ، مخلصاً نيتك لله. ولتكن حاضر القلب معظماً للنبي الأمين صلوات
ربي وسلامه عليه.

وأشدوا: [من الكامل]

الله عَظَمَ قدر جَاهِ محمدٍ وأنا له فضلاً لديه عظيمًا
في محكم التنزيلِ قال لخلقه صلُّوا عليه وسلموا تسليماً

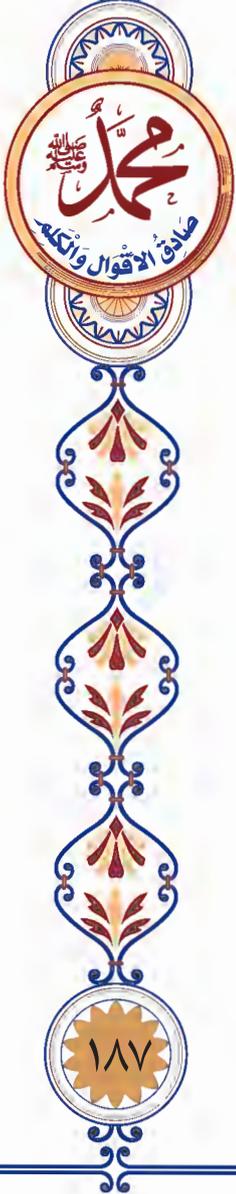
أبيات من كدالية الأفياد

قال فضيلة الشيخ الأديب أسامة السيد: [من الكامل]

سَادَ البريةَ وَهُوَ بعدُ كُبْرُ عِمٍ من للبرايا مثلُ ذاك السَّيِّدِ
فالمسكُ يغرفُ ريحُهُ من رشحِهِ كجمانِ درِّ في الجبينِ مُنْضَدِ
والحسنُ يرسمُ من سوادِ عيونهِ لونَ السوادِ للونِ كحلِّ الإثمِ
أما الحريرُ فمن نضارةِ كفهِ بل كفهُ للجوْدِ أعذبُ موردِ
وكانه في المشي يهبطُ من عُلا كالضوءِ ينزلُ من عيونِ الفرقدِ
فلئن تلفَّتَ للورا فيكُلِّه جبلا يروحُ وبخَرَ جوْدِ يَغْتدي

والصبحُ يَطْلُعُ من جُبَيْنِ جبينه
 أما الحواجِبُ كالأهْلَةِ في الفضا
 والثغرُ منه كدُرَّةٍ لألاءِةٍ
 والثلجُ يَقْبَسُ من بياضِ إهابِه
 حتى كأنَّ الشمسَ تجري بوهجِها
 من رامٍ فهما للملاحِةِ يلقها
 إنْ كان شَطْرُ الحسَنِ حُصَّ بيوسفِ
 غلبَ الجلالُ على الجمالِ مهابةً
 إني عشقت جلاله وجماله
 لئنُ العريكةِ من مناقبِ طيبِ
 يُغضي بِطَبَعٍ من حساءٍ في الملا
 ما عابَ قَطُّ طعامه حتى ولا
 فلئنُ تَقَدُّه صغيرةٌ وبحاجةٍ
 فالصدرُ بحرٌ في الرحابةِ رائقُ
 وتراه يُعْرِضُ عن حماقةِ أرْعَنِ
 إلا إذا انتَهَكَتْ محارمُ ربنا
 قد نالَ في فَضْلِ الخطابِ ذُرَى عُلا
 وجوامعُ الكَلِمِ البليغِ غدا لهُ

من لَمَّةٍ أَمَسَتْ كليلِ أسودِ
 ترعى لحاظًا دونَ أيِّ تَسْهَدِ
 يَفْتَرُّ عن دُرِّ بهيِّ المشهدِ
 والوردُ جُنَّ بخدِّه المتورِّدِ
 في وجهه الفياضِ بالصبحِ النَّدي
 شمسا تذوبُ بثغرِ ذاك الأغيدي
 فالحسنُ كلُّ الحسَنِ عندَ محمدِ
 مثلَ احتواءِ النَّضْلِ جفنُ مُهنَّدِ
 وبعشقه بات الحبيبُ مُقيدي
 طابتُ به الدنيا وكلُّ موحدِ
 لا بالتطَبُّعِ كالعذارى الخردِ
 نهرَ الخدومِ ولا أساءَ لأعْبُدِ
 تلقاهُ في وَطَرِ الصغيرةِ يَنْقَدِ
 ويغضُّ طرفًا عن جَهُولِ أبلدِ
 والصبرُ من أحشائه لم يَنْقَدِ
 فتراه يَرْعُدُ كالحِضَمِّ المُرْبِدِ
 فتراه بين مقاربٍ ومسدِّدِ
 جزلَ العبائرِ في الفصيحِ الأجودِ



لغة العروبة أحكمت في لفظه
 ألقّت عصاها وهي تسأل وصله
 وبه النُسُورُ تشبّهت بعلائها
 أين الأشاوسُ من شجاعته التي
 كانوا به يترسونَ إذا الوغى
 فاق الأنامَ بحلّقه وبخلّقه
 فالله أقسمَ في القرآنِ بأحمدِ
 إن ترقدنَ عيناهُ في جوفِ الدجى
 شرفَ الغمامِ بأن أظلّ مؤيِّداً
 جاء المدينةَ في الهجيرِ مهاجراً
 وهناك أرسى للإمامِ حضارةً
 والذئبُ يشهدُ بالنبوةِ مفصّحاً
 فأغثُ إلهي إننا في حيرةٍ
 أدركَ رسولَ الله أمتك التي
 صلى عليكَ الله في ذكرٍ وما
 ربّ وباركُ بالنبى وقبره
 وسعتُ لديه بلهفةٍ وتودّدِ
 وجموعُ أهلِ الشعرِ جاءتْ تجتدي
 وكذا الصقورُ وكل ليثٍ أصيدِ
 أضحتُ مثالا للكفاة لتقتدي
 قد شمرتُ عن ساقِ بأسٍ مجهدِ
 والخلقُ منه سجيةٌ في السؤددِ
 وأحلّه بالخلقِ أرفعَ مقعدِ
 فالقلبُ يقظانٌ ولما يرقدِ
 سمحاً رحيمًا بالساحةِ يرتدي
 والناسُ بين مُبشِّرٍ ومزغردِ
 كالطودِ يرسُخُ في روابي الأتجدِ
 ولغيرِ شخصِ محمدٍ لم يشهدِ
 عزَّ النصيرُ وأنتَ خيرُ مؤيِّدِ
 سيّمتُ بحسْفٍ من لئيمٍ ملحدِ
 لهجتُ بذكركَ لهجةَ المتشهدِ
 ما سَحَّ دمعٌ عندَ ذاكِ المرقدِ



الفصل الثالث

في بيان آثار مكة المكرمة والمدينة المنورة وبركتهما وفضائلهما

المبحث الأول: في بيان آثار المدينة المنورة المباركة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام

قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة من البركة» رواه البخاري في الصحيح كتاب فضائل المدينة.

قال الحافظ ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن^(١): «من دخل المدينة فليحضر على قلبه أنها البلد التي اختارها الله عز وجل لنبيه ﷺ، وليتخيل ترده ﷺ فيها، ومشيه في بقاعها، فكلها شريفة، وإن خصت منها مواضع».

لقد عظم المسلمون كل ما له علاقة برسول الله ﷺ، فأجلّوا الأزمنة التي تخصه مثل يوم مولده ويوم هجرته، والأمكنة التي تقلّب فيها مثل مكان مولده وتعبّده ومسجده ومدفنه، وتعلقوا بالأدوات التي كان يستخدمها ﷺ في حال حياته من سرير ولباس وءانية، وغير ذلك من متاع، وحرصوا أشد الحرص على ما تركه رسول الله ﷺ منها بعد موته، وتبركوا بأثاره، فالخلفاء ظلوا يتوارثون بُردته الشريفة، وجعلوها علامة الخلافة، وكدّوا أنفسهم في تحصيل كل ما له علاقة برسول الله ﷺ. وقد وصل إلى العصر المملوكي ثم العصر العثماني ثم يومنا هذا شيء من هذه الآثار.

ولا شك في أن وجود هذه الآثار أمام عيون الناس قد هيّج وجدّهم برسول الله ﷺ ودفعهم إلى مدحه ومناجاته، فقال ابن خطيب داريا (جلال الدين) في

(١) مثير الغرام الساكن (ص/٢٧٨).

هذه الآثار: [من الكامل]

يا عينُ إن بُعدَ الحبيبِ ودارهُ
ونأتُ مَرابِعَهُ وشطَّ مزارهُ
فلقد ظفرت من الزمانِ بطائلٍ
إن لم ترَيه فهذه آثارهُ

فمن دخل مدينة رسول الله ﷺ ليغتنم كل أوقاته في الطاعة وتتبع آثار النبي والصحابة الكرام، فإن العلماء الأكارم كانوا إذا دخلوها سعوا جاهدين أن ينالوا من عظيم بركاتها، وكان الإمام مالك رضي الله عنه يمشي في المدينة ولا يركب لأن رسول الله ﷺ مدفون فيها، ولأنه كان يرجو أن يصيب بقدميه موضعاً أصابته قدم النبي ﷺ تبركاً، حتى إنهم كانوا يشربون من لبن نوق المدينة ويقولون: لعل هذه الناقة أكلت من عشب نبت في أرض داس عليها رسول الله ﷺ!!

وفي فتح الباري^(١) لابن حجر: «الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبتته في النبي ﷺ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة؛ لأنه في زمن النبي ﷺ، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم، ومن بعد ذلك لزيارة قبره ﷺ، والصلاة في مسجده والتبرك بمشاهدة آثاره وآثار الصحابة» اهـ.

وقال ابن حجر في الفتاوى الكبرى^(٢): يتأكد نذب احترام نحو المدارس والربط ومحال العلماء والصلحاء، وكل محل علم أنه ﷺ نزل، أو صلى فيه، فله فضل عظيم على غيره على ممر الدهر، فيتأكد الاعتناء به بتحري نزوله والتبرك به، كما كان ابن عمر وغيره رضي الله عنهم يفعلون بعد وفاته ﷺ.

أولاً: المساجد النبوية في المدينة.

في كتاب حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل^(٣) للشيخ عبد القادر الفاكهي:

(١) فتح الباري (٤/ ٩٣ - ٩٤).

(٢) الفتاوى الفقهية الكبرى (٢/ ١١٩).

(٣) حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل (ص/ ٥٦).

الأدب الخامس والأربعون: زيارة المساجد النبوية، والتبرك بها وبالأثار المحمدية الموجودة في طريق الزيارة كمسجد يسمى الآن مسجد النصر، ومسجد خليص عند العقبة، ومسجد عند عين خليص أيضًا، ومسجد بطن وادي مر، وقال المراغي: ويقال إنه المعروف بمسجد الفتح قرب الحجون، والمسجد القريب للتنعيم الذي فيه قبر ميمونة^(١).

الأدب الثالث والخمسون: استحضر عظمة المدينة الشريفة إذا تراءت له الحجرة المنيفة، معتقدًا أنها بعد مكة أفضل الأرض، وأن البقعة التي ضمت الأعضاء المقدسة أفضل من العرش والكرسي والكعبة، ممثلًا في نفسه مواقع الأقدام الشريفة عند دخوله، متحريرًا إصابة قدمه موضعًا من مواضع قدمه الكريم عليه الصلاة والتسليم، فينال بذلك يمنًا وبركة وكذا أجرًا بملاحظة التعظيم. ومن المساجد التي تقصد بالزيارة في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام:

— مسجد الفتح، والمساجد التي في قبلته وتعرف بالمساجد السبعة، وهي الموجودة في بطن جبل سلع من جهة الغرب، وهي: مسجد الفتح، ومسجد سلمان الفارسي، ومسجد علي، ومسجد عمر ومسجد سعد بن معاذ، ومسجد أبي بكر رضي الله عنهم؛ فقد أخرج الإمام أحمد^(٢) عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرف البشر في وجهه.

(١) وذكر الحافظ السخاوي في التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة من (ج ١/ ص ٣٨) نحو (٥١) مسجدًا وقال في مقدمة كلامه عنها: «وأما المساجد التي صلى النبي ﷺ - ولو في رواية ضعيفة - فيها مما عرف عينًا أو جهة ظنًا أو تخمينًا بالمدينة وما حولها وهي كثيرة لا تنحصر، ولكن وقع الاختصار على جملة منها لارتجاء الفوز باقتفائه ﷺ في الصلاة فيها أو فيما تيسر منها. وعد منها مسجد الفتح (وقال) الذي دعا النبي ﷺ فيه يوم الخندق على الأحزاب وصلى فيه فاستجيب له وحوله مساجد تُعرف بذلك وبغيره مما تقدم كأبي بكر وعلي وسلمان حسبما يذكر على الألسنة.

(٢) مسند أحمد (٤٠٧/٣) ورجاله ثقات كما في الزوائد (١٢/٤).

وفي هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك للعز بن جماعة^(١) في فضل مسجد الفتح، قال أبو إسحاق بن شعبان: «وأحب له أن يأتي مسجد الفتح الذي على الخندق بين الظهر والعصر، فيركع فيه، ويدعو فيه بكل خير، ثم ذكر حديث جابر ثم قال عقبه): قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم إلا جئتته، فدعوت فيه يوم الأربعاء تلك الساعة فأعرف الإجابة». ونقل مثل ذلك الشيخ عبد القادر الفاكهي في كتابه حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل.

وأخرج الحافظ ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن^(٢): أن النبي ﷺ مر بمسجد الفتح الذي في الجبل وقد حضرت صلاة العصر، فرقي فصلي فيه.

وبسنده أيضاً أن رسول الله ﷺ دعا يوم الخندق على الأحزاب في موضع الأسطوانة الوسطى من مسجد الفتح الذي على الجبل».

وقد ذكر أمر مسجد الفتح والمساجد التي في قبلته البرزنجي في (نزهة الناظرين)^(٣) من غير أن يفصلها، والسمهودي في (خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى)^(٤)، وفيه: «أنه يقال له أيضاً مسجد الأحزاب الأعلى».

وقد عدّ الحافظ ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن عدداً من المساجد التي روي النبي ﷺ قد صلى فيها، ثم قال عقب ذلك: «وفي مواضع يطول ذكرها فيستحب تتبعها لمن عرف المدينة، وكذلك يستحب تتبع الآثار والأماكن التي شرب منها رسول الله ﷺ، والأماكن التي جلس فيها رسول الله ﷺ».

أساطين المسجد النبوي الشريف وخصائصها:

— الأسطوانة التي عند المصحف:

عن يزيد بن أبي عميد قال: «كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند

(١) (٧٦٧هـ) (ج/١/١٢٣).

(٢) مثير الغرام الساكن (ص/٢٧٨).

(٣) نزهة الناظرين (ص/١٢٠).

(٤) خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى (١/٢٤٣).

الأسطوانة التي عند المصحف، فقلت: يا أبا مسلم، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال: فإني رأيت النبي يتحرى الصلاة عندها»^(١).

قال السمهودي - عند ذكره لأسطوانة المحرس: «كان علي بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلي القبر ممّا يلي باب رسول الله ﷺ، وهو مقابل الخوخة التي كان النبي ﷺ يخرج منها إذا كان في بيت عائشة إلى الروضة للصلاة، وهي الأسطوانة التي يصلي عندها أمير المدينة، يجعلها خلف ظهره، ولذا قال الأقفهري: إنَّ أسطوانة مصلى علي رضي الله عنه اليوم أشهر من أن تخفى على أهل الحرم، ويقصد الأمراء الجلوس والصلاة عندها إلى اليوم، وذكر أنه يقال لها: مجلس القادة، لشرف من كان يجلس فيه»^(٢).

ونقل عن مسلم بن أبي مريم وغيره: «أنه كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ في المربعة التي في القبر. قال سليمان: قال لي مسلم: لا تنس حظك من الصلاة إليها؛ فإنها باب فاطمة رضي الله عنها الذي كان علي يدخل عليها منه»^(٣).

وفي حديثه عن أسطوانة التهجد قال: كان رسول الله ﷺ يخرج حصيراً كل ليلة إذا انكفأ الناس، فيطرح وراء بيت علي ثم يصلي صلاة الليل.

وحدثني سعيد بن عبد الله بن فضيل قال: مرّ بي محمد بن الحنفية وأنا أصلي إليها فقال لي: أراك تلزم هذه الأسطوانة، هل جاءك فيه أثر؟ قلت: لا، قال: فالزمها، فإنها كانت مصلى رسول الله ﷺ من الليل.

قال ابن النجار: فعلى هذا جميع سواري مسجد النبي ﷺ يستحب الصلاة عندها؛ لأنه لا يخلو أن كبار الصحابة صلوا إليها»^(٤).

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥٢/٨)

(٢) وفاء الوفا (٤٤٨/٢).

(٣) المصدر السابق (٤٥٠/٢).

(٤) وفاء الوفا (٤٥٢).

وفي كتاب حسن التوسل المشار إليه آنفاً أن التبرك بأساطين المسجد ذوات الفضل المأثور بأن يدعو الله عندها ويصلي لديها، وكل الأساطين التي كانت قبل في المسجد قبل الزيادة لها فضل عظيم، لأن كل واحدة لم تخل من صلاة بعض أكابر الصحابة إليها، وثمانية لها منزلة:

الأولى: أسطوانة عائشة^(١)، وهي الثالثة من جهة المنبر والقبر، متوسطة الروضة، صلى إليها النبي ﷺ المكتوبة بعد تحويل القبلة بضعة وعشرين يوماً، وكان أبو بكر وعمر وكثيرون من الصحابة يصلون إليها، والمهاجرون من قريش يجتمعون عندها حتى يسمى مجلسهم لديها مجلس المهاجرين.

وفي حديثٍ تصريحٍ وتلويحٍ بفضلٍ عظيم لها، صلى إليها ابن الزبير متمناً للشق الأيمن فيها السر، عظيم فهمه عن عائشة في الصلاة، كذلك قال زيد بن أسلم: رأيت عندها موضع الجبهة النبوية فالصديقية فالعمرية، وفي حديثٍ أن الدعاء عندها مستجاب، وعن عائشة: لو عرفها الناس لاضطربوا عليها بالسهام.

الثانية: أسطوانة التوبة لتوبة الأنصاري عندها، وكان ﷺ يصلي إليها

(١) سميت بذلك لأن عائشة رضي الله عنها أخبرت بتعيين موقعها. عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن في المسجد لبقعة قبل هذه الأسطوانة لو يعلم الناس ما صلوا فيها إلا أن يطير لهم قرعة»، وعندها جماعة من أبناء الصحابة وأبناء المهاجرين فقالوا: يا أم المؤمنين وأين هي فاستعجمت عليهم، فمكثوا عندها ثم خرجوا، وثبت عبد الله بن الزبير، فقالوا: إنها ستخبره فارمقوه في المسجد حتى ينظروا حيث يصلي، فخرج بعد ساعة فصلى عند الأسطوانة التي صلى إليها ابن عامر بن عبد الله، فقيل لها: أسطوانة القرعة. (مجمع الزوائد ٤/ ١٠) وقال رواه الطبراني في الأوسط) وانظر فتح الباري (ج ١/ ٥٧٧) للحافظ ابن حجر وفيه أيضاً أن عائشة قالت: لو علم الناس ما لفضل الصلاة عند هذه السارية لاستهموا عليها، وقالت لو عرفها الناس لاضطربوا عليها بالسهام، وأسرت ذلك لابن الزبير فكان يكثر الصلاة عندها.

وروى الزبير بن حبيب فيما نقله ابن النجار، فضائل المدينة (٢/ ٣٣٠) أن النبي ﷺ صلى إليها المكتوبة بضع عشرة ثم تقدم إلى مصلاه اليوم وكان يجعلها خلف ظهره وأن أبا بكر وعمر والزبير وابنه عبد الله وعامر بن عبد الله (بن الزبير) كانوا يصلون إليها، وأن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها وكان يقال لها مجلس المهاجرين.

وقال ابن جماعة في هداية السالك (ج ١/ ١١٨): «وكان أكثر نوافل عبد الله بن الزبير إليها، ويقال إن الدعاء عندها مستجاب» اهـ.



نوافله وينصرف إليها بعد صلاة الصبح، ويعتكف وراءها مما يلي القبلة مستنداً إليها، وهي الرابعة من المنبر، والثانية من القبر، والخامسة من رحبة المسجد بين أسطوانة عائشة اللاصقة بالشباك، وكانت اللاصقة موضع السير النبوي، كان تارة عندها وتارة عند أسطوانة التوبة.

الثالثة: أسطوانة علي الرضا، وهي خلف أسطوانة التوبة التي يصلي عندها أمراء المدينة غالباً.

الرابعة: أسطوانة الوفود، سميت بذلك لجلوسه ﷺ إليها للوفود، وكان يجلس إليها أفضل الصحابة.

الخامسة: أسطوانة التهجد.

السادسة: اللاصقة بالشباك المتقدم.

السابعة: التي إليها المحراب النبوي.

الثامنة: هي التي علم المصلي الشريف، وجذعه الذي كان النبي ﷺ إذا خطب، اتكأ عليه أمامها في محل كرسي الشمعة^(١).

ثانياً: الآبار النبوية:

الأدب الثامن والثمانون: يأتي الآبار النبوية، ويتبرك بها إن تيسر وإلا فبعضها، وهي كثيرة جداً، المشهور منها سبع، نظمها الحافظ الفقيه المراغي فقال: [من الطويل]

إِذَا رُمْتَ آبَارَ النَّبِيِّ بِطِيَّةٍ فَعِدَّتْهَا سَبْعٌ مَقَالًا بِلَا وَهْنٍ
أَرِيْسٌ وَعَرْسٌ رُوْمَةٌ وَبُضَاعَةٌ كَذَا بَصَّةٌ وَيُرْحَاءٌ مَعَ الْعَهْنِ

(١) حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل (ص ٧٨).

وبيانها موضحة، بئر أريس وقع فيها خاتم النبي ﷺ^(١)، وتفل فيها على ما قيل، وبئر غرس بفتح الغين المعجمة، وقيل بضمها وسكون الراء، كان يشرب منها النبي ﷺ، وغسل منها بعد موته بوصيته ﷺ، وبصق فيها، وبئر بضاعة بضم الموحدة وحكي كسرهما، مع إعجام الضاد فيها، وحكي إهمالها، بصق فيها عليه أفضل الصلاة والسلام، وشرب منها، والمريض في زمنه ﷺ يغسل ثلاثة أيام فيشفى، وبئر البصة - بتخفيف الصاد ويجوز تشديدها - غسل ﷺ رأسه منها بهاء مع سدر ثم صب الغسالة^(٢).

وقال العلماء: يستحب لزائر المدينة أن يأتي بئر أريس التي روي أن النبي ﷺ تفل فيها، وهي عند مسجد قباء، فيشرب من مائها ويتوضأ منه، كما يستحب أن يأتي الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل، فيشرب ويتوضأ، وهي سبع آبار. ذكر استحباب ذلك ابن حجر في حاشية الإيضاح على مناسك النووي.

قال الحافظ السخاوي^(٣): «ومن الآبار بئر لم يزل أهل المدينة قديماً وحديثاً يتبركون بها ويشربون من مائها، وينقل إلى الآفاق منها، كما ينقل ماء زمزم بحيث تسمى بذلك أيضاً لبركتها».

ثالثاً: المشاهد النبوية الشريفة وتبرك الصحابة بها:

الأدب التاسع والثمانون: أن يجتهد في إكرام مشاهده الشريفة، وملاص يده المنيفة، ومشاهدة آثاره، فتعظيم ذلك وإكرامه من تعظيم رسول الله ﷺ، فمن ذلك: التشفي بغبار المدينة، فينبغي أن يتشفى به بصدق نية وحسن طوية، فيشفى ببركة رسول الله ﷺ،....، ومن ذلك التبرك بأكل سبع تمرات مما بين

(١) أخرجه البخاري (١٥٦/٧) ومسلم (١٥٠/٦) في كتاب اللباس.

(٢) حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل (ص ٨٤).

(٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/٣٨).

لا بتيها لم يضر بشيء حتى يمسي»^(١).

في كتاب الشفا^(٢) للقاضي عياض: «أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده على مقعد رسول الله ﷺ من المنبر، ثم يضعهما على وجهه»، وهذا تبرك بما مس ثيابه ﷺ. وقال الشهاب في شرحه عليه: رواه ابن سعد، وهو يدل على جواز التبرك بالأنبياء والصالحين وءاثارهم وما يتعلق بهم، ولا عبرة بمن أنكر ذلك من جهلة عصرنا!»

قال الحافظ السخاوي^(٣): «وأما المشاهد التي بالبقيع وغيره ومن بها، ظناً أو علماً، بعد تقرير أن أكثر الصحابة ممن مات في حياته ﷺ وبعده به، وكذا سادات أهل بيته، ثم عد بعض هذه المشاهد، ثم قال: وبالجملة فكل طريق المدينة وفجاجها ودورها وما حولها قد شملته البركة النبوية، فإنهم كانوا يتبركون بدخوله ﷺ منازلهم ويدعونه إليها، وإلى الصلاة في بيوتهم، وشهود جنازتهم، ولهذا امتنع مالك من ركوب دابة فيها قائلاً: «لا أطأ بحافر دابة في أرض كان ﷺ يمشي فيها بقدميه الشريفتين».

وفي كتاب مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن للحافظ ابن الجوزي^(٤): «ويستحب زيارة البقيع وقد ذكرناه، فمن دخله فليزر إبراهيم ولد النبي ﷺ، وعثمان، والعباس، والحسن بن علي، ومن هنالك من الصحابة، وليزر جبل أحد ومن عنده من الشهداء، وليبدأ بقبر السيد حمزة رضي الله عنه.

وقد روى أبو مصعب، عن العطف بن خالد قال: حدثتني خالة لي، وكانت من العوابد، قالت: جئت قبر حمزة فصليت ما شاء الله ولا والله ما في الوادي داع ولا مجيب، وغلامي ءأخذ برأس دابتي، فلما فرغت من صلاتي قمت، فقلت:

(١) حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل (ص ٨٥).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٥٧/٢).

(٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (ج ١/ ص ٤٢).

(٤) مثير الغرام (ص ٢٧٩).

السلام عليكم، وأشرت بيدي! فسمعت رد السلام عليّ من تحت الأرض، أعرفه كما أعرف أن الله سبحانه خلقني، فاقشعرت كل شعرة مني، فدعوت الغلام وركبت».

وذكر مثل ذلك محب الدين الطبري في كتابه القرى لقاصد أم القرى^(١)، ثم عدّ على حسب أحرف الهجاء أسماء كثير من الصحابة، وعيّن بعضها، ومن أراد معرفة ذلك فليرجع إليه.

المبحث الثاني: في بيان آثار مكة المكرمة المباركة، زادها الله شرفاً وتعظيماً

أولاً: من آثار مكة المكرمة زادها الله شرفاً:

في كتاب مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن^(٢): وهي ثمانية عشر موضعاً:

المكان الأول: البيت الذي ولد فيه رسول الله ﷺ، وكان عقيل بن أبي طالب قد أخذه حين هاجر رسول الله ﷺ، فلم يزل بيده وولده حتى باعوه من محمد بن يوسف أخي الحجاج، فأدخله في داره التي يقال لها: البيضاء، وتعرف اليوم بدار ابن يوسف، فلم يزل ذلك البيت في الدار حتى حجت الخيزران جارية المهدي، فجعلته مسجداً يصلّي فيه، وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له: زقاق المولد.

المكان الثاني: منزل خديجة رضي الله عنها، وهو البيت الذي كان يسكنه رسول الله ﷺ، وفيه توفيت خديجة، ولم يزل النبي ﷺ مقيماً به حتى هاجر، فأخذه عقيل، ثم اشتراه منه معاوية،... فجعله مسجداً يصلّي فيه وبناه، وفتح فيه معاوية باباً من دار أبي سفيان، وهي الدار التي قال فيها رسول الله ﷺ

(١) القرى لقاصد أم القرى (ص/ ٦٨٥).

(٢) مثير الغرام (ص/ ١٩٠).

يوم الفتح: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» (صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب فتح مكة).

المكان الثالث: مسجد في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهي التي يقال لها: دار الخيزران، كان النبي ﷺ يقعد فيها في بداية البعثة.

المكان الرابع: مسجد بأعلى مكة عند الروم عند بئر جبير بن مطعم، يقال: إن النبي ﷺ صلى فيه.

المكان الخامس: مسجد بأعلى مكة يقال له: مسجد الجن، وهو فيما يقال موضع الخط الذي خطه لابن مسعود ليلة الجن، ويقال له: مسجد البيعة، فيقال: إن الجن بايعوا رسول الله ﷺ هنالك.

المكان السادس: مسجد بأعلى مكة أيضاً يقال له: مسجد الشجرة، يقابل مسجد الجن، يقال إن النبي دعا شجرة كانت في موضع المسجد فأقبلت تخط الأرض حتى وقفت بين يديه، ثم أمرها فرجعت.

المكان السابع: مسجد يُسميه أهل مكة مسجد عبد الصمد بن علي، لأنه بناه.

المكان الثامن: مسجد عن يمين الموقف، يقال له: مسجد إبراهيم، وهو غير مسجد عرفة الذي يصلي فيه الإمام.

المكان التاسع: مسجد بمنى يقال له: مسجد الكبش، لأن الكبش الذي فدى به إبراهيم ولده نزل هنالك.

المكان العاشر: مسجد بأجياد، وفيه موضع يقال له المتكأ، يقال إن النبي ﷺ اتكأ هناك.

المكان الحادي عشر: مسجد على جبل أبي قبيس يقال له: مسجد إبراهيم، وبعضهم يقول: هو مسجد لرجل يقال له إبراهيم وليس الخليل.

المكان الثاني عشر: مسجد بأعلى مكة عند سوق الغنم، يقال إن النبي ﷺ بايع الناس عنده يوم الفتح.

المكان الثالث عشر: مسجد العقبة حيث بايع الأنصار.

المكان الرابع عشر: مسجد بزدي طوى، وكان النبي ﷺ ينزل هنالك حين يعتمر وحين يحج تحت سمررة في موضع المسجد، وبتته زبيدة بازج.

المكان الخامس عشر: مسجد الجعرانة حيث أحرم النبي ﷺ بعمرة.

المكان السادس عشر: مسجد التنعيم، قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن أبي بكر: «عمر أختك من التنعيم، فإذا أهبطت بها الأكمة فمرها فلتحرم» رواه أبو داود في سننه كتاب المناسك.

المكان السابع عشر: مسجد في جبل حراء، فإن النبي ﷺ كان يتعبد فيه.

المكان الثامن عشر: مسجد في جبل ثور، وهو الذي دخل فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه. اهـ

ثانياً: ذكر بعض الأماكن والمساجد المخصصة الأخرى

ومن كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للحافظ تقي الدين الفاسي المكي المالكي أحد قضاة مكة (٨٣٢هـ)، من المجلد الأول ننقل لك هذه المقتطفات عن تلك الآثار المباركة، ففي (ص ٣٤٥) تحت عنوان في ذكر الأماكن المباركة التي ينبغي زيارتها الكائنة بمكة المشرفة وحرمها، ثم يُعدد فيه مساجد يطيل في وصفها ويذكر عن بعضها أن النبي ﷺ صلى فيها صلاة ما.

وفيه^(١) يذكر ما جاء في استحباب زيارة مسجد الخيف كل سبت، ثم يذكر

(١) (ص ٣٥٠).

حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لو كنت امرأ من أهل مكة، ما أتى عليّ سبت حتى آتي مسجد الخيف فأصلي فيه ركعتين».

وكان قبله ذكر حديثاً هو «في الخيف قبر سبعين نبياً» قال وإسناد رجاله ثقات.

ومن نفس الصحيفة ذكر تعيين مصلى النبي ﷺ من مسجد الخيف، حيث ساق بالإسناد إلى خالد بن مطرس، أنه رأى أشياخاً من الأنصار يتحرون مصلى النبي ﷺ أمام المنارة قريباً منها.

وبه - أي بنفس الإسناد - إلى الأزرقى قال جدي: الأحجار التي بين يدي المنارة هي موضع مصلى النبي ﷺ، لم يزل الناس وأهل العلم يصلون هناك.

وفيه^(١) قال: «ذكر المواضع المباركة بمكة المشرفة المعروفة بالمواليد».

وقال: «هذه المواضع هي مساجد، وإنما هي معروفة عند الناس بالمواليد؛ ولذلك أفردناها عن المساجد بالذكر، فمنها: الموضع الذي يقال له مولد النبي ﷺ بالموضع الذي يقال له سوق الليل، وهو مشهور عند أهل مكة».

وفيه^(٢) قال: ذكر شيء مما ورد في بركة الموضع الذي ولد فيه النبي ﷺ: روى الأزرقى بسنده عن بعض من كان يسكن هذا الموضع، قبل أن تخرجه الخيزران من الدار أنهم قالوا: «لا والله، ما أصابنا فيه جائحة ولا حاجة فأخرجنا منه فاشتد الزمان علينا».

وفيه^(٣): «ومنها الموضع الذي يقال له مولد فاطمة بنت النبي ﷺ رضي الله عنها، وهذا المكان من دار أمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في الزقاق المعروف بزقاق الحجر بمكة المشرفة، ويقال للدار كلها مولد فاطمة رضي الله عنها - ثم يقول بعد

(١) (ص ٣٥٦).

(٢) (ص ٣٥٧).

(٣) (ص ٣٥٨).

كلام - ولا ريب في كون فاطمة رضي الله عنها ولدت في هذه الدار.

ثالثاً: ذكر الدور المباركة بمكة المكرمة.

وفي (ص ٣٦٠) قال: ذكر الدور المباركة بمكة المشرفة: بمكة دور مباركة معروفة عند الناس وغالبها مساجد، ولكنها مشهورة عند الناس بالدور، ولذلك أفردناها بالذكر عن المساجد، ثم ذكر تلك المواضع، ثم قال: وحكى بعض الناس أنه رأى النبي ﷺ في المنام يكثر التردد إلى هذه المواضع.

وقال: وذكر المحب الطبري أن دار خديجة أفضل الأماكن بمكة بعد المسجد الحرام، ولا شك في ذلك والله أعلم.

ومنها - على ما يقال - دار لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بهذا الزقاق، وهي مشهورة فيه، وعلى بابها حجرٌ مكتوب فيه: «هذه الدار دار صاحب رسول الله ﷺ في الغار ورفيقه في الأسفار»، إلى أن قال: «ويقابلها - (أي) يقابل دار أبي بكر رضي الله عنه) - جدار فيه حجر مبارك يتبرك الناس بلمسه، يقال إنه كان يسلم على النبي ﷺ متى اجتاز عليه،...، ثم قال: وذكر خطيب سبته الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن رُشيد - بضم الراء المهملة - الفهري في رحلته شيئاً من خبر هذه الدار وهذا الحجر، لأنه ذكر أنه ممن لقي بمكة المشرفة فقيهي الحرم الرضا محمد بن أبي بكر بن خليل وأخاه العلم أحمد، ثم قال: فلما زرناهما، جزنا بالطريق - طريق دارهما - بحجر يتبرك الناس بالتمسح به، فسألت علم الدين عنه فقال: أخبرني عمي سليمان قال: أخبرني كل من لقيت بمكة: أن هذا الحجر هو الذي كلم النبي ﷺ، وهذا الحجر الذي مررنا به هو الذي بجهة باب النبي ﷺ أمام دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه بارزاً هنالك عن الحائط قليلاً».

ثم قال: وهذا الحجر إن صح كلامه للنبي ﷺ، فلعله الحجر الذي عناه النبي ﷺ في قوله: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي ليالي بُعثت».



ثم قال^(١) ومنها دار الأرقم المخزومي، وهي الدار المعروفة بدار الخيزران عند الصفا، والمقصود بالزيارة منها هو المسجد الذي فيها، وهو مشهور.

إلى أن قال: ولعل هذا الموضع أفضل الأماكن بمكة بعد دار خديجة بنت خويلد رضي الله عنها؛ لكثرة مكث النبي ﷺ فيه يدعو الناس للإسلام مستخفياً.

رابعاً: ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمتها.

قال^(٢): «ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمتها، ثم قال: بمكة وحرمتها جبال مباركة منها: الجبل المعروف بجبل أبي قبيس، إلى أن قال: ومن فضائل جبل أبي قبيس أنه كان يدعى الأمين؛ لأن الحجر الأسود استودع فيه زمن الطوفان، فلما بنى إبراهيم الخليل عليه السلام البيت نادى أبو قبيس: «الركن مني بمكان كذا وكذا»، وجاء جبريل عليه السلام فوضعه موضعه من الكعبة. ومن فضائله أن الدعاء فيه يستجاب.

ومنها^(٣) جبل حراء بأعلى مكة لكثرة مجاورة النبي ﷺ فيه، وما خصه ﷺ به فيه من الكرامة بالرسالة إليه، ونزول الوحي فيه عليه، وكان نزول الوحي على النبي ﷺ في حراء في غار فيه. ثم قال: وهذا الغار بأعلى حراء في مؤخره، وهو غار مشهور عند الناس، نقله الخلف عن السلف، ويقصدونه بالزيارة.

ومنها^(٤): جبل ثور بأسفل مكة لاختفاء النبي ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه فيه حين هاجرا إلى المدينة، وذلك في غار مشهور فيه، وهو الغار الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، حيث قال سبحانه ﴿ثَانِيكَ أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ (سورة التوبة)، إلى أن قال: وهذا الغار مشهور في هذا الجبل، يآثره

(١) (ص ٣٦٣).

(٢) (ص ٣٦٤).

(٣) (ص ٣٦٩).

(٤) (ص ٣٧٠).

الخلف عن السلف، ويقصدونه بالزيارة.

وفي ص ٣٧٢ قال: ومن الجبال المباركة بحرم مكة جبل ثبير.

إلى أن قال: هو جبل مبارك يقصده الزوار، وهو الذي أهبط الله تعالى عليه الكبش الذي جعله فداء لإسماعيل عليه السلام، ولم يختلفوا في أن هذا الجبل بمنى، وهو على يسار الذهاب إلى عرفة.. والله أعلم.

قال: وقال شيخنا قاضي القضاة مجد الدين الشيرازي في كتابه الوصل والمنى في فضل منى «إن أبا بكر النقاش قال في منسكه: إن الدعاء يستجاب في ثبير.

إلى أن قال: ومنها الجبل الذي يلحق مسجد الخيف لأن فيه غارًا يقال له غار المرسلات؛ لأن فيه أثر رأس النبي ﷺ على ما يقال، ذكر ذلك ابن جبير لأنه قال بعد ذكر مسجد الخيف: وبقربه منه على يمين المار في الطريق حجر كبير مسند إلى سفح الجبل مرتفع على الأرض يُظَلُّ ما تحته، ذكر أن النبي ﷺ قعد تحته مستظلاً، ومس رأسه المكرم فيه، فلأن الحجر حتى أثر فيه تأثيراً بقدر دورة الرأس، فتبادر الناس بوضع رؤوسهم في هذا الموضع تبركاً واستجارة لها بموضع مس الرأس الكريم ألا يمسه النار برحمته عز وجل».

(قال) وذكره ابن خليل لأنه قال: ويستحب أن يزور مسجد المرسلات، وفيه نزلت سورة المرسلات، وهو يمين مسجد الخيف.

وقال^(١): ذكر مقابر مكة المباركة: بمكة المشرفة مقابر مباركة، منها المقبرة المعروفة بالمصلاة، ويقال المصلي بلام وياء، وهي مشهورة.

إلى أن قال: وبالإسناد المتقدم قال: قال جدي: لا نعلم بمكة شعباً يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلا شعب المقبرة فإنه يستقبل وجه الكعبة، (ثم يسوق بسنده) إلى النبي ﷺ قال: «نعم المقبرة هذه مقبرة أهل مكة»^(٢).

(١) (ص ٣٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/٣٦٧)، الطبراني في الكبير (١١/١٣٧)، عبد الرزاق (٣/٥٧٩)، البخاري في



ثم عدّد بعض المقابر إلى أن قال: ومن القبور التي ينبغي زيارتها قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها، وهو معروف بطريق وادي مرّ، ولا أعلم بمكة ولا فيما قرّب منها قبور أحد من صحب رسول الله ﷺ سوى هذا القبر، لأن الخلف يأثر ذلك عن السلف، والموضع الذي فيه قبر ميمونة رضي الله عنها يقال له سرف.

قال^(١): ذكر تعيين موقف النبي ﷺ من عرفة. قد قام على تحريره جماعة من العلماء، ولم أر لأحد منهم في ذلك مثل ما رأيت للقاضي بدر الدين بن جماعة؛ ولذلك اقتصرت هنا على ذكره في ذلك.

أخبرني خالي قاضي الحرمين محب الدين النويري رضي الله عنه قال: أخبرني القاضي عز الدين بن جماعة، قال في منسكه: وينبغي تحري موقف سيدنا رسول الله ﷺ، وقد اجتهد والدي - تغمده الله برحمته - في تعيينه، وجمع فيه بين الروايات، فقال: إنه الفجوة المستعلية المشرفة على الموقف، وهي من وراء الموقف صاعدة في الرابية وهي التي عن يمينها، وورائها صخرتان متصلتان بصخرة الجبل المسمى بجبل الرحمة، ثم استفاض في وصف المكان إلى أن قال: ذكر والدي رحمه الله أنه وافقه على ذلك من يعتمد عليه من محدثي مكة وعلمائها، حتى حصل الظن بيقينه.

قال: فإن ظفر بموقف النبي ﷺ فهو الغاية في الفضل، وإن خفي عليه، وقف بين الجبل والبناء المربع على جميع الصخرات والأماكن التي بينها، لعله يصادف الموقف الشريف النبوي فتفاض عليه بركاته. انتهى.

ومن أراد أن يستزيد من أخبار مكة وأماكنها المباركة، فليرجع إلى الكتاب المذكور، شفاء الغرام، وغيره من كتب أهل العلم.

التاريخ (١/٢٨٤)، الفاكهي في أخبار مكة (٤/٥٠).

(١) (ص ٣٩٧).

ومن كتاب القرى لقاصد أم القرى للحافظ أبي العباس محب الدين الطبري
(المتوفى ٦٩٤هـ) نَقُلُ ما نصه^(١):

**خامساً: ذكر ما جاء في فضل وادي العقيق المبارك
وهو ذنو الحليفة:**

عن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بوادي العقيق: «**أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة**». أخرجه البخاري.

وعنه عن النبي ﷺ أنه رأى في مُعَرَّسٍ بذي الحليفة ببطن الوادي، قيل له: إنك ببطحاء مباركة. أخرجاه. قال موسى بن عقبة: وقد أناخ بها سالم، يتوخي المناخ الذي كان عبد الله يُنيخ به، يتحرّى مُعَرَّس رسول الله ﷺ، وهو أسفل من المسجد الذي ببطن الوادي، بينه وبين الطريق وسط من ذلك. أخرجاه.

وعنه أن النبي ﷺ أناخ بالبطحاء التي بذي الحليفة. وكان ابن عمر يفعل ذلك. أخرجه أبو داود. قال مالك: ولا ينبغي لأحد أن يجاوز المُعَرَّس، إذا قفل راجعاً إلى المدينة، حتى يصلي فيها ما بدا له، لأنه بلغني أن رسول الله ﷺ عرّس به. قال إسحاق بن المديني: وهو على ستة أميال من المدينة. اهـ

فإن قيل: أين ذهبت الآثار النبوية والمخلفات الإسلامية؟ نقول ذهب أكثرها، وضاع غالبها فيما مضى من القرون السابقة بسبب الحروب والفتن، فمن أعظم مصائب الحروب ضياع الآثار والمخلفات كما هو معروف لدى الجميع، ولا يخفى أن تغلب نفاة التوسل في بلاد الحجاز هو أكبر الأسباب في ذلك؛ فإنهم يهدمون تلك الآثار تحت اسم تجديدها، فلا حول ولا قوة إلا بالله! ثم مع ذلك يقولون كذباً وزوراً: «السلف ما اعتنوا بتميز قبور الصحابة ومن بعدهم»!

ومهما نصحتهم في الحفاظ على الآثار لا يلتفتون ولا يهتمون إلا بتغيير المعالم.

(١) القرى لقاصد أم القرى (ص ٦٩١).

المبحث الثالث: في بيان آداب زيارة النبي ﷺ:

جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». وفي رواية أحمد وأبي يعلى: «إن ما بين منبري إلى حجرتي روضة من رياض الجنة».

وأخرج أبو علي بن السكن في كتابه المسمى بالسنن الصحاح أن رسول الله ﷺ قال: «من جاني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون شفيعاً له يوم القيامة» وهو صحيح الإسناد. وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير والدارقطني. قال ابن السكن: شفاعة إنقاذ من النار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليّ نائياً بلغته» رواه أبو بكر بن أبي شيبة والبيهقي، ويشهد له حديث أبي هريرة عند أبي داود «وصلوا عليّ فإن صلواتكم تبلغني حيث كنتم».

وعن كعب الأخبار أنه قال: «ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألفاً حتى يحفوا بالقبر، يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ، سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً بالنهار، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يؤقرونه» أخرجه الحافظ ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، ونقله ابن جماعة في هداية السالك عنه وابن القيم.

قال الشيخ الفاكهي في حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل (١) ما نصه: «الأدب السادس والأربعون: الاجتهاد وإفراغ الوسع في الصلاة النبوية،

(١) (ص ٥٢).

مع كمال الاستحضار للعظمة المحمدية إذا صار من المدينة على ميل بل أميال» إلى أن قال: «والاعتماد في مثل هذا المقام على حفظ القلب وكذا الجوارح عن الإثم، مع استعمال اللسان والفكر في ملاحظة عظمة النبي، وليس العمدة على مجرد لقلقة اللسان وإزعاج الأعضاء ورفع الأصوات الذي هو حظ العوام».

قال محب الدين الطبري (ت ٦٩٤ هـ) في كتابه القري لقاصد أم القرى^(١): فمن آداب زيارته ﷺ: أن يكثر من تَوَجُّهه إلى زيارته ﷺ من الصلاة والتسليم عليه ﷺ، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرمتها وما يعرف بها، زاد من الصلاة والتسليم عليه ﷺ، ويسأل الله أن ينفعه بزيارته وأن يقبلها منه، ومنها: أن يغتسل الزائر قبل الدخول، وأن يلبس أحسن الثياب، ومنها: أن يستحضر في قلبه حينئذ شرف المدينة، وأنها أفضل أرض الله تعالى بعد مكة عند بعض العلماء، وعند بعضهم أفضل على الإطلاق، وأن الذي قصده ﷺ خير الخلائق على الإطلاق.

ومنها أن يكون دخوله إلى المسجد من باب جبريل عليه السلام، ويبدأ بتحية المسجد عند أول دخوله، ثم يأتي القبر ويقف أمامه، فيسلم على النبي ﷺ ثم على ضجيعيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم يأتي من جهة رأسه فيقف للدعاء خاشعاً متواضعاً، مجتهداً في الإخلاص، حَسَنُ الظن بالله تعالى، جميل المعتقد في الإجابة^(٢). اهـ.

وذكر مثل ذلك عدد من العلماء منهم القاضي الحسين بن محمد بن سعيد المغربي (ت ١١١٩ هـ) في شرحه على بلوغ المرام المسمى البدر التمام، وزاد في هذه الآداب:

«الخامس: التطيب بعد إزالة الروائح الكريهة، وحلق الإبط والعانة، وقص الأظافر، وغير ذلك مما يحسن به حال الزائر،...»

(١) (ص ٦٧٨).

(٢) نقلاً عن القري لقاصد أم القرى لمحب الدين الطبري (ص ٦٧٨).

السادس: النزول عن راحلته عند مشاهدته المدينة أو حرمها، صرح به المالكية، والمستند لذلك ما روي أن وفد عبد القيس لما زاروا النبي ﷺ نزلوا عن رواحلهم ولم ينكر عليهم. وتعظيم حرمة وحرمة المقدس باق بعد وفاته كما في حال حياته، وإذا وصل حرم المدينة قال: «اللهم هذا حرم رسولك ﷺ الذي حرّمته على لسانه، ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثلي ما هو في البيت الحرام، فحرمني على النار، وأمّني من عذابك يوم تبعث عبادك، وارزقني من برّكته كافة ما رزقته أوليائك وأهل طاعتك، ووفّقني لحسن الأدب وفعل الخيرات وترك المنكرات».

وفي كتاب حسن التوسل أيضًا^(١): «الأدب الخامس والستون: أن يجتنب أمورًا عند زيارته، إلى أن قال: وأقبح منه تقبيل الأرض. قلت: وأقبح من التقبيل السجود، قال ابن جماعة: وليس عجبي ممن جهله - أي التقبيل - فارتكبه بل ممن أفتى بتحسينه»،... إلى أن قال: «لا مجرد خفض الرأس، ولا سيما لمن هو على قدم الوقوف في مقام الخضوع والانكسار، ورفع الأُكف بالذل والافتقار؛ إذ كما يطلب الخضوع بالقلب يطلب ذلك بالجوارح، وأن تمرغ الوجه والخذ واللحية بتراب الحضرة الشريفة وأعتابها في زمن الخلوة - أي عن اجتماع الناس - المأمون فيها توهم عامي محذرًا شرعيًا بسببه أمر محبوب حسن فيما يظهر، لكن إن كان له في ذلك قصد صالح، وحمله عليه فرط الشوق والحب الطافح» اهـ.

وهو ما فعله بلال بن رباح وأبو أيوب الأنصاري وغيرهما رضي الله عنهم.

ومن كتاب الجواهر الثمينة في محاسن المدينة لمحمد كبريت الحسيني المدني

ص ٣٧ ما نصه: [من الخفيف]

أيها المغرم المشوق هنيئا ما أنالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا طالما أسعداك يوم الفراق

(١) حسن التوسل (ص ٦١).

أبدلِ الوجد بالسرور ابتهاجا وجميع الأشجان والأشواق
وأمر العين أن تفيض سجلاً وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محب ما بقاء الدموع في الآماق

ومن كتاب مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن للحافظ ابن الجوزي
(ص ٢٧٦) ما نصه :

وأشدد بعض زوار قبر رسول الله ﷺ: [من الوافر]

أتيتك زائراً ووددت أني جعلت سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أسير على الآماقي إلى قبر رسول الله فيه

ومن كتاب نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين، للسيد جعفر المدني
البرزنجي^(١) في كلامه عن كيفية الزيارة وما يفعله الزائر من السنن والآداب ما
نصه :

«ومنها) أن يزداد بالعزم شوقاً وصبابة وتوقاً، وكلما ازداد دنواً ازداد غراماً
وحنواً؛ إذ من لازم حبه ﷺ كثرة الشوق إليه وطلب القرب من معاهده وءثاره،
وأماكنه ومهابط أنواره. [من البسيط]

تلك الديار التي قلب المحب له شوق إليها وتذكراً وأشجاناً
وأنة وحنيناً كلما ذكرت ولوعة وشجى منه وأحزاناً»

وفي^(٢) نفس الكتاب ما نصه :

«ومنها) أن يقدم صدقة بين يدي نجواه، ويبدأ بالمسجد الشريف، ولا يعرج
على ما سواه مما لا ضرورة به إليه، فإذا شاهده فليستحضر أنه أتى مهبط جبريل

(١) (ص ١٠٦)

(٢) (ص ١٠٧).

عليه السلام، ومنزل ميكائيل، وموضع الوحي والتنزيل، فليزدد خضوعاً وخشوعاً يليق بالمقام، ويقف يسيراً عند باب المسجد كالمستأذن كما يفعله من يدخل على العطاء، ويقدم رجله اليمنى أو بدلهما، وأن يقول حينئذ: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه - أي ذاته - الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، اللهم صل على محمد وآل محمد وصحبه وسلم، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»، زاد بعضهم «رب وفقني وسددني وأصلحني وأعني على ما يرضيك عني، ومُنَّ علي بحسن الأدب في هذه الحضرة الشريفة، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، إلى أن قال: وينبغي أن يكون دخوله من باب جبريل؛ لأنه ﷺ كان يدخل منه، وإن جرت عادة القادمين بالدخول من باب السلام، فإذا دخل نوى الاعتكاف ولو قل زمانه، وقصد الروضة الشريفة من خلف الحجرة الشريفة مع ملازمة الهيبة والوقار، وملابسة الخشية والانكسار، والخضوع والافتقار، غاضاً طرفه، غير مشغول بالنظر إلى شيء من زينة المسجد وغيره، مستشعراً تعظيمه ﷺ، ممتلئ القلب من هيئته كأنه يراه ﷺ، مستحضراً حياته المكرمة في قبره، وأنه يعلم بزائريه، وأنه ﷺ يمد كلاً بما يناسب ما هو عليه، (ثم يبدأ) بتحية المسجد ركعتين خفيفتين، قيل يقرأ في الأولى الكافرون وفي الثانية الإخلاص، والأفضل أن يكون في الروضة بمصلاه ﷺ الذي كان يصلي فيه.

وفي الكتاب نفسه^(١): «(وينبغي) للزائر بل يتأكد عليه أكثر من بقية المساجد أن لا يرفع صوته بمسجد رسول الله ﷺ؛ فقد ثبت أن المنصور أمير المؤمنين ناظر مالكا فيه، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد النبوي، فإن الله تعالى أدب قوماً، فقال تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (سورة الحجرات) الآية ومدح قوماً، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُوبُونَ

(١) (ص ١١٣).

أَصَوَاتُهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿٣﴾ (سورة الحجرات) الآية وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ ﴿٤﴾ (سورة الحجرات) الآية، وإن حرمة ميتًا كحرمة حيًا، فاستكان لذلك المنصور.

فانظر يا أخي إلى هذا الأدب العظيم من الإمام مالك والمنصور رحمهما الله تعالى.

وفي البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرجلين من أهل الطائف: «لو كنتم من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ!!»

وفي الكتاب نفسه^(١): «(قال العلامة) السيد كبريت في كتابه الجواهر الثمينة: ومن الأشعار التي يجوز أن تنشأ تجاه الحضرة النبوية، وسمع إنشاد بعضها من بعض العلماء عند القبر الشريف، وحصل بإنشاد بعضها المدد الشامل الواسع من ذلك الجنب الرفيع (من ذلك): [من الطويل]

إِلَيْكَ وَإِلَّا لَا تَشُدُّ الرِّكَائِبُ وَعِنِكَ وَإِلَّا فَالْمُحَدَّثُ كَاذِبٌ
وَفِيكَ وَإِلَّا فَالرِّجَاءُ مَخِيَّبٌ وَمِنْكَ وَإِلَّا لَا تَنَالُ الرِّغَائِبُ
(ومن هذه الدرر في هذه الغرر): [من الطويل]

أَمَا وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكُ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى
لَقَدْ خَابَ مَنْ يَسْعَى إِلَى غَيْرِ بَابِكُمْ وَفَازَ الَّذِي يَوْمَا إِلَى بَابِكُمْ يَسْعَى

(ومما راق مبناه ورق معناه): [من البسيط]

إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا تَأْهِيلٌ لِقُرْبِكُمْ أَوْ كُنْتُ يَا سَيِّدِي قَدْ سَاءَ بِي أَدْبِي
هَبْنِي عَلَى البَابِ مَطْرُوحًا قُرْبَتَمَا تَمْرِي نَفْحَاتُ مِنْكَ تَدْخُلُ بِي

(ومن هذا النظام العالي والكلام العالي): [من البسيط]

(١) (صحيفة ١١٢ - ١١٣).

لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي وتقبلوني على عيبي ونقصاني
فإن منتم فيا عزي ويا شرفي وإن منعم فيا ذلي وخسراني

ومن ذلك: [الطويل]

ولاح فلاح في اطراحي ببابه وأيقنتُ أي منه بالقصد راجعُ
فلا كان هذا آخر العهد بيننا ولا قطعنا عن حماه القواطعُ

المبحث الرابع: في بيان عدد من الأدلة والنقول على استحباب زيارة قبر النبي ﷺ والتبرك به.

جاء في خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للسهمودي^(١)، في فضل الزيارة وتأكدها ما نصه:

«وليس الاعتماد في السفر للزيارة على مجرد منامه (منام بلال الذي فيه أن الرسول ﷺ قال له أما آن لك أن تزورني) بل على فعله لذلك، والصحابة متوافرون، ولم تخفَ عليهم القصة، والمنام مؤكِّدٌ لذلك، وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد من الشام يقول: «سلم على رسول الله ﷺ».

وقال الإمام أبو بكر بن عمر بن أبي عاصم النبيل - من المتقدمين - في مناسك له التزم فيها الثبوت: «وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقري النبي ﷺ السلام، ثم يرجع. وفي فتوح الشام: أن عمر رضي الله عنه قال لكعب الأحبار بعد فتح بيت المقدس «هل لك أن تسير معي إلى المدينة، وتزور قبر النبي ﷺ؟» فقال: «نعم يا أمير المؤمنين».

إلى أن قال: وفي (الشفاء) قال بعضهم: «رأيت أنس بن مالك أتى إلى قبر النبي ﷺ، فوقف، فرفع يديه، حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي

(١) (ج ١/ص ٤٤).

ﷺ، ثم انصرف».

٣ - وللبزار: خرج عمر إلى منبر رسول الله ﷺ، فإذا معاذ بن جبل قائم يبكي عند قبر رسول الله ﷺ، فقال: «ما يبكيك يا معاذ؟» الحديث، ثم قال: وفي (الشفاء): قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: «ومما لم يزل من شأن من حَجَّ المَرورُ بالمدينة، والقصدُ إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، والتبرُّكُ برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه، وملا مس يديه، ومواطئ قدميه، والعمود الذي يستند إليه، وينزل جبريل بالوحي فيه عليه، ومن عمدته وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله.

٤ - وقال عياض: «زيارة قبر رسول الله ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها، وأوضح السبكي أمر الإجماع على الزيارة قولاً وفعلاً، وسرد كلام الأئمة في ذلك، فليراجع، وبين أنها قرينة بالسنة، وقد سبق من السنة الخاصة بها ما فيه مقنع، وجاء في السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور، وقبره ﷺ سيد القبور، فهو داخل في ذلك، وبالقياس على ما ثبت من زيارته بأهل البقيع والشهداء فقبره أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم، ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافين به، وفيه التبرك بذلك، وتأدية الحق، وتذكر الآخرة كما في زيارة غيره، وبالإجماع لما سبق، إلى أن قال: وبالكتاب لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ (سورة النساء) الآية؛ لحثه على المجيء إليه، والاستغفار عنده، واستغفاره للجائين، وهذه رتبة لا تنقطع بموته، وقد استغفر لكل من المؤمنين والمؤمنات لأمر الله له به في كتابه، فإذا وجد المجيء واستغفار الجائي تكملت الأمور الموجبة لتوبة الله ورحمته، وقوله ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (٦٤) معطوف على جاءوك، فلا يقتضي كون استغفاره بعد استغفارهم، مع أنا لا نسلم أنه لا يستغفر لهم بعد الموت لما سبق من حياته واستغفاره لأتمته عند عرض أعمالهم، فهو متوقع كما في الحياة، ويعمل في كمال رحمته أنه لا يترك ذلك لمن جاءهم. وسيأتي في الفصل بعده عن مالك في مناظرته

المنصور ما يشهد لذلك، وكذا عن غيره، وقد فهم العلماء من الآية العموم، واستحبوا لمن أتى القبر أن يتلوها ويستغفر الله تعالى، وأوردوا حكاية العتبي الآتية في كتبهم مستحسنين لها، وذكرها ابن عساكر في تاريخه، وابن الجوزي في مثير الغرام، وابن النجار، بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي.

٥ - ثم قال: «وإذا ثبت أن الزيارة قرينة فالسفر إليها كذلك، وقد ثبت خروجه من المدينة لزيارة الشهداء، وقد أطبق السلف والخلف وأجمعوا عليه، وحديث: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»** معناه لا تشد الرحال إلى مسجد لفضيلته؛ لما في رواية لأحمد وابن أبي شيبة بسند حسن عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً **«لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يتغنى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»**، وللإجماع على شد الرحال لعرفة لقضاء النسك، وكذا الجهاد، والهجرة من دار الكفر، وللتجارة ومصالح الدنيا.

ثم قال: «على أن السفر بقصد زيارة مسجد المدينة لمجاورته القبر الشريف، وقصد الزائر الحلول فيه لتعظيم من حلّ بتلك البقعة كما لو كان حيًّا، وليس القصد تعظيم بقعة القبر لعينها بل من حل فيها». ثم قال بعد كلام: «وقال الحافظ المنذري في حديث: **«لا تجعلوا قبوري عيداً»**: يحتمل أن يكون حثًّا على كثرة الزيارة، وأن لا يهمل حتى لا يزار إلا في بعض الأوقات كالعيد، ويؤيده قوله: **«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً»** أي لا تتركوا الصلاة فيها». قال السبكي: «ويحتمل أن يكون المراد لا تتخذوا له وقتاً مخصوصاً لا تكون الزيارة إلا فيه، أو لا يتخذ كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة والاجتماع وغيره مما يعمل في الأعياد، بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه».

٦ - قال الإمام مالك^(١) رحمه الله تعالى للخليفة المنصور لما حج وزار قبر النبي عليه وآله الصلاة والسلام وسأل مالكا قائلاً: «يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو

(١) ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه بإسناد صحيح، والسيد السهمودي في (خلاصة الوفا)، = والعلامة القسطلاني في (المواهب اللدنية)، وابن حجر في (الجواهر المنظم) وكثير غيرهم.

أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو؟ فقال الإمام مالك: «ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى؟ بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء).

٧ - وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي في كتابه التذكرة^(١) في الفقه الحنبلي: «فصل: ويستحب له قدوم مدينة رسول الله صلوات الله عليه، فيأتي مسجده، فيقول عند دخوله بسم الله اللهم صل على محمد....» إلى أن قال: «واجعل القبر تلقاء وجهك، وقم مما يلي المنبر، وقل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته...» إلى أن قال: «اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤)، وإني قد أتيت نبيك تائبًا مستغفرًا، فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ﷺ نبي الرحمة، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي ذنوبي...» إلى أن قال: «وإن أحببت تمسح بالمنبر».

٨ - وقال ابن قدامة الحنبلي في المغني - وهو من كتب الحنابلة المشهورة - في صفة زيارته ﷺ ما نصه^(٢): «تأتي القبر، فتولي ظهرك للقبلة، وتستقبل وسطه وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه، إلى أن قال: اللهم اجز عنا نبينا أفضل ما جزيت به أحدًا من النبيين والمرسلين، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته يغبطه به الأولون والآخرون، إلى أن قال: اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤) وقد أتيتك مستغفرًا من ذنوبي مستشفعًا بك إلى ربي».

(١) المحفوظة بظاهرة دمشق تحت رقم (٨٧).

(٢) (ج ٣ / ٥٩٠)

وفي كتاب دفع شبهه من شبهه وتمرد، للشيخ تقي الدين الحصني في رده على ابن تيمية الحراني^(١) ما نصه: قال ابن تيمية: «ولا دعاء هناك» أي عند القبر.

إلى أن قال الشيخ تقي الدين الحصني: «والحاصل من كلامه - أي كلام ابن تيمية - أنه لا يُدعى عند القبر بالاتفاق - بزعمه - ولا يستقبل القبر عند الدعاء بالإجماع - وهذا كذب كما ستري -، وأن الحكاية التي وقعت بين مالك وأبي جعفر المنصور كذب - بزعم ابن تيمية -، سبحانه هذا بهتان عظيم، وهذا من الفجور الذي لا أعلم أحداً فاه به ولا رمز إليه من العلماء ولا من غيرهم، أما قضية مالك مع المنصور فقد ذكرتها في الكلام على التوسل، فهي صحيحة بلا نزاع^(٢)، وأما الدعاء عند القبر فقد ذكره خلق ومنهم الإمام مالك، وقد نص على أنه يقف عند القبر، ويقف كما يقف الحاج عند البيت للدعاء، ويدعو، وفيه المبالغة في طول الوقوف والدعاء، وقد ذكره ابن الموزان في الموازية، فأفاد ذلك أن إتيان قبر النبي ﷺ والوقوف عنده والدعاء عنده من الأمور المعلومة عند مالك، وأن عمل الناس على ذلك قبله وفي زمنه، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره فضلاً عن أن يفتي به أو يقر عليه، وقال مالك في رواية ابن وهب إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدعو ويسلم ولا يمس القبر بيده».

ثم قال (أي الحصني): «وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله السامري في كتاب المستوعب في باب زيارة قبر النبي ﷺ: وإذا قدم مدينة رسول الله ﷺ استحب

(١) صحيفة (١١٤ - ١١٥).

(٢) قال الزرقاني: والحكاية رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه «فضائل مالك» ومن طريقه الحافظ أبو الفضل عياض في الشفا بإسناد لا بأس به، بل قيل إنه صحيح فمن أين أنها كذب وليس في روايتها كذاب ولا وضاع؟ ولكنه لما ابتدئ له مذهباً، وهو عدم تعظيم القبور ما كانت وأنها إنما تزار للاعتبار والترحم، بشرط أن لا يشد إليها رحل، صار كل ما خالف ما ابتدئ به فاسد عقله عنده، كالمصائل لا يبالي بما يدفعه فإذا لم يجد له شبهة واهية يدفعها بها بزعمه، انتقل إلى دعوى أنه كذب على من نسب إليه مباحته ومجازفة، وقد أنصف من قال فيه: «علمه أكبر من عقله» وكتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر الشريف مستقبلاً له مستدبراً القبلة، ومن نص على ذلك منهم أبو الحسن القابسي وأبو بكر بن عبد الرحمن والعلامة خليل بن إسحاق في مناسكه» اهـ (من براءة الأشعرين ج ١/ ص ٢٢٨).

له أن يغتسل لدخوله، ثم يأتي مسجد رسول الله ﷺ ويقدم رجله اليمنى في الدخول، ثم يأتي حائط القبر فيقف ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره، ثم ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال، ومنه: اللهم إنك قلت في كتابك لنيك عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ (٦٤) ﴿وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ مُسْتَغْفِرًا، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُوَجِّبَ لِي الْمَغْفِرَةَ كَمَا أَوْجَبْتَهَا لِمَنْ أَتَاهُ فِي حَيَاتِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوجِّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ، وَذَكَرْتُ دَعَاءً طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ: وَإِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ عَادَ إِلَى الْقَبْرِ فَوَدَّعَ، وَهَذَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أُمَّةِ الْحَنَابِلَةِ».

٩ - ثم قال (١): «وكذلك ذكر أبو منصور الكرمانى من الحنفية أنه يدعو ويطيل الدعاء عند القبر المكرم، وقال الإمام أبو زكريا النووي في مناسكه وغيره: فصل في زيارة قبر النبي ﷺ، وذكر كلامًا مطولًا، ثم قال: فإذا صلى تحية المسجد أتى القبر فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر، وسلم مقتصدًا لا يرفع صوته». اهـ.

١٠ - وقال الشيخ الحصني (٢) ردًا على ما تقدم ذكره من مخالفة ابن تيمية للأئمة الأعلام: «وهذا شيء لم يُرَ أحد من علماء المسلمين ولا من عوامهم فاه به ولا رمز إليه لا من عصره ولا من قبله - قاتله الله -، ولقد أسفرت هذه القضية عن زندقته بتجرئه على الإفك على العلماء - أي قوله بأن أحاديث زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم، بل هي بزعمه موضوعة، وقوله بأنه لا يدعى عند القبر بالاتفاق، ولا يستقبل القبر عند الدعاء بالإجماع - وأسفرت أيضًا على أنه لا يعتقد حرمة الكذب والفجور ولا يبالي بما يقول وإن كان فيه عظام الأمور. وإذا عرفت هذا فينبغي أيها المؤمن الخالي من البدعة والهوى أن لا تقلده فيما ينقله ولا فيما يقوله، بل تفحص عن ذلك، واسأل غير أتباعه ممن له رتبة في العلوم وإلا هلكت كما هلك هو وأتباعه».

(١) صحيفة (١١٦).

(٢) صحيفة (١٠٧ - ١٠٨).



أيها المؤمن الخالي من البدعة والهوى المتبع للحق متى كان مجرد التوجه إلى غير القبلة في الدعاء جهلاً أو ابتداءً في الدين؟! وما هم خطباء الجمعة منذ عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا يتوجهون إلى عكس القبلة تماماً وهم يدعون الله في آخر الخطبة الثانية، فهل يترك خطباء الجمعة التوجه إلى عكس القبلة أم يلتزمون هدي المصطفى ﷺ؟! ولا شك أن خطباء الجمعة إنما يتوجهون في دعائهم وطلبهم إلى الله.

ثم أليس الله يقول في كتابه: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة)؟ والمراد - كما قال مجاهد تلميذ ابن عباس - قبلة الله، وذلك في نحو صلاة الخوف وصلاة التطوع على الدابة، أو صلاة الماشي وذلك بالشروط والتفاصيل المبينة في مواضعها في كتب الفقه، والصلاة مناجاة لله كما لا يخفى.

ذكر ملا علي القاري في كتاب المنسك أن الإمام عبد الله بن المبارك قال: «سمعت أبا حنيفة يقول: قدم أيوب السَّخْتِيَّاني وأنا في المدينة، قلت: لأنظرن ما يصنع، فجعل ظهره مما يلي القبلة ووجهه مما يلي وجه الرسول ﷺ، وبكى غير متباك فقام مقام فقيه».

وقد مرَّ بك تفصيل هذا المعنى في باب آداب زيارة النبي ﷺ.

فائدة: في تاريخ إضافة حجر أزواج النبي ﷺ بما فيها القبر الشريف على المسجد وعدم اعتراض من كان من الصحابة والتابعين على ذلك:

ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية^(١) نقلاً عن ابن جرير: «أنه في سنة ٨٨هـ وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة، قد بعث الوليد بن عبد الملك إلى واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي، وإضافة حجر أزواج رسول الله ﷺ إليه، وأن يوسعه من قبلته وسائر نواحيه حتى يكون مائتي

(١) كتاب البداية والنهاية (ج ٩/ ص ٧٤).

ذراع في مائتي ذراع».

وناهيك بعمر بن عبد العزيز فضلاً وعلماً، ووجود التابعين ذوي الفضل في ذلك الزمان، بل ثبت بما لا يقبل الشك أنه كان ذلك في حياة بعض الصحابة ومنهم:

(١) أنس بن مالك، والمشهور أنه توفي سنة ٩٣ هـ انظر البداية والنهاية^(١) بل ذكر ابن كثير^(٢) وفود أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته سنة ٩٢ هـ وهو يبيّن جامع دمشق، فصلّى فيه أنس، ورأى الوليد، وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها». اهـ فأنت ترى أن أنسًا اجتمع مع الوليد، وأنكر عليه تأخير الصلاة، ولم ينكر عليه توسعته مسجد رسول الله ﷺ، وإدخاله قبره ﷺ الشريف في المسجد.

(٢) محمود بن لبيد بن عقبة الأنصاري الأشهلي، قال البخاري: (له صحبة) توفي سنة ٩٩ هـ كما ذكره الذهبي^(٣).

(٣) سهل بن حنيف الأوسي المدني، ولد في حياته ﷺ ومراه وتوفي سنة ١٠٠ هـ^(٤).

وأنت تعلم تمام العلم أن عمر بن عبد العزيز تولى الخلافة لستين ونيّف، ولم يأمر بنقض ما بناه هو، فلو كان مرغماً لغيره في خلافته.

لكن نفاة التوسل متحجرون جامدون، ولو سمعوا أو قرأوا هذا الكلام فإنك - غالباً - لا تجد فيهم إلا الجمود على باطلهم، نعوذ بالله من سوء الحال!

(١) البداية والنهاية (ج ٩/١٩٢).

(٢) (في الجزء نفسه ص ١٥٥).

(٣) انظر البداية والنهاية (ج ٩/١٨٦).

(٤) انظر البداية والنهاية (ج ٩/١٩٠).

الفصل الرابع

في دفع شبهه منكري التبرك
بآثار النبي ﷺ

تمهيد:

إنَّ ما ذكرناه في الفصل الأول من الباب الأول عن معنى البركة والتبرك كان بمنزلة تمهيدٍ مهم للاستدلال على عظيم بركته ﷺ، واثار تلك البركة الظاهرة في تكثير القليل وشفاء المرضى وغير ذلك من المنافع، وهذا - ولا ريب - مقصدٌ عظيم، وسواء في ذلك حصول البركة بذاته وبآثاره ﷺ في حال حياته أو بعد وفاته، إذ اعتقاد المؤمن في كل الأحوال أن حصول النفع ودفع الضرر إنما يكون من الله سبحانه وليس في ذلك ذريعة للشرك، وإلا لما حصل أصلاً هذا المعنى من رسول الله ﷺ الذي علّم الإيمان والتوحيد في حياته، وهو أحرص الناس على أمته، وما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ليفتح باباً للشرك أو ثغرة أو ثلثة في هذا الدين، وإنما هو الجهل بدين الله، والناس في ذلك على طرفي نقيض: - الطرف الأول: أناس قد يعتقدون لشدة جهلهم أن الشعرة النبوية وغيرها من الآثار تنفع بذاتها وهو غلو عظيم، وقد قال ﷺ: «إياكم والغلو فإن الغلو أهلك من كان قبلكم» رواه ابن حبان، وقد صح أن الرسول ﷺ قال: «لا ترفعوني فوق منزلتي» ومع ذلك وجد في زماننا من تجرأ ورفع النبي ﷺ فوق منزلته، فاعتقد أنه ﷺ يعلم كل شيء وهو مناف لصريح حديث البخاري والذي فيه: «وإنه سيجاء بأناس من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول هؤلاء أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول سحقاً سحقاً أقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكَنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ١٣٧ إن



تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ (سورة المائدة).

وهو مخالف لصريح قول الله سبحانه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿٦٥﴾ (سورة النمل) وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾ (سورة البقرة) أي الله عالم بكل شيء، وهذا تمدح خاص بالله لا يساويه فيه غيره سبحانه، وليس المجال هنا لتفصيل الرد على هذه المسئلة، وإنما أوردناه لبيان أن بعض الناس غلوا في رسول الله ﷺ إلى هذا الحد العجيب، ومع ذلك فهل يسوغ لقائل أن يقول: لم جاءت كل تلك الأخبار التي فيها اطلاع النبي ﷺ على غيبات كثيرة، منها ما حصل في حياته، ومنها ما حصل بعد وفاته صلوات ربي وسلامه عليه؟ أم يقال: إنه يجب رد هذه البدعة وإثبات الحق كما ورد؟

وهكذا هنا، نثبت الحق كما ورد، ولا نغلو فنكفر من سعى للتبرك بآثاره ﷺ، وهو الطرف الثاني الذي قصدناه من طرفي الغلو في هذا الشأن.

والفيصل في المسئلة هو اعتقاد أن الله هو خالق المعجزات التي تحصل على أيدي الأنبياء، وكذلك الكرامات التي يظهرها على أيدي أوليائه، وهو سبحانه خالق النفع عند التبرك بآثار النبي ﷺ، وهذا اعتقاد المسلمين، فمن خرج عنه فقد باء بخسران عظيم وهلاك مبين، ولا يسوغ لنا أن نغير في الدين تحوفاً من أن بعض الناس يخشى منهم أن يغلو في الدين.

واسمع معي قول القاضي أبي حفص عمر ابن المفتي قاسم المحجوب التونسي المالكي في رسالته، التي رد فيها على من نسب المتوسلين والمتبركين بالأنبياء والصالحين إلى الشرك حيث قال ما نصه:

«وهل يتميز المشروع من هذه الصور بالمحذور إلا بالنيات التي لا يعلمها إلا العالم بما في الصدور؟ والله إنما كلفنا بالظاهر، ووكّل إليه أمر السرائر، ولم يقبض بالخواطر نقيباً، ولا جعل عليها مهيمناً من الولاية ولا رقيباً، وإذا التزم سد الذريعة بالمنع من المشروع خوفاً من الوقوع في الممنوع فالتزم هذا الالتزام

في سائر العبادات الواقعة في الإسلام، التي لا تفرقة فيها بين المسلم والكافر إلا بما انطوت عليه الضمائر، فإن المصلي في المسجد يحتمل أن يقصد عبادة الحجارة بمثل ما احتمل صاحب الذبائح والزيارة، والصائم يحتمل أن يقصد بصومه تصحيح المزاج أو المداواة والعلاج، والمزكي يحتمل أن يقصد مقصدًا دنيويًا أو معبودًا جاهليًا، والمحرم بحج أو عمرة يحتمل أن ينوي ما يوجب كفره.

وإذا وصلت إلى هذا الالتزام نقضت سائر دعائم الإسلام، والتبس أهل الكفر بأهل الإيمان، وأفضى الحال إلى هدم جميع الأركان، واستبيحت دماء جميع المسلمين، وهدمت صلواتهم ومساجدهم وصوامعهم أجمعين».

ثم هل لأحد أن يقول إن إظهار تلك المعجزات التي أظهرها الله على يد عيسى نبي الله ﷺ هو ذريعة إلى الشرك والكفر فترك رواية تلك الأخبار؟ أو يقال إن بعض الناس أضلهم الشيطان وأغواهم، فسلك بهم طريق الردى وأراهم أن شفاء المرضى على يده، لم يكن إلا لأنه إله أو ابن إله فهلكوا؟ أو يجب أن نلتزم الطريق الوسط في ديننا وهو ما أمرنا الله به في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (سورة البقرة)؟

قال النسفي في تفسيره^(١): «﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ (١٤٣) خيارًا، وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل، والأوساط محمية - أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم، أو عدولا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطًا بين الغلو والتقصير، فإنكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية، ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا، وعيسى بأنه ولد الزنا».

انظر مدح الله لأمة نبيه ﷺ، وانظر كيف قال نفاة التوسل إن تسعة أعشار المسلمين كفار!!

(١) تفسير النسفي (١/٧٩).

وعليه فإن ما مر ذكره مما حصل وبكثرة بين الصحابة من التبرك بأثاره ﷺ - كما رأيت - في حال حياته وبعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه، بل ووقوع الشفاء أحياناً كثيرة، هو من أظهر الأدلة على كرامة نبينا على الله، وصدقه فيما جاء به، وليس ذلك أبداً من الشيطان كما يموه منكرو التبرك، وإنما الأدب الرفيع هو قبول تلك الأخبار والروايات الصحيحة الإسناد عن صحب رسول الله ﷺ، وفهمها على وجهها الصحيح، وبيان هذا الفهم للناس، وهو أن الله إن شاء يجري النفع والشفاء عند ملامسة الشعرة النبوية الشريفة - مثلاً - على الأورام والأمراض وغير ذلك من المنافع، كما فهم حنظلة بن حذيم.

واسمع معي ما قاله حنظلة رضي الله عنه: «وفدت مع جدي حذيم إلى رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله، إن لي بنين ذوي لحى وغيرهم، وهذا أصغرهم، فأدنانى رسول الله ﷺ ومسح رأسى، وقال: «بارك الله فيك»». قال الذئبال: «فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه، أو الشاة الوارم ضرعها فيقول: «بسم الله على موضع كف رسول الله ﷺ» فيمسحه فيذهب الورم. رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وأحمد في حديث طويل، ورجال أحمد ثقات.

المبحث الأول: في إيضاح معاني عباراتٍ رويت عن بعض السلف يتمسك بها نفاة التبرك جهلاً بدلاً لآلتها:

أولاً: إيضاح معنى ما روي عن عمر رضي الله عنه:

«فإننا هلك أهل الكتاب لأنهم تبعوا آثار أنبيائهم».

ورد في فتح الباري^(١) في باب المساجد التي على طرف المدينة: «ومُحْصَلُ ذلك أن ابن عمر كان يتبرك بتلك الأماكن، وتشدده في الاتباع مشهور، ولا يعارض ذلك ما ثبت عن أبيه أنه رأى الناس في سفر يتبادرون إلى مكان، فسأل عن ذلك فقالوا: «قد صلى فيه النبي ﷺ». فقال: «من عرضت له الصلاة فليصل، وإلا فليمض؛

(١) فتح الباري (ج ٢/ ص ٢٣٥).

فإنما هلك أهل الكتاب لأنهم تتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً، لأن ذلك من عمر محمول على أنه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاة، أو خشي أن يشكل ذلك على من لا يعرف حقيقة الأمر فيظننه واجباً، وكلا الأمرين مأمون من ابن عمر، وقد تقدم حديث عتبان وسؤاله النبي ﷺ أن يصلي في بيته ليتخذة مصلى، وأجابه النبي ﷺ إلى ذلك فهو حجة في التبرك بأثار الصالحين» اهـ.

وقال ابن بطال في شرح البخاري^(١): «إنما كان يصلي ابن عمر في المواضع التي صلى فيها النبي ﷺ على وجه التبرك بتلك الأمكنة والرغبة في فضلها، ولم يزل الناس يتبركون بمواضع الصالحين وأهل الفضل، ألا ترى أن عتبان بن مالك سأل نبي الله ﷺ أن يصلي في بيته ليتخذ المكان مصلى، فصلى فيه النبي ﷺ. وقد جاء عن عمر بن الخطاب خلاف فعل ابنه عبد الله؛ روى شعبة عن سليمان التيمي عن المعرور بن سويد قال: كان عمر بن الخطاب في سفر، فصلى الغداة، ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه، ويقولون: صلى فيه النبي عليه السلام، فقال عمر: «إنما هلك أهل الكتاب أنهم تتبعوا آثار أنبيائهم، فاتخذوها كنائس وبيعاً، فمن عرضت له الصلاة فليصل، وإلا فليمض».

إنما خشي عمر أن يلتزم الناس الصلاة في تلك المواضع حتى لا يشكل ذلك على من يأتي بعدهم ويرى ذلك واجباً، وكذلك ينبغي للعالم إذا رأى الناس يلتزمون النوافل والرغائب التزاماً شديداً، أن يترخص فيها في بعض المرات ويتركها، ليُعلم بفعله ذلك، أنها غير واجبة كما فعل ابن عباس وغيره في ترك الأضحية» اهـ.

وقال العيني في عمدة القاري^(٢) بعد أن ذكر تتبع عبد الله ابن عمر للمواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ ما نصه: «وفي رواية الأعرج عن أبي هريرة مثله، وروى غير واحد أن رسول الله قال - وقد وصل المسجد الذي ببطن الروحاء عند عرق الظبية - : «هذا واد من أودية الجنة، وصل في هذا الوادي قبلي سبعون

(١) شرح البخاري (٢/١٧١).

(٢) عمدة القاري (٤/٢٦٨ - ٢٧٦).

نبياً عليهم السلام، وقد مر به موسى بن عمران حاجاً ومعتماً في سبعين ألفاً من بني إسرائيل». فإن قلت: قد جاء عن عمر بن الخطاب خلاف فعل ابنه، فقد روى المعروف بن سويد قال: كان عمر بن الخطاب في سفر فصلى الغداة، ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه، ويقولون: صلى فيه النبي، فقال عمر: إنها هلك أهل الكتاب أنهم تبعوا آثار أنبيائهم، واتخذوها كنائس وبيعاً، فمن عرضت له الصلاة فيلصل وإلا فليمض، قلت: إن عمر إنما خشي أن يلتزم الناس الصلاة في تلك المواضع حتى لا يشكل على من يأتي بعدهم فيرى ذلك واجباً، وعبد الله بن عمر كان مأموناً من ذلك، وكان يتبرك بتلك الأماكن، وتشدده في الاتباع مشهور وغيره ليس في هذا المقام» اهـ.

وقال في موضع آخر: «والكلام فيه على وجوه، الأول في ذكر المساجد التي بالمدينة، وفي المواضع التي صلى فيها النبي ﷺ، ثم راح يسوق الروايات، ويذكر أسماء ومواضع تلك المساجد، إلى أن قال: وعن أسيد بن أبي أسيد عن أشياخه، أن النبي دعا على الجبل الذي عليه مسجد الفتح، وصلى في المسجد الصغير الذي بأصل الجبل حين تصعد الجبل. وعن عمارة بن أبي اليسر: صلى النبي في المسجد الأسفل، وعن جابر: دعا النبي عليه الصلاة والسلام في المسجد المرتفع ورفع يديه مداً، وعن عمرو بن شرحبيل أن النبي صلى في مسجد بني خدارة. وهكذا ساق أخباره ﷺ من صلواته في بعض المساجد ونحو ذلك إلى أن قال: قال أبو غسان: قال لي غير واحد من أهل العلم: إن كل مسجد من مساجد المدينة ونواحيها، مبني بالحجارة المنقوشة المطابقة فقد صلى فيه النبي، وذكر أن عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد النبي سأل - والناس يومئذ متوافرون - عن المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ في دار الشفاء عن يمين من دخل الدار، وصلى في دار بسرة بنت صفوان، وفي دار عمرو بن أمية الضمري. قلت: قد اندرس أكثر هذه المساجد، وبقي من المشهور الآن: مسجد قبا، ومسجد بني قريظة، ومشربة أم إبراهيم وهي شمالي مسجد بني قريظة، ومسجد بني ظفر شرقي البقيع ويعرف بمسجد البغلة، ومسجد بني معاوية ويعرف بمسجد الإجابة،



ومسجد الفتح قريب من مسجد سلع، ومسجد القبليتين في بني سلمة.

ثم قال: الوجه الثاني في بيان وجه تتبع عبد الله بن عمر المواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ، وهو أنه يستحب التبع لآثار النبي والتبرك بها، ولم يزل الناس يتبركون بمواضع الصالحين. وقد روى شعبة عن سليمان التيمي عن المعرور بن سويد: كان عمر بن الخطاب في سفر فصلى الغداة، ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه، ويقولون: صلى فيه النبي، فقال عمر: إنما هلك أهل الكتاب أنهم كانوا اتبعوا آثار أنبيائهم، فاتخذوا كئناس وبيعًا، فمن عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض، قالوا: أما ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه ذكر ذلك، فلأنه خشي أن يلتزم الناس الصلاة في تلك المواضع، فيشكل ذلك على من يأتي بعدهم ويرى ذلك واجبًا، وكذا ينبغي للعالم إذا رأى الناس يلتزمون النوافل التزامًا شديدًا أن يترخص فيها في بعض المرات، ويتركها ليعلم بفعله ذلك أنها غير واجبة، كما فعل ابن عباس في ترك الأضحية» اهـ.

قال الحافظ ابن حجر^(١) في شرحه للحديث: «عُرف من صنع ابن عمر استحباب تتبع آثار النبي ﷺ والتبرك بها» اهـ.

وقال ابن الأثير^(٢): «إن عبد الله بن عمر كان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى إنه ينزل منازلهم، ويصلي في كل مكان صلى فيه، وحتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لثلاث تيس» اهـ.

وروى البخاري ومسلم^(٣) وغيرهما عن نافع: «أن عبد الله بن عمر كان ينيخ بالبطحاء التي بذي الحليفة التي كان رسول الله ﷺ ينيخ بها، ويصلي بها» اهـ.

فانظر - رحمك الله - إلى فهم الأئمة الأعلام لفعل ابن عمر رضي الله عنهما،

(١) فتح الباري (١/٤٦٩) وفي الصارم (١٠٨) عن الإمام مالك أنه يستحب الصلاة في مواضع صلاة النبي ﷺ.

(٢) أسد الغابة (٣/٣٤٠).

(٣) صحيح البخاري (٣/١٤٠)، صحيح مسلم (٢/١٩٨١).

وبالغ اهتمامه بالأثار النبوية الشريفة، وتتبعه إياها تتبع المشوق الحريص على عدم التفريط بها، وقد ظهر جلياً أن ذلك الاهتمام بالتبرك بأثار النبي ﷺ لا يعارض البتة الاتباع الصحيح للسنة النبوية، بل إن هذا التبرك هو من صميم المنهج النبوي، والتعاليم المحمدية.

وهكذا فلم يحمله أي واحد منهم على أنه شرك أو حرام أو ذريعة للشرك كما فعل الحراني - والعياذ بالله تعالى - ومن تبعه في فساده. بل قالوا إن ذلك يستدل منه على استحباب هذا التبرك، وهذا التتبع لآثار النبي ﷺ ممن هو مأمون عليه أن يفهم التبرك على وجهه، فيُعلم من هذا أنه يمكن تعليم الناس معنى التبرك.

وبالرجوع إلى قصة الإسراء حيث صلى عليه الصلاة والسلام بطلب من جبريل في مواضع، منها: المدينة المنورة - طيبة - وذلك قبل هجرته، كما هو واضح، وكذا في طور سيناء، وكذا عند بيت لحم حيث ولد نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، وكذا بالرجوع إلى قصة عتبان بن مالك فيما رواه البخاري وقول النبي ﷺ له: «أين أصلي لك»، وقول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فيما رواه الحافظ النسائي عندما رأى رسول الله ﷺ يصلي العشاء ثم الوتر، ثم قال - أي أبو موسى -: ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله ﷺ قدميه، ومثله ما رواه مالك في الموطأ عن محمد بن عمران الأنصاري عن أبيه أنه قال: أتى إلي عبد الله بن عمر وأنا نازل تحت سرحة بطريق مكة، فقال: ما أنزلك تحت هذه السرحة؟ فقلت أردت ظلها، فقال: هل غير ذلك، فقلت: لا، ما أنزلني إلا ذلك، فقال عبد الله بن عمر: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنت بين الأخشيين من منى» - ونفخ بيده نحو المشرق - «فإن هناك وادياً يقال له السرور به شجرة مر تحتها سبعون نبياً»، وقد سقنا لك تتبع ابن عمر لآثار النبي ﷺ، وغير هذا من الأدلة كثير.

وبعد، فإنه يظهر لك من كل هذه الأدلة الساطعة استحباب التبرك بأثار النبي ﷺ، وهو ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه فيما نقلناه لك



من (الإصابة) و(أسد الغابة) من أن صفية بنت بحرة قالت: كان عمر إذا جاءنا قال: أخرجوا لي قصعة رسول الله ﷺ، فنخرجها إليه، فيملاها من ماء زمزم، فيشرب منها، وينضح على وجهه (لاحظ أن عمر يقول أخرجوا لي قصعة رسول الله ﷺ)، وهو تأكيد لفعل سهل بن سعد الساعدي وعبد الله بن سلام، وأنس بن مالك، وكذا أم سليم في أمر جبة النبي ﷺ، وغيرها من الأخبار الصحيحة المروية في صحيحي البخاري ومسلم، وكذا ما مر معنا من أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد سأل الناس عن المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ..... إلخ.

فبعد هذا البيان الشافي لم يبق لمعترضٍ على التبرك حجة، فليس ثمَّ إلا العناد والضلال والعمى والتعامي، وعندئذ نقول: [من الوافر]

وليس يصحُّ في الأذهانِ شيءٌ إذا احتاج النهارُ إلى دليلٍ!
ولا يخفى ما في هذا العناد من تكفير للصحابة ومن تبعهم بإحسان، والعياذ بالله تعالى، فليعرف المصّرُّ على فسادهِ مُؤدِّي كلامه، وقد رأينا هذا المعنى في كلام الحراني؛ إذ عدَّ تتبع ابن عمر لتلك الآثار ذريعة للشرك - والعياذ بالله - وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ^(١): «إن عبد الله رجل صالح»، ولا شك أن ابن عمر أدري بقول أبيه، وهو كما قال ابن حجر وغيره: «كان متشدداً في الاتباع». وليس ابن عمر - رضي الله عنهما - بحاجة إلى شهادة تزكية منا فضلاً عن شهادة من ابن تيمية ومن والاه! وإنه لمن نوازل الدهر ومهازله أن يُرمَى أهل السلف بالشرك، أو يُشكَّك في عقيدتهم بمنَّ ملاً الدنيا ضجيجاً وضوضاء زاعماً بملء شذقيه أنه سلفيٌّ! فيا لُفْلَيْقَةً!!

هذا صنيع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يشبه ما رواه مسلم في صحيحه من أن رسول الله ﷺ قال لأبي هريرة: «يا أبا هريرة، اذهب

(١) كما في البخاري.

بنعليّ هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة». قال أبو هريرة: «فلما خرجت من عنده عليه الصلاة والسلام فإذا أول من لقيني عمر، فذكرت له الحديث، فضرب عمر بين ثديي حتى خررت على استي، فقال: ارجع، فذكرت لرسول الله ﷺ ما جرى، فجاء عمر على أثري، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عمر ما حملك على ما فعلت؟» قال: «يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، إني خشيت أن يتكل الناس عليها، فقلت: خَلِّمْهم يعملون، فقال عليه السلام: «فخلِّهم»».

فأنت ترى بجلاء أن الذي أمر بالبشرى هو رسول الله ﷺ، فخشي عمر ما خشي، فلا يفهم عاقل أن أمر النبي ﷺ بالبشرى والتبشير يصير حراماً أو ممنوعاً لمجرد تخوف عمر، ولا كان ذلك من عمر اعتراضاً، إنما أبدى للرسول ﷺ خشيته من أن يتكل الناس عليها - أي على البشرى فيتركوا العمل -، فأخذ رسول الله ﷺ برأي عمر ولو شاء لأمضى ما أراد.

وبذلك يظهر لك الفارق الشاسع بين ما يذهب إليه المحرّمون المحرومون، الذين يزعمون بأن من تتبع تلك الآثار فهو مشرك، وغرض عمر رضي الله عنه.

ويليق في هذا المقام أن نختم بما رواه العيني في شرحه على البخاري^(١) عن يزيد بن أبي عبيد قال: «كنت آتي مع سلمة بن الأكوع، فيصلي عند الأستوانة التي عند المصحف، فقلت: يا أبا مسلم، أراك تتحرى الصلاة عند الأستوانة»، قال: «فإني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها».

ثانياً: إيضاح معنى ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: «لقد جنّتم ببدعة ظالما»

روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن عمرو بن عتبة وأصحاباً له بنوا مسجداً بظهر الكوفة، فأمر عبد الله بذلك المسجد فهدم، ثم بلغه أنهم يجتمعون

(١) شرح صحيح البخاري (٨/٢٥٢).

في ناحية من مسجد الكوفة، يسبحون تسييحًا معلومًا ويهللون تهليلًا ويكبرون، قال: فلبس برنسًا، ثم انطلق، فجلس إليهم، فلما عرف ما يقولون، رفع البرنس عن رأسه ثم قال: «أنا أبو عبد الرحمن»، ثم قال: «لقد فضلتم أصحاب محمد علمًا أو لقد جئتم ببدعة ظلمًا».

فالجواب عنه من وجوه منها:

أولها: هذا الأثر ضعيف من حيث السند، وذلك للانقطاع الذي بين الصلت ابن بهرام وابن مسعود رضي الله عنه؛ لأن ابن بهرام - وإن كان ثقة - لكنه من أتباع التابعين^(١). فانظر - أخي المسلم - كيف يستدل نفاة التوسل والتبرك بالضعيف الموقوف، ويأخذون منه حكمًا يتوصلون به إلى تكفير الأمة ورميهم بالشرك والوثنية!!

ثانيها: لو كان اجتماعهم لمجرد الذكر فقط ما كان يتأتى من ابن مسعود ولا غيره هدم المسجد، ولا الإنكار عليهم، بدليل ما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «**ما أجلسكم؟** قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: **الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة**».

وكذلك روى مسلم من طريق أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنها شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده**».

وكذا ما جاء في سنن ابن ماجه أنه ﷺ دخل المسجد فوجد حلقتين، حلقة تذكر الله، وحلقة يتذكرون في العلم، وقال: «**كلا المجلسين على خير ولكن هذا**

(١) انظر التهذيب (٤/٤٣٢).

المجلس أفضل.

فهل يتصور أن ابن مسعود رضي الله عنه يهدم مسجداً أو ينكر على أناس لمجرد جلوسهم في المسجد لذكر الله؟! فيحتمل أن يكون إنكاره عليهم بسبب أنه رأى منهم شيئاً مخالفاً لهدي رسول الله ﷺ وهذا إن ثبت الأثر.

قال الشيخ أحمد زورق البرنسي الفاسي المتوفى سنة ٨٩٩هـ في كتابه قواعد التصوف^(١) فأما قول ابن مسعود رضي الله عنه لقوم وجدتهم يذكرون جماعة: لقد جئتم ببدعة ظلماء ولقد فقتم أصحاب محمد علما.

فالجواب عنه: بأنه لم يبلغه حديث الترغيب فيها، أو أنه أنكر الهيئة ونحوها، وإلا فلا يصح إنكاره بهذا الوجه بعد صحة الحديث والله أعلم اهـ.

ثالثاً: توجيهه وجيه في كلام ينسب للإمام مالك رضي الله عنه:

أما ما يروى عن مالك أنه سئل عن الصلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول ﷺ، فقال: «ما يعجبني ذلك إلا في مسجد قباء»، فالجواب: إنه لمن العجيب حقاً أن تجد هؤلاء القوم يحتجون تارة بكلمة رُوِيَتْ عن أحد العلماء، سواء صحت أم لم تصح، لمجرد أنهم يظنون أن فيها الحجة لهم، فيما يذهبون إليه من تحريم الصلاة في المواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ، علماً أنهم لا يقبلون ما ثبت عن مالك أنه ناظر المنصور الخليفة العباسي، فقال المنصور: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو؟ فقال الإمام مالك: «ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى؟! بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤) (سورة النساء) وهو صحيح الإسناد إلى مالك؛ ذكره القاضي عياض في الشفا بإسناده، والسيد السمهودي في خلاصة الوفا.

(١) صحيفة (١٢١)

ولو رحمت أذكر لك ما في كتب المالكية وغيرهم من أهل المذاهب الأربعة، ومنهم الحنابلة كابن عقيل وغيره، لرأيت العجب في هذا المعنى، فهل يقبلون هذا الكلام من مالك، علمًا أن الدعاء مع التوجه لغير القبلة فعله رسول الله ﷺ وما زال عليه الناس، فلا يخفك أن الخطيب يوم الجمعة يدعو ووجهه إلى عكس القبلة.

هذا وليس في الكلام المنسوب إلى مالك رضي الله عنه دليل على ما يذهب إليه أولئك الذين يكفرون المتبع لآثار النبي ﷺ شوقًا وحبًا وإيمانًا؛ فلو ثبت عنه ذلك فأين قول «ما يعجبني ذلك» من التكفير والرمي بالشرك؟! على أنه لا يثبت ذلك خاصة إذا تذكرت أن نافعًا هو شيخ مالك ونافع هو أحد من روى تتبع ابن عمر للمواضع التي صلى فيها الرسول ﷺ بل إن مالكًا روى في موطنه أن ابن عمر سأل في قرية من قرى الأنصار «هل تدرّون أين صلى رسول الله ﷺ من مسجدكم هذا» فتأمل.

رابعًا: إيضاح معنى حديث الشجرة ذات الأنواط:

وأما حديث أبي واقد الليثي أن الرسول ﷺ كان في سفر، فلما وصلوا إلى ذات أنواط - وكان المشركون يعلقون سلاحهم عليها - فقال بعض الصحابة: «يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما أن لهم ذات أنواط»، فقال: «تريدون كالذي قيل لموسى «اجعل لنا آلهة»؟!»

فالجواب: أن هذا الموضع كانت الجاهلية تقصده لأعمالها الخبيثة، فكيف تُجعل مشاهد الأولياء التي جعل الله فيها البركة كأماكن الجاهليين الذين كانوا مشركين بالله لا يؤمنون بالله واليوم الآخر؟ فكيف تساوون أيها المكفرون للمتبركين بين الموحدين وبين المشركين؟ نعوذ بالله من هذا القياس الخبيث الذي فيه هذه المفاسد الثلاثة:

1. قياس المؤمنين الموحدين على المشركين عباد الأصنام، وحملهم الآيات الواردة في المشركين على أهل الإيمان والتوحيد.

٢. قياس الأنبياء والصالحين على الأصنام والأوثان.

٣. وقياس التوسل والتبرك بالصالحين بعبادة غير الله، حتى حملوا الآية الكريمة ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (سورة الزمر) على أهل الإسلام، وذلك لأنهم خلطوا بين العبادة والتوسل ولم يُميزوا بينهما، والحق أن التوسل شيء جاء به الشريعة، وليس هو عبادة لغير الله، وإنما العبادة هي غاية التذلل كما قال اللغويون، وهو ما يأتي بيانه في مبحث التوسل إن شاء الله تعالى.

خامساً: إيضاح معنى قطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه لشجرة الرضوان:

أما حديث البخاري الذي فيه أن ابن عمر قال: «رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها - يريد شجرة الرضوان - كانت رحمة من الله».

فاعلم - وفقك الله - أن هذا الخبر قد عَقَّب عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني^(١) بقوله: «ويحتمل أن يكون معنى قوله أي قول ابن عمر: «رحمة من الله» أي كانت الشجرة موضع رحمة الله ومحل رضوانه لنزول الرضا على المؤمنين عندها». فهذا احتمال ختم به الحافظ تعليقه على الحديث، وهو احتمال وارد لما دل عليه كلامه في مواضع كثيرة من قوله بجواز تتبع آثار الصالحين، بل استحباب ذلك في تعقيبه على تتبع ابن عمر لآثار النبي ﷺ، وغير ذلك كثير، وقد مر بك في هذا الكتاب فلا نعيدها هنا.

لكن الحافظ ابن حجر قال قبل هذا الاحتمال: «وبيان الحكمة في ذلك وهو ألا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أُمنَ تعظيم بعض الجهال لها، حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضرر كما نراه الآن مشاهد فيما

(١) (ج ٦/ ١١٨).

هو دونها، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله: (كانت رحمة من الله) أي كان خفاؤها عليهم بعد ذلك رحمة من الله تعالى» اهـ. ثم ساق الاحتمال الذي قدمناه.

هذا، وإني ألفت نظرك إلى أن الحافظ لا يقصد منه أبداً تحريم تتبع آثار الصالحين، وخاصة أنه قال باستحباب ذلك، وإنما هو يشرح سبب فعل عمر رضي الله عنه، وهو من عمر لا يعدو ما تقدم ذكره في المقدمة العامة من هذا الفصل، من رده لأبي هريرة وقد خرج بإشارة النبي ﷺ ليشر من قال لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بالجنة، فخشي عليهم عمر أن يتكلوا عليها، وأنت خير بما ثبت عن عمر رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما، وفيه أنه قبل الحجر الأسود وقال: «إني لأعلم أنك حجر لا ينفع ولا يضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

لاحظ قوله: «حجر لا ينفع ولا يضر» تعرف أن عمر إنما يريد تأكيد معنى عظيم في العقيدة، وهو أن الله خالق كل شيء، وهو النافع والضار على الحقيقة كما في أسمائه سبحانه، ولعله أراد التنبيه على ذلك ليسمعه الناس فيتأكد لديهم هذا المعنى.

ثم لاحظ قوله: «ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» لينكشف لك أن عمر رضي الله عنه كان يتشدد في هذا لا من باب معارضة رسول الله ﷺ، وإنما هو من عين ما قدمنا ذكره أنه لا ينفع ولا يضر بذاته، لكن عمر لا ينفي أبداً رجاء حصول الخير والبركة بمسه وتقبيله كما كان يفعل هو عندما كان يشرب من ذلك القدح، بل إن عمر رضي الله عنه كان حريصاً على أن يدفن قرب النبي ﷺ، وكذا قرب أبي بكر الصديق - كما روى البخاري - حيث قال عند رجوع ولده عبد الله بالإذن من عائشة ليدفن مع صاحبيه: «ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع»، وهو تبرك واضح من عمر رضي الله عنه لما علمه رضي الله عنه من استحباب الدفن قرب نبي أو عبد صالح رجاء حصول النفع له بنزول الرحمات لمجاورته للصالحين.

فإذا علمت ذلك كله عرفت أن قطع شجرة الرضوان كان من قبيل رده لأبي هريرة وقوله عن الحجر الأسود «لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك»، وقد مرّ بك أن الحافظ ابن حجر عَقَّبَ على نزول ابن عمر تحت شجرة السمرة، وحرصه على جلب الماء إليها لتبقى، بأنه كان يؤمن عليه أن يقع في اعتقاد مخالف للدين، ولذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرون حتى يخلو لهم المسجد، ثم يقومون إلى رمانة المسجد، ثم يتمسحون برمانة المنبر وهو الموضع الذي مسته يد النبي ﷺ مراراً عندما كان يصعد إليه ليخطب عليه صلوات ربي وسلامه عليه. فإذا عقلت هذا كله تبين لك معنى كلام الحافظ ابن حجر: «وبيان الحكمة في ذلك - أي قطع شجرة الرضوان - أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها، حتى ربما أفضى بهم... إلخ».

ولو كان مراد عمر رضي الله عنه تحريم تتبع آثار النبي ﷺ لما كان ولده ابن عمر يفعل ذلك، وكذا غيره من الصحابة كابن الزبير، حيث كان يكثر من الصلاة عند أسطوانة القرعة، أو يقال لها أسطوانة عائشة، وكذا ما مرّ بك عن سلمة وغيره، فافهم أرشدك الله.

ولا مانع من تعليم الناس وتنبههم، لكن بالحكمة والموعظة الحسنة. لا بإساءة الظن بهم والحكم عليهم بالكفر والشرك لمجرد التبرك بأثار الأنبياء والصالحين.

وهنا لطيفة مهمة يجدر الوقوف عندها وهي ما قاله بعض العلماء من أن أمر الله للمؤمنين بالصلاة على النبي ﷺ فيه تذكير للناس بأنه عبد الله ورسوله، فيرجى بذلك أن يستمر في قلوب الناس هذا المعنى فلا يعتقدون في رسول الله ﷺ أنه يخلق النفع لهم، وإنما يتصورون المعنى الصحيح، وهو رجاؤهم أن الله ينزل البركة والخير لمن دعا عند قبره ﷺ كرامة لحبيبه ﷺ.

أما أن يؤخذ من فعل عمر أو كلام الحافظ ابن حجر ما فيه غلو في الدين، حتى يقال إن المتبركين والمتوسلين بالنبي ﷺ وءثاره مشركون، وكذا حكموا



على الواله المشتاق بذلك، فهو تلبيس من الشيطان وعمى عن الحقيقة التي رأيت عليها حال الصحابة ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا.

وربما تعجب بل تتفاجأ إذا سمعت أن مُحَرَّمِي التبرك بأثار النبي ﷺ حكموا على الحافظين النووي وابن حجر العسقلاني بالكفر؛ لأنهما بزعمهم يخالفانهم في العقيدة!!! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خاتمة: في إظهار تعلق قلوب المؤمنين بأثار الحبيب محمد سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ:

قال الذهبي في معجم الشيوخ الكبير^(١): «عن نافع عن ابن عمر «أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ» قلت: كره ذلك لأنه رءاه إساءة أدب. وقد سئل أحمد بن حنبل عن مس القبر النبوي وتقبيله فلم ير بذلك بأساً، رواه عنه ولده عبد الله بن أحمد. فإن قيل: فهلا فعل ذلك الصحابة، قيل: لأنهم عاينوه حياً وتملوا به وقبلوا يده، وكادوا يقتتلون على وضوئه واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الأكبر - إلى أن قال - ونحن لما لم يتسن لنا مثل هذا النصيب الأوفر، ترامينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل، ألا ترى كيف فعل ثابت البناني، كان يقبل يد أنس بن مالك ويضعها على وجهه ويقول: يد مست يد رسول الله ﷺ. وهذه الأمور لا يحركها من المسلم إلا فرط حبه للنبي ﷺ، إذ هو مأمور بأن يحب الله ورسوله أشد من حبه لنفسه وولده والناس أجمعين، ومن أمواله ومن الجنة وحوورها، بل خلق من المؤمنين يحبون أبا بكر وعمر أكثر من حب أنفسهم». ثم قال بعد كلام: «ألا ترى الصحابة في فرط حبهم للنبي ﷺ قالوا: «ألا نسجد لك؟» فقال: لا، فلو أذن لهم لسجدوا له سجود إجلال وتوقير لا سجود عبادة، كما قد سجد إخوة يوسف - عليه السلام - ليوسف. وكذلك القول في سجود المسلم لقبر النبي ﷺ على سبيل التعظيم والتبجيل لا يكفر به أصلاً بل يكون عاصياً، فليعرف أن هذا منهي عنه، وكذلك الصلاة على القبر».

(١) معجم الشيوخ الكبير (١/٧٣-٧٤).

وقال في سير أعلام النبلاء^(١) في ترجمة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: «عن سهيل وسعيد مولى المهري عن حسن بن حسن ابن علي أنه رأى رجلاً وقف على البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ، يدعو له ويصلي عليه، فقال للرجل: لا تفعل؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيث ما كنتم فإن صلواتكم تبلغني».

هذا مرسل، وما استدلل حسن في فتواه بطائل من الدلالة، فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مصلياً على نبيه فيا طوبى له، فقد أحسن الزيارة، وأجمل في التذلل والحب، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه في أرضه أو في صلواته؛ إذ الزائر له أجر الزيارة، وأجر الصلاة عليه، والمصلي عليه في سائر البلاد له أجر الصلاة فقط.

فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشراً، ولكن من زاره - صلوات الله وسلامه عليه - وأساء أدب الزيارة أو سجد للقبر أو فعل ما لا يشرع، فهذا فعل حسناً وسيئاً، فيعلم برفق والله غفور رحيم، فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم والصيحاح وتقييل الجدران وكثرة البكاء إلا وهو محب لله ولرسوله فحبه المعيار والفرق بين أهل الجنة وأهل النار، فزيارة قبره من أفضل القرب».

ومن كتاب نزهة الناظرين للسيد المدني البرزنجي ص ١٠٩ ما نصه: »

تنبيه: اختلف العلماء (هل) الأولى التطويل كما ذكر أو الإيجاز والاختصار؟ (قال) ابن عساكر: والذي بلغنا عن ابن عمر وغيره من السلف الأولين الثاني انتهى (ومال) إليه المحب الطبري، (والأولى) ما قاله النووي وغيره تبعاً لأكثر العلماء التطويل.

(قال) العلامة ابن حجر: وهنا تفصيل لا بد منه؛ فهو الأولى (وهو) أن

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٤٨٣ - ٤٨٥).



القلب ما دام حاضرًا مستحضرًا لما مر من الهيبة والإجلال صادق الاستمداد والذلة والانكسار فالتطويل أولى، (ومتى) فقد ذلك فالإسراع أولى، والله أعلم انتهى.

وعليه حمل ما جاء من أن الحسن رأى قومًا عند القبر فنهاهم، وكذا ما جاء من أن علي بن الحسين رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، أي وقد جاء في رواية عن القاضي إسماعيل أن رجلًا كان يأتي كل غداة، فيزور قبر النبي ﷺ، ويصلي إليه، ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن الحسين، فقال: ما يملكك على هذا؟ فقال: أحب التسليم على النبي ﷺ. فقال له علي: أخبرني أبي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تتخذوا قبوري عيدًا ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلواتكم تبلغني» فتبين أن ذلك الرجل زاد في الحد بحيث زال خشوعه وخضوعه وذلته وانكساره».

وقال العاقولي في كتاب عرف الطيب^(١) في أخبار مكة والمدينة: «ذكر المواضع التي يستحب فيها الصلاة بمكة وما فيها من آثار النبي ﷺ»، وذكر مواضع كثيرة فيها يتبرك الناس، ومثله الفاكهي في (أخبار مكة) وصاحب العقد الفريد، وكل من ألف في تاريخ مكة والمدينة زادهما الله شرفاً ورفعة.

بل إن كثيرًا من العلماء ألفوا كتبًا، وأفردوا أبوابًا خاصة لزيارة الأولياء والصالحين والآثار الشريفة والمواضع المباركة منها:

(١) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، لابن عثمان.

(٢) الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، لابن الزيات.

(٣) الإشارات على أماكن الزيارات، للسخاوي.

(٤) الإشارات على أماكن الزيارات، للهروي.

(١) عرف الطيب (ص/١٠٦).

٥) الحضرة الأنسية، للشيخ عبد الغني النابلسي.

وغيرها مما تجده في كتب التواريخ والزيارات والرحلات والمناسك الكثير الكثير مما يصعب حصره، الأمر الذي يدل على أن هذا الأمر قد اتفق عليه العلماء والعامّة من المسلمين، إلا شذمة شاذة خالفت الإجماع يتقدمهم ابن تيمية الحراني، فمن هو المبتدع؟! لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا مانع من أن نكرر هنا ما قاله القاضي عياض المالكي في الشفا^(١): «وجدير بمواطن عمّرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبرائيل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسييح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة، وأين فاض عباها، ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى تراها، أن تُعظّم عرصاتها وتُنسّم نفحاتها وتُقبّل ربوعها وجدرانها» اهـ.

ونختم الباب بقصيدة غراء للأديب الكبير فضيلة الشيخ غانم جلول حفظه الله في بيان فضل التبرك بأثار النبي ﷺ ومشروعيته مرصعاً أبياتها بجملته من أشهر الدلائل الواردة في السنة الشريفة وسيرة الصحابة الكرام: [من الرجز]

من فضل النبي تبركوا

أبدؤها بقول بسم الله تنزه الرحمن عن أشباه

(١) الشفا (٢/١٣١).

وأحمدُ الإلهَ ذا الجلالِ
ثمَّ الصَّلَاةَ والسَّلَامَ مِنَّا
طريقةَ التَّبَرُّكِ الميمونةَ
فإنَّ رأيْتُمْ منْ أتاكمْ يدعي
وقَدْ أحلَّ حُرْمَةً ضلالًا
قولوا لَهُ إذْ حَرَّمَ التَّبَرُّكَا
إنَّ اقتِسَامَ الشَّعْرِ يا مُماري^(١)
وقِسْمَةُ الأظْفَارِ أيضًا تُسْنَدُ
وجِبَّةُ النَّبِيِّ سَلَّ أَسْمَاءَا
هاكَ دليلاً منْ أبي أيُّوبِ
أنعمَ بِهِ رداً على منْ أنكرَا
فمُسْلِمٌ أولَاهُمَا رواها
وأحمدُ روى الحديثَ الثاني
وخالدٌ للجيشِ في قَلْنُسُوهُ
وما الذي حرَّكَ فيه القَلَقَا
لأنَّ في الطيِّاتِ شَعْرَاتِ النَّبِيِّ
ومَسَحُ أحمدٍ لرأسِ حَنْظَلَهْ

(١) مجادل

(٢) يُقَالُ في اللُّغَةِ ثَوْبٌ خَلَقَ بفتح اللامِ أي بالِ.

مَنْ جَاءَهُ وَالوَجْهَ مِنْهُ وَارِمْ
 بَرَكَهُ النَّبِيِّ طَابَ عَرَفُهُ
 الطَّبْرَانِيُّ روى وَأَحْمَدُ
 وَثَابِتٌ قَدْ كَرَّرَ التَّقْيِيلَا
 وَأَنْسَ عَنْ مِثْلِ ذَاكَ مَا زَجَرَ
 يَا إِخْوَتِي مِنْ فَضْلِهِ تَبَرَّكُوا
 أَجَازَهُ نَبِيُّنَا المُعْظَمُ
 فَإِنَّهُ أَخُو الجَهُولِ فِي الغَبَا
 نَظَمْتُهَا مُرْشِدَةً عَزِيزَةً
 بِمَسْحَةٍ يَعُودُ وَهُوَ سَالِمُ
 مَوْضِعُ كَفِّهِ فَكَيْفَ كَفُّهُ؟!
 مَطْوَلًا عَنِ الثَّقَاتِ يُسْنِدُ
 يَدًا وَعَيْنًا رَأَتْ الرُّسُولَا
 مُجَوِّزًا، روى أَبُو يَعْلَى الأَثَرُ
 تَمَسَّكُوا بِهِدِيهِ لَا تَتْرَكُوا
 فَفَتَّشُوا عَنْ ذَيْلِ مَنْ يُحَرِّمُ
 وَمِثْلَهُ يَا بِي الكَرِيمِ يَصْحَبَا
 أَكْرَمُ بِهَا فِي الخَيْرِ مِنْ أَرْجُوزَةٍ



الباب الثاني

في مشروعية

التوسل بالنبي ﷺ

الفصل الأول

في أن التوسل نوع من أنواع التبرك

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالَكُمْ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ»، رَوَاهُ الْبَزَّازُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. وَإِنَّا نَقُولُ الْآتِي:

أ- هذا الحديث يدلُّ على أن النَّبِيَّ يَنْفَعُ بَعْدَ مَوْتِهِ خِلَافًا لِنَفَاةِ التَّوَسُّلِ الْقَائِلِينَ إِنَّهُ لَا أَحَدَ يَنْفَعُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَا قَالَ: «وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ» مَرَّتَيْنِ أَفْهَمْنَا أَنَّهُ يَنْفَعُنَا بَعْدَ مَوْتِهِ أَيْضًا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ» فَمَعْنَاهُ: يَحْصُلُ مِنْكُمْ أُمُورٌ، ثُمَّ يَأْتِي الْحُكْمُ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ.

ثم يُوَكِّدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَفْعَهُ لِأُمَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِقَوْلِهِ: «وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ؛ تُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالَكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ».

ب- وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ نَفْعُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْلَةَ الْمَعْرَاجِ، لَمَا سَأَلَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟»، فَقَالَ لَهُ: «خَمْسِينَ صَلَاةً»، قَالَ: «ارْجِعْ وَسَلِّ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنِّي جَرَّبْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَلَاتَانِ فَلَمْ يَقُومَا بِهِمَا»، فَارْجِعْ فَطَلَبَ التَّخْفِيفَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لَهُ: «ارْجِعْ فَسَلِّ التَّخْفِيفَ»، إِلَى أَنْ صَارَتْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ بِأَجْرِ خَمْسِينَ.

فَهَلْ يَشْكُ عَاقِلٌ بِنَفْعِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ هَذَا النَّفْعَ الْعَظِيمَ، وَهُوَ

الذي قد توفي قبل ليلة المعراج بأكثر من ألف سنة؟! فهذا عملٌ بعد الموت انتفعت به الأمة المحمدية كلها بلا شك ولا مواربة.

ج- ويدل على ذلك أيضًا ما رواه مسلمٌ في حديث المعراج، أن كلا من الأنبياء الذين لقيهم في السماء دعا للرسول بخيرٍ وهم ثمانية: آدم في الأولى، وعيسى ويحيى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، وكل ذلك نفعٌ بعد الموت.

فبطل تعلق نفاة التوسل بالاستدلال بحديث البخاري: «إذ مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» فإنه بزعمهم يمنع الانتفاع بزيارة قبور الأنبياء والأولياء والتوسل بهم.

يقال لهم: المراد بقوله عليه السلام «انقطع عمله» أي العمل التكليفي، وليس فيه تعرض لما سوى ذلك من نحو نفع التوسل بهم، بل فيه ما يدل على خلاف دعواهم، حيث إن فيه أن دعوة الولد الصالح تنفع أباه، وليس مراد الرسول بذلك أنه لا ينفع الميت دعاء غير ولده الصالح، وإلا فما معنى صلاة الجنائز؟؟ وما معنى الدفن في البقيع؟؟

* وأما توسل عمر بالعبّاس بعد موت النبي ﷺ فليس لأن الرسول قد مات، بل كان لأجل رعاية حق قرابته من النبي ﷺ. ويدل على ذلك أمورٌ منها:

أ- قول العبّاس حين قدمه عمر: «اللهم إن القوم توجهوا بي إليك لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ»، فتبين بطلان رأي ابن تيمية ومن تبعه من منكري التوسل. روى هذا الأثر الزبير بن بكار كما قال الحافظ ابن حجر.

ب- ويستأنس له أيضًا بما رواه الحاكم في المستدرک أن عمر رضي الله عنه خطب الناس، فقال: «أيها الناس، إن رسول الله ﷺ كان يرى للعبّاس ما يرى الولد لوالده، يعظمه ويفخّمه ويبرّ قسّمه، فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمه العبّاس، واتخذوه وسيلة إلى الله فيما نزل بكم»، فهذا يوضح سبب

تَوْسَلُ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ .

فترك عمر التوسل بالنبي في ذلك الموضع ليس فيه دلالة على منع التوسل بغير الحي الحاضر، فقد ترك النبي ﷺ كثيراً من المباحات، فهل دل تركه لها على حرمتها؟ وقد ذكر العلماء في كتب الأصول أن ترك الشيء لا يدل على منعه.

وقد أراد سيدنا عمر بفعله ذلك، أن يبين جواز التوسل بغير النبي ﷺ من أهل الصلاح ممن تُرجى بركته، ولذا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري عقب هذه القصة ما نصه: «يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح، وأهل بيت النبوة»^(١).

* فلا التفات بعد هذا إلى :

أ- دَعَوَى بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْمَشُوشِينَ أَنَّ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ فِي إِسْنَادِهِ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ رَجُلٌ مَجْهُولٌ وَلَيْسَ كَمَا زَعَمُوا، بل أبو جعفر هذا هو أبو جعفر الخطمي، وهو ثقة.

ب- ودَعَوَى بعضهم أن مُراد الطبراني في حديث الأعمى المعروف بقوله: «والحديث صحيح» القدر الأصلي، وهو ما فعله الرجل الأعمى في حياة رسول الله فقط، وليس مراده ما فعله الرجل أيام عثمان بن عفان بعد وفاة الرسول.

وهذا مردودٌ، لأنَّ علماء المصطلح قالوا: الحديث يُطلق على المرفوع إلى النبي والموقوف على الصحابة، أي أن كلام الرسول يُسمى حديثاً وقول الصحابي يُسمى حديثاً، وليس لفظ الحديث مقصوراً على كلام النبي فقط في اصطلاحهم.

(١) قال الشيخ محمد الحامد في ردوده القسم الثاني (ص ٢٨) ما نصه: «هذا إلى أن الإجابة منوط وقتها بعلم الله عز وجل، فقد تتأخر فيضطرب ضعفاء القلوب إن كان التوسل بالنبي عليه وآله الصلاة والسلام في ذلك المقام، وقد لا يحصل هذا الاضطراب إذا كان بالعباس رضي الله عنه».

وقد نص على ذلك غير واحد من علماء الحديث، منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني، كما نقل عنه السيوطي في تدریب الراوي، وابن الصلاح في مقدمته في علوم الحديث. واعلم أن كلامَ هذا الممَّوِّه لا يُوافقُ المُقرَّرَ في عِلْمِ المِصْطَلَحِ، فَلْيَنْظُرْ مَنْ شَاءَ فِي كِتَابِ تَدْرِيبِ الرَّاوي، وَالإفْصَاحِ، وَغَيرِهُمَا مِنْ كُتُبِ المِصْطَلَحِ.

فإنَّ هذا القائل لم يجره إلى هذه الدَّعوى إلا شِدَّةُ تعصبه لهوَاهُ، وَعَدَمُ مبالاةِ بِمخالفةِ العلماءِ، فهو كَسَلَفِهِ ابن تيمية.

ج- استدلالهم بما ورد في حديث ابن عباس - الذي رواه الترمذي - أن النبي ﷺ قَالَ لَهُ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ» عَلَى مَنَعِ التَّوَسُّلِ بِالأَنْبِيَاءِ والأَوْلِيَاءِ. وتلك شبهة باطلة:

١- لأنَّ الحديثَ معناه: أن الأوَّلَى بأن يُسألَ وَيُسْتَعانَ بِهِ اللهُ تَعَالَى، وليسَ مَعناهُ لا تُسألُ غيرَ اللهِ ولا تُسْتَعنَ بِغيرِ اللهِ. نَظيرُ ذَلِكَ قولُهُ ﷺ: «لا تُصاحِبُ إلا مُؤمِنًا ولا يَأْكُلُ طَعامَكَ إلا تَقِيٌّ» فكما لا يُفهمُ مِنْ هذا الحديثِ عَدَمَ جَوازِ صُحبةِ غيرِ المُؤمِنِ وإطعامِ غيرِ التَّقِيِّ، وإِنما يُفهمُ مِنْهُ أنَّ الأوَّلَى فِي الصُّحبةِ المُؤمِنُ وأنَّ الأوَّلَى بِالإطعامِ هُوَ التَّقِيُّ، كذاكَ حَدِيثُ ابنِ عَبَّاسٍ لا يُفهمُ مِنْهُ إلا الأَوْلَوِيَّةُ، وأما التَّحريمُ الذي يَدَّعونه فَلَيْسَ فِي هذا الحديثِ، ولا فِي غيره.

٢- ولأنَّ المتوسَّلَ القائل: «اللهم إني أسألك بنبيك، أو بأبي بكر، أو بأويسِ القرني»، أو نحو ذلك فقد سأل الله، ولم يسأل غيره، فأين الحديث وأين دعواهم؟!

ثم إن الحديث ليس فيه أداة نهي، لم يقل الرسول لابن عباس: لا تسأل غير الله ولا تستعين بغير الله، ولو ورد بلفظ النهي فليس كل أداة نهي للتحريم، كحديث الترمذي وابن حبان: «لا تُصاحِبُ إلا مُؤمِنًا ولا

يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيَّ»، فهذا الحديث - مع وجود أداة النهي فيه - ليس دليلاً على تحريم أن يطعم الرجل غير تقي، وإنما المعنى أن الأولى أن تطعم طعامك التقي. فكيف تجرأ نفاة التوسل على الاستدلال بهذا الحديث لمنع التوسل بالأنبياء والأولياء؟! ما أجرأهم على التحريم والتكفير بغير سب!!

ومن عرّف حقيقتهم فإنه لا يجعل لكلامهم وزناً. وكيف يجعل هذه الفرقة وزنٌ وهم يكفرون المؤمن الذي يأتي لیسلم على الرسول، ثم يدعو الله متوجّهاً إلى القبر الشريف، فإنهم يرون هذا شركاً ولا سيما إذا وضع يده على شبك الحجرة المبارك، فإنهم يجعلون هذا الشرك الأكبر الذي يستوجب فاعله الخلود في النار، كما هو معروف من تصرّفهم مع الزائرين.

* ولعمري، فماذا يقولون فيما ثبتت عن أبي أيوب الأنصاري من أنه جاء إلى قبر الرسول، فوضع وجهه عليه للتبرك؟! وهذا لا شك عندهم من أكبر الكفر والشرك، وحاشا لله أن يكون أبو أيوب أشرك بالله لذلك، ولا يحظر هذا بيال مسلم، فلم ينكر عليه أحدٌ من الصحابة ولا أحدٌ من أهل العلم من السلف بل ولا الخلف.

فإذا كان وضع الوجه على قبر الرسول للتبرك لا يعدُّ شركاً، فكيف وضع الكف على الشبيكة التي هي بين القبر وبين الزائر؟! فإننا لله وإنا إليه راجعون.

فالحاصل أنّ معنى الحديث: الأولى بأن تسأل الله، وتستعين بالله.

أما قول ابن تيمية: «ليس التوسل الوارد في الحديث توسلاً بذات النبي بل بدعائه» فهو دعوى باطلة لوجهه، منها:

أ- أن التوسل نوع من أنواع التبرك.

فالرسول ذاته مباركة، وءثاره: أي شعره، وقلامه ظفره، والماء الذي توضع به، ونخامته، وريقه، كلّ مبارك؛ لأن الصحابة كانوا يتبركون بذلك كما ورد

في الصحيح. فكان قول ابن تيمية هذا ينادي بأن الصحابة ما كانوا يعرفون الحقيقة بل كانوا جاهلين.

ب- وما قاله مخالف للأصول؛ فإن علماء الأصول لا يسوغون التأويل إلا للدليل عقلي قاطع أو سمعي ثابت.

ج- ولأن مقتضى كلامه أنه يجب تقدير محذوف؛ فالحديث عنده يقدر فيه محذوف، فيكون التقدير على موجب دعواه:

١ - «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بدعاء نبينا».

٢ - وكذلك «يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي»، يلزم منه التقدير «إني أتوجه بدعائك إلى ربي».

والأصل في النصوص عدم التقدير والتقدير لا يصار إليه إلا للدليل، وهذا المعروف عند علماء الأصول^(١) واللغة.

وأما تمسك بعض نفاة التوسل لدعوى الحراني هذه برواية حديث الترمذي الذي فيه: «اللهم شفعني فيّ وشفعني في نفسي»، فلا يفيد أنه لا يُتبرك بذات النبي :

لأن التبرك بذات النبي إجماع لم يخالفه إلا الحراني.



(١) هذا، وتقدير محذوف في العبارة هو نوع من أنواع المجاز، يقال له مجاز الحذف، ومعلوم أن الحراني وفرقته الشاذة يمنعون القول بالمجاز أصلاً، فهو عندهم ذريعة ووسيلة إلى تحريف النصوص، لكنهم - كعادتهم - يتذبذبون ويتناقضون، ويتحكمون، فيثبتون لأنفسهم ما يمنعون عن غيرهم، فيقولون ويقولون بالمجاز إذا وافق أهواءهم؛ فذلك دأب أهل الباطل.

الفصل الثاني

في بيان مشروعية التوسل بالأنبياء
والأولياء، وأنه ليس شركاً

اعلم أنه لا دليل حقيقي على عدم جواز التوسل بالأنبياء والأولياء في حال الغيبة، أو بعد وفاتهم بدعوى أن ذلك عبادة لغير الله.

لأنه ليس عبادة لغير الله:

أ- مجرد النداء الحي أو ميت.

ب- ولا مجرد التعظيم.

ج- ولا مجرد الاستغاثة بغير الله.

د- ولا مجرد قصد قبر ولي للتبرك.

هـ- ولا مجرد طلب ما لم تجر به العادة بين الناس.

و- ولا مجرد صيغة الاستعانة بغير الله تعالى.

أي ليس ذلك شركاً؛ لأنه لا ينطبق عليه تعريف العبادة في اللغة العربية؛ لأن العبادة لغة الطاعة مع الخضوع وهذه أقوال كبار اللغويين مستفيضة بيان ذلك:

١- فقد قال الأزهري الذي هو أحد كبار اللغويين في كتاب تهذيب اللغة نقلاً عن الزجاج الذي هو من أشهرهم:

«العبادة في لغة العرب الطاعة مع الخضوع».

٢- وقال مثله الفراء، كما في لسان العرب لابن منظور.

٣ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «أَقْصَى غَايَةِ الخُشُوعِ وَالخُضُوعِ».

٤ - وَقَالَ بَعْضٌ: «نِهَايَةُ التَّدَلُّلِ»، كَمَا بَيَّنَّ شَارِحُ القَامُوسِ مُرْتَضَى الزَّبِيدِيِّ خَاتِمَةُ اللُّغَوِيِّينَ، وَهَذَا الَّذِي يَسْتَقِيمُ لُغَةً وَعُرْفًا.

هَذَا، وَلَيْسَ مُجَرَّدُ التَّدَلُّلِ عِبَادَةً لِغَيْرِ اللَّهِ، وَإِلَّا لَكَفَرَ كُلُّ مَنْ يَتَدَلَّلُ لِلْمَلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ؛ وَإِلَيْكَ هَذَا الدَّلِيلُ السَّاطِعُ كَشَمْسِ رَابِعَةِ النِّهَارِ:

تَبَّتْ أَنْ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ لَمَّا قَدِمَ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ الرَّسُولُ: «مَا هَذَا؟» فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ أَهْلَ الشَّامِ يَسْجُدُونَ لِبَطَارِقَتِهِمْ وَأَسَاقِفَتِهِمْ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ»، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ، لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمْرَتِ المَرَأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»، رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُمَا.

وَلَمْ يَقُلْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَفَرْتَ، وَلَا قَالَ لَهُ أَشْرَكَتَ، مَعَ أَنَّ سَجُودَهُ لِلنَّبِيِّ مَظْهَرٌ كَبِيرٌ مِنْ مَظَاهِرِ التَّدَلُّلِ.



الفصل الثالث

في بيان مشروعية التوسل بالحيِّ
ال حاضر وبغير الحيِّ الحاضر

معنى التَّوَسَّلِ اصطلاحًا: هو طَلَبُ حصولِ منفعةٍ، أو اندفاعِ مضرَّةٍ من الله بِذِكْرِ اسمِ نبيٍّ أو وليٍّ إكرامًا للمتوسَّلِ به. ويستفاد من ذلك بيان ما يأتي:

إنَّ الله تعالى جَعَلَ أمورَ الدنيا على الأسبابِ والمسبِّباتِ، مع أنه قادرٌ على أن يُعطينا الثَّوابَ من غير أن نقومَ بالأعمالِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (سورة البقرة). وقال: ﴿وَاتَّبِعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (سورة المائدة). أي كلُّ شَيْءٍ يُقربكم إليه اطلبوه، يعني هذه الأسباب، أي: اعملوا الأسبابَ فَنَحققُ لكم المسبِّباتِ، نَحققُ لكم مطالبكم بهذه الأسبابِ. وهو - سبحانه - قادرٌ على تحقيقها بدونِ هذه الأسبابِ.

وقد جَعَلَ الله سبحانه وتعالى من الأسبابِ المعينةِ لنا لتحقيقِ مطالبِ لنا، التَّوَسُّلَ بالأنبياءِ والأولياءِ في حالِ حياتهم وبعدَ مماتهم، فنحنُ نَسأَلُ الله بهم رجاءً تحقيقِ مطالبنا، فيقولُ المسلمُ: اللهمَّ إني أسألكَ بجاهِ رسولِ الله، أو بحرمةِ رسولِ الله أن تقضيَ حاجتي وتفرِّجَ كربي، أو يقول: اللهم بجاهِ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ ونحو ذلك، فإن ذلك جائزٌ، وإنما ابتدعَ تحريمه تلكَ الفرقة الضالة، فشَدُّوا بذلكَ عن أهلِ السنَّةِ والجماعةِ.

فإذن ليس معنى العبادة مجرد نداءٍ حيٍّ أو ميِّتٍ في حالِ غيبته، بل لم يُنقل ذلك عن أحدٍ من علماء اللغة في تفسيرهم لمعنى العبادة. بل قال الإمامُ الفراءُ: «العبادةُ الطَّاعَةُ مع الخُضوعِ». وبهذا فسَّرَوا قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي

نطيعُكَ الطَّاعَةَ الَّتِي مَعَهَا الْخُضُوعُ، وَالْخُضُوعُ مَعْنَاهُ التَّدَلُّلُ^(١).

الدليل علم جواز التوسل بغير الحي الحاضر:

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِيهِ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَحْتَلِفُ - أَي يَتَرَدَّدُ - إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَكَانَ عُثْمَانُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ، فَشَكَى إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ائْتِ الْمِيضَاءَةَ، فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلِّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي، لِنُقْضَى لِي، ثُمَّ رُحَّ حَتَّى أَرْوَحَ مَعَكَ. فَاَنْطَلَقَ الرَّجُلُ، فَفَعَلَ مَا قَالَ، ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ، فَجَاءَ الْبَوَّابُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَأَجْلَسَهُ عَلَى طِنْفِسَتِهِ - أَي سَجَادَتِهِ - فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَذَكَرَ لَهُ حَاجَتَهُ، فَقَضَى لَهُ حَاجَتَهُ، وَقَالَ: مَا ذَكَرْتُ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِيَّ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ: وَاللَّهِ مَا كَلَّمْتُهُ، وَلَكِنْ شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ آتَاهُ صَرِيرٌ فَشَكَى إِلَيْهِ

(١) وفي براءة الأشعريين (ج ٢/ ص ٢٢٩ - ٢٣٠): «قال الشوكاني المتذبذب - وهو عندهم معتبر - وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون للتوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين من نحو قوله تعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (سورة الزمر) ونحو قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (سورة الجن) ونحو قوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ (سورة الرعد) ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه. فإن قولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (٣) مصرح بأنهم عبدوهم لذلك والتوسل بالعالم مثلاً لم يعبد له علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك. - إلى أن قال - فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع، - ثم قال بعد كلام - وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (سورة آل عمران) ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ (١٨٨) (سورة الأعراف) فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فكيف يملك لغيره؟ وليس فيها منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء. - إلى أن قال - وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه ألا يتوسل إلى الله تعالى، فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر، وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو منفرد بالعبادة والمنع».

ذَهَابَ بَصَرِهِ، فَقَالَ: **إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ**، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ شَقَّ عَلَيَّ ذَهَابُ بَصَرِي، وَإِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ، فَقَالَ لَهُ: **ائْتِ الْمِيْضَاءَةَ، فَتَوَضَّأْ وَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْ هُوَ لَاءِ الْكَلِمَاتِ**، ففعل الرجل ما قال، فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس، حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر، كأنه لم يكن به ضرر قط.

قال الطبراني في كل من «مُعْجَمِيهِ»: والحديث صحيح، والطبراني من عاداته أنه لا يصحح حديثاً مع اتساع كتابه المعجم الكبير، فما قال عن حديث أورده ولو كان صحيحاً: الحديث صحيح، إلا عن هذا الحديث! وكذلك أخرجه في الصغير وصححه.

هذا الحديث فيه دلالة واضحة على جواز التوسل بالنبي في حياته وبعد مماته، في حضرته أو في غير حضرته ففيه:

أ- أن الأعمى توسل بالنبي في غير حضرته، بدليل قول عثمان بن حنيف: «حتى دخل علينا الرجل».

ب- الدليل على جواز التوسل برسول الله بعد وفاته، فإن فيه أن الصحابي عثمان ابن حنيف علم رجلاً هذا الدعاء الذي فيه توسل برسول الله، لأنه كان له حاجة عند سيدنا عثمان بن عفان في خلافته، وما كان يتيسر له الاجتماع به حتى قرأ هذا الدعاء، فتيسر أمره بسرعة، وقضى له سيدنا عثمان بن عفان حاجته.

ج- أن التوسل بالنبي جائز في حالة حياته وبعد مماته في حضرته وفي غيبته، فبطل قول ابن تيمية: لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر، وكل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط.



الفصل الرابع

في إزالة عدة شبهات لمانعي التوسل بالأنبياء والأولياء

من الأدلة على جواز الاستغاثة بغير الله:

أخرج الحافظ ابن حجر في الأمالي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لَهِ مَلَائِكَةَ سِوَى الْحَفِظَةِ يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ فَإِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ عَرَجَةٌ فِي فَلَائِهِ فَلْيُنَادِ يَا عِبَادَ اللَّهِ أَعِينُوا»، رواه الطبراني، وقال الحافظ الهيثمي: رجاله ثقات.

الله تعالى يُسمع هؤلاء الملائكة الذين وكلوا بأن يكتبوا ما يسقط من ورق الشجر في البرية نداء هذا الشخص ولو كان على مسافة بعيدة منهم. فالملك الحي الحاضر إذا استغيث به: يا مَلِكَنَا ظَلَمْنِي فلان، أنقذني، يا مَلِكَنَا: أصابني جماعة، فأنقذني، هذا الملك لا يُغيث إلا بإذن الله. كذلك هؤلاء الملائكة لا يُغيثون إلا بإذن الله. كذلك الأولياء والأنبياء إذا استغاث بهم إنسان بعد وفاتهم فإنه يغيثونه بإذن الله. فإذا هؤلاء سبب، وكلا الأمرين جائز. وقصة وامعتصماه مشهورة معروفة.

وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على جواز الاستغاثة بغير الله؛ لأن فيه أن النبي ﷺ عَلَّمَنَا أن نقول إذا أصاب أحدنا مشكلة في فلاة من الأرض أي برية: «يا عباد الله أعينوا»، فإن هذا ينفعه. وهذا الحديث حسنه الحافظ ابن حجر. أما المعاند فيقول: قول أعني يا رسول الله شرك إن كان في غيابه أو بعد وفاته، فعنده لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر. يقول إمام التكفيريين وأتباعه: لم تستغيث بغير الله تعالى؟ الله تعالى لا يحتاج إلى واسطة.

فيقال في الردّ عليهم مباشرةً :

كذلك المَلِكُ، الله تعالى لا يحتاج إليه ليغيثك، وكذلك الملائكةُ، الله لا يحتاج إليهم ليغيثوك. فما أبعد نفاة التوسل عن الحقّ؛ حيث إنهم وضعوا شروطاً لصحة الاستغاثة والاستعانة بغير الله ليست في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، وكل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط. هذا والعجب من ابن تيمية؛ إذ ثبت عنه أمران متناقضان:

قوله المشهور عنه المذكور في أكثر كتبه تحريم الاستغاثة بغير الحيّ الحاضر.

لكنه صرّح في كتابه الكلم الطيب باستحسان أن يقول من أصابه خدرٌ في رجله «يا محمد»^(١). وهذا الكتاب - الكلم الطيب - ثابت أنه من تأليفه، فما أثبتته في هذا الكتاب هو موافق لعمَل المسلمين السلف والخلف. وأما مشبهه العصر - الذين هم أتباعُ إمام الفرقة الضالة - مجمعون على أن قول يا محمد شركٌ وكُفْرٌ. وهذا الكتاب الذي عقد فيه الحراني فصلاً لاستحباب أن يقول من أصابه الخدر يا محمد ثابت عنه، وتوجد منه نسخٌ خطيةٌ ونسخٌ مطبوعةٌ. وقد اعترف بصحة نسبة هذا الكتاب لابن تيمية ناصر الدين الألباني، وهذا مذكورٌ

(١) وقد ثبت أن أصحاب رسول الله ﷺ - الذين قاتلوا مسيلمة الكذاب - كان شعارهم في الحرب: «يا محمداه». (انظر تاريخ الطبري (٢/ ٢٨١)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٣٦٤)، البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٤٣) بل قال ابن كثير بعد أن أورده: «وهذا إسناد جيد» أي صحيح وذكر ذلك غيره، وفي تاريخ الطبري (٣/ ٣٣٦) ما نصه: «قال أبو مخنف حدثني أبو زهير العسبي عن مرة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة، ولما مررت بحسين وأهله وولده صحن ولطمن وجوههن، إلى أن قال: فما نسبتُ من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء مرملٌ بالدماء مقطّع الأعضاء، يا محمداه وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا، قال: فأبكت والله كل عدو وصديق».

وفي صحيفة ٦٤٨ منه ما نصه: «وذكر ضمرة بن ربيعة عن أبي شاذب أن عمال الحجاج كتبوا إليه: إن الخراج قد انكسر وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج، فخرج الناس فعسكروا فجعلوا يبكون وينادون: «يا محمداه يا محمداه»، وجعلوا لا يدرون أين يذهبون، فجعل قراء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنعين، فيسكون لما يسمعون منهم ويرون».

في مقدمة النسخة التي طبعها تلميذ الألباني زهير الشاويش.

فوقعوا في حيرة لما أُوردَ عليهم هذا السؤال: «هذا ابن تيمية قال في كتابه هذا فصل في الرجل إذا خدرت، وأوردَ أن عبدَ الله بنَ عمرَ خدرت رِجله، فقيل له اذكرُ أحب الناسِ إليك، فقال: يا محمد، فاستقامت رِجله كأنه نَشِط من عقال».

قيل لهم: «هذا فيه استحبابُ الكفرِ والشركِ عندكم، وقائل هذا زعيمكم الذي أخذتم منه أكثر عقائدكم، فماذا تقولون: كَفَر لهذا أم لم يكفر؟

١- فإن قلت: كَفَر لهذا، وأنتم تسمونه شيخَ الإسلام، فهذا تناقضٌ، تكفرونه وتسمونه شيخَ الإسلام؟!!

٢- وإن قلت: لم يكفر، فقد نقضتُم عقيدتكم، وتكونون قد قلت: قول يا رسول الله استغاثة جائزة به بعد وفاته.

٣- وإن لم تكفروه جهارًا، فإنكم معتقدون أن قوله هذا شركٌ، فلماذا لا تبرؤون منه إن كنتم على ما كنتم عليه؟!!

والآن قد وضح لكم الأمر، لكنكم لا تزالون تخالفونه فيما وافق فيه الحق، وتتبعونه فيما ضلَّ وزاغ فيه.

وهل لكم مستندٌ لتحريمِ التوسلِ بغيرِ الحي الحاضرِ سوى ما أخذتم من كتبه، وزعمتم أن ذلك حجة؟! وهو أمرٌ انفرد به إمامُ الفرقة الضالة الحراني من بين الناس، لم يسبقه أحدٌ في تحريمِ التوسلِ بالنبي والولي بعد الوفاة أو في غير حضرته في الحياة، وظهر وثبت أنكم لستم مع السلفِ ولا مع الخلفِ.

إن السلف تشهدُ كتبهم بأنهم كانوا يتبركون بالأنبياء والأولياء، وبالتوسلِ بهم، وبزيارة قبورهم، فهم الذين ذكروا في مؤلفاتهم هذا الأثر من قول عبد الله بن عمر لما خدرت رِجله: يا محمد. فقد كان مقررًا عند أكابرهم كإبراهيم الحربي صاحب أحمد بن حنبل، إذ ذكره في كتابه غريب الحديث. والبخاري كذلك في

كتابه الأدب المفرد، وهذا الأثر له أكثر من إسنادين أحدهما فيه راوٍ ضعيف. ولو فرض أنه ليس له إسنادٌ صحيحٌ، لكن هؤلاء أوردوه في كتبهم مستحسنين ليعمل الناس به، فماذا تحكمون عليهم؟ هل تحكمون عليهم بالشرك والكفر لأنهم تركوا للناس ما فيه شرك في تأليفهم؟! وكذلك علماء الخلف من حفاظ الحديث^(١) ذكروا هذا في مؤلفاتهم، فأنتم تكونون قد كفرتم السلف والخلف، فمن المسلم على زعمكم إن كان السلف والخلف كفارًا على موجب كلامكم؟! بل نقول لكم السلف والخلف أصحاب العقيدة الحققة هم المسلمون وأنتم المتدعة الضلال وهذا واضح وضوح الشمس رابعة النهار.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل الذي تعتزون به أجازَ تقبيل قبر النبي ومَسَّهُ للتبرك^(٢). نعم: [من الوافر]

ومن يك ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ يجدُ مُرَّابه الماءَ الزُّلالًا!!



(١) ومن روى هذا الحديث: الحافظ النووي في الأذكار، وابن الجزري في الحصن الحصين وفي عدة الحصن الحصين، وابن السني في عمل اليوم والليلة، والمنذري في الترغيب والترهيب، والمزي في تهذيب الكمال، بل تمدح بروايته عاليًا، وابن الجعد في مسنده، والشوكاني في تحفة الذاكرين، وغيرهم كثير.

(٢) العلل ومعرفة الرجال (٢/٤٩٢).

A decorative frame with intricate Islamic calligraphy. The frame is composed of several layers: an outermost blue and white scrollwork border, followed by a blue and white circular border with a scalloped edge, and a central orange and white circular border with a scalloped edge. The text is centered within the frame.

الباب الثالث
في التبرك
بالأولياء والصالحين
وأثارهم

الفصل الأول

في بيان مشروعية التبرك بأثار الصالحين من نصوص العلماء ونقولهم

لم يقتصر عمل المسلمين على التبرك بقبر النبي ﷺ وءاثاره بعد موته، بل كان ديدنهم هو التبرك بقبور الأنبياء والصحابة والتابعين وصلحاء الأمة وءاثارهم، والاستشفاء والاستسقاء بها أيضاً، ومن ذلك :

ما قاله الحافظ ولي الدين العراقي^(١) في حديث أبي هريرة أن موسى عليه السلام قال: «رب أدني من الأرض المقدسة رمية بحجر»، فلما جاء أجله قربته الله إلى الأرض المقدسة رمية بحجر، وجعل وفاته بمكان قريب من الأرض المقدسة، والأرض المقدسة تبدأ من الجبال التي بعد أريحا إلى بيت المقدس، وقبر موسى عليه السلام قبل جبل القدس، يوجد هناك بأريحا مقام كبير له أربعة أبواب، باب شرقي وباب غربي وباب شمالي وباب جنوبي بناه المسلمون يأوي إليه الزوار. وأن النبي ﷺ قال: «والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر» فيه استحباب معرفة قبور الصالحين لزيارتها والقيام بحقها».

وقال الحافظ الضياء: حدثني سالم التل، قال: «ما رأيت استجابة الدعاء أسرع منها عند هذا القبر». اهـ

وروى الحاكم في المستدرک^(٢): عن علي بن الحسين عن أبيه أن فاطمة بنت

(١) طرح التثريب (٣/٣٠٣).

(٢) (١/٣٧٧)

النبى صلى الله عليه وآله وسلم، كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة، فتصلي وتبكي عنده. هذا الحديث رواه عن آخرهم ثقات.

وقال الإمام المفسر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره^(١): «وخامسها أمره ﷺ أن يستقوا من بئر الناقة دليل على التبرك بأثار الأنبياء والصالحين، وإن تقادمت الأعصار وخفيت آثارهم».

وقال العلامة ابن جزى الكلبي المالكي في القوانين الفقهية^(٢): «ومن المواضع التي ينبغي قصدها تبركاً قبر إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، وهما في الحجر، وقبر آدم عليه السلام في أبي قبيس، والغار المذكور في القراءان وهو في جبل ثور، والغار الذي في جبل حراء حيث ابتداء نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وزيارة قبور من بمكة والمدينة من الصحابة والتابعين والأئمة».

قال الحافظ النووي: «ويستسقى بالخيار من أقرباء رسول الله ﷺ، لأن عمر استسقى بالعباس، وقال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا توصلنا إليك بنيينا فتسقيننا، وإنا نتوسل بعم نبينا فاستقنا، فيسقون».

ويستسقى بأهل الصلاح؛ لما روي أن معاوية استسقى بيزيد بن الأسود فقال^(٣): «اللهم إنا نستسقي بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستسقي بيزيد بن الأسود. يا يزيد، ارفع يديك إلى الله تعالى»، فرفع يديه ورفع الناس أيديهم، فثارت سحابة من المغرب كأنها ترس، وهب لها ريح، فسقوا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم».

ولقد استدل الحافظ ابن حجر العسقلاني بحادثة استسقاء عمر بالعباس،

(١) تفسير القرطبي (٤٧/١٠).

(٢) القوانين الفقهية (٩٦/١).

(٣) المجموع شرح المهذب للإمام النووي: ٦٨/٥ كتاب الصلاة، باب صلاة الاستسقاء، وقال ابن حجر: أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه بسند صحيح، ورواه أبو القاسم اللالكائي في السنة في كرامات الأولياء.

على جواز التبرك والاستشفاع ببعض الأخيار فقال: «ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة^(١)».

وقال الحافظ في موضع آخر من الفتح: «وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي أو وطئها، ويستفاد منه أن من دعا من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أمن الفتنة».

وفي لفظ ابن الأثير: ولما سقى الناس طفقوا يتمسحون بالعباس ويقولون: «هنيئاً لك ساقى الحرمين»، وكان الصحابة يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه.

قال السمهودي^(٢): «حكى البرهان بن فرحون، عن الإمام العالم أبي محمد عبد السلام بن إبراهيم بن مصال الحاحاني قال: نقلت من كتاب الشيخ العالم أبي محمد صالح الهرمزي قال: قال صالح بن عبد الحلیم: سمعت عبد السلام بن يزيد الصنهاجي يقول: سألت ابن بكون عن تراب المقابر الذي كان الناس يحملونه للتبرك، هل يجوز أو يمنع؟ فقال: هو جائز، وما زال الناس يتبركون بقبور العلماء والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان».

قال الحافظ اللغوي مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين^(٣)، والنووي في روضة الطالبين^(٤) ما نصه: «وكان صفوان بن سليم المدني أبو عبد الله، وقيل الحارث القرشي الزهري الفقيه العابد، وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرحمن ابن عوف، قال أحمد: هو يستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره، وقال

(١) فتح الباري: (٣٩٩/٢) وكذلك ابن حبان فهم هذا فقال (٤/٢٢٨): ذكر ما يستحب للإمام إذا أراد الاستسقاء أن يستسقى الله بالصالحين رجاء استجابة الدعاء لذلك، وكذلك البغوي في شرح السنة (٢/٦٥٤).

(٢) وفاء الوفا (١/٦٩).

(٣) انظر إتحاف السادة المتقين (١٠/١٣٠).

(٤) روضة الطالبين (١/٢٤٧).

مرة: هو ثقة من خيار عباد الله الصالحين».

ونقل ذلك أيضًا السيوطي في طبقات الحفاظ^(١) فقال: «وذكر - أي صفوان بن سليم - عند أحمد فقال: هذا رجل يستسقى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره».

وروى^(٢) عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أحمد بن حنبل قال: «قال ابن عيينة: رجلا صالحان يستسقى بهما ابن عجلان ويزيد بن يزيد بن جابر».

قال الإمام شمس الدين محمد بن محمد الجزري في عدة الحصن الحصين^(٣)، عند ذكره أماكن إجابة الدعاء: «وعند الحجرات الثلاث، وعند قبور الأنبياء، وجرّبت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين».

وروي عن المحب الطبري في عمدة القاري^(٤): «ويمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان، جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالى، فإنه إن لم يرد فيه خبر بالندب لم يرد بالكرهية، قال: وقد رأيت في بعض تعاليق جدي محمد بن أبي بكر عن الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الصيف، أن بعضهم كان إذا رأى المصاحف قبلها، وإذا رأى أجزاء الحديث قبلها، وإذا رأى قبور الصالحين قبلها. قال: ولا يبعد هذا، والله أعلم، في كل ما فيه تعظيم لله تعالى».

قال النووي^(٥): «ولا بأس بتقبيل وجه الميت الصالح للتبرك».

وقال ابن الأثير في شرح عدة الحصن الحصين^(٦) عند ذكر أماكن الإجابة: «وورد مجرباً في داخل البيت وعند قبور الأنبياء عليهم السلام، ولا يصح قبر نبي

(١) طبقات الحفاظ (ص/ ٦١).

(٢) العلل ومعرفة الرجال (١/ ٨١). وكلاهما ماتا قبل ولادة الإمام أحمد بن حنبل.

(٣) عدة الحصن الحصين (ص/ ٢٠).

(٤) عمدة القاري (٩/ ١٤١).

(٥) الأذكار (٢٣٦).

(٦) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للصنعاني مزوجاً (٤٥).

بعينه سوى قبر نبينا ﷺ بالإجماع فقط، وقبر إبراهيم عليه السلام داخل السور من غير تعيين، وجرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة».

وفي الإعلام بفوائد عمدة الأحكام^(١) لابن الملقن ما نصه: «أما الدعاء عند قبره فلم يزل السلف والخلف يفعلونه، ويتوسلون إلى الله بالدعاء هناك وبه ﷺ عند قبره وغيره من البقاع من غير منع». اهـ

وقال الذهبي^(٢): «قلت والدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء وفي سائر البقاع، لكن سبب الإجابة حضور الداعي وخشوعه وابتهاله، وبلا ريب في البقعة المباركة، وفي المسجد، وفي السحر، ونحو ذلك يتحصل ذلك للداعي كثيراً، وكل مضطر فدعاؤه مجاب».

ذكر العيني^(٣) عن شيخه زين الدين العراقي شيخ الحفاظ ومقدمهم في عصره أنه قال: «وأما تقبيل الأماكن الشريفة على قصد التبرك وكذلك تقبيل أيدي الصالحين... فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية». وذكره الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي في دليل الطالب لنيل المطالب^(٤).

قال الغزالي^(٥): «زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار، وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار، وقد كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد».

ذكر الزهاوي في كتابه الفجر الصادق: قال الغزالي: «من يُستمد منه في حياته يُستمد منه بعد مماته».

(١) (٥١٥/٤ - ٥١٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧٧/١٧).

(٣) عمدة القاري (٢٤١/٩).

(٤) دليل الطالب لنيل المطالب (٢٤١).

(٥) إحياء علوم الدين (٥٢١/٤).

وفي كتاب المعيار المغرب^(١) والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيى الوائشريسي المالكي ما نصه: «وسئل عمن نذر زيارة قبر رجل صالح أو حي فأجاب: يلزمه ما نذر وإن أعمل فيه المطي. وقال ابن عبد البر: كل عبادة أو زيارة أو رباط أو غير ذلك من الطاعة غير الصلاة فيلزمه الإتيان إليه، وحديث: «لا تعمل المطي» مخصوص بالصلاة، وأما زيارة الأحياء من الإخوان والمشixe، ونذر ذلك، والرباط ونحوه فلا خلاف في ذلك، والسنة تهدي إليه من زيارة الأخ في الله، والرباط في الأماكن التي يرباط بها، وتوقف بعض الناس في زيارة القبور وءاثار الصالحين، ولا يتوقف في ذلك لأنه من العبادات غير الصلاة، ولأنه من باب الزيارة والتذكير لقوله ﷺ «**زوروا القبور فإنها تذكركم الموت**»، وكان ﷺ يأتي حراء وهو بمكة ويأتي قباء وهو بالمدينة، والخير في اتباعه ﷺ واقتفاء ءآثاره قولاً وفعلاً لا سيما في ما ظهرت الطاعة فيه».

وفي المدخل^(٢) لابن الحاج المالكي: «وما زال الناس من العلماء والأكابر كابراً عن كابر مشرقاً ومغرباً يتبركون بزيارة قبورهم - أي الصالحين - ويجدون بركة ذلك حساً ومعنى».

وفي فتح العلام^(٣) للجرداني: «وبالجملة فزيارة الوالدين ينبغي شد الرحال إليها، وكذا زيارة الأنبياء والشهداء والأولياء، فتبين الرحلة لذلك، ثم قال: قال صاحب المشارق: ولا مرية حينئذ أن تقبيل القبر الشريف لم يكن إلا للتبرك فهو أولى من جواز ذلك لقبور الأولياء عند قصد التبرك، لا سيما وأن قبره الشريف روضة من رياض الجنة». اهـ

(١) مرقة المفاتيح (١/٢) (٨١).

(٢) انظر المدخل (١/٢٥٥).

(٣) انظر فتح العلام بشرح مرشد الأنام (٢/٩٠٣ - ٩٠٤).

وقال السيوطي في الديباج^(١) بشرح مسلم بن الحجاج عند حديث «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة»: قال القاضي معناه أن الإيمان أولاً وءاخراً بهذه الصفة لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وضح إسلامه في المدينة أتى مهاجراً متوطناً وإما متشوقاً إلى رؤية رسول الله ﷺ ومتعلماً منه ومتقرباً ثم بعد هذا في زمن الخلفاء كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والافتداء بجمهور الصحابة ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة المدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم وكان كل منهم ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها ثم بعد ذلك في كل وقت وإلى زماننا لزيارة قبره الشريف، والتبرك بآثاره، ومشاهده، وءاثار الصحابة». اهـ

قال الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي^(٢) ما نصه: «ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من تُرجى بركته».

وقال أبو العباس الناصري^(٣): «قلت مسألة زيارة قبور الأنبياء والأولياء مشهورة في كتب الأئمة، وهي من القرب المرغوب فيها عند الجمهور، ومنعها قوم من الحنابلة، وشدد تقي الدين بن تيمية منهم فيها محتجاً بقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» وهو عند الجمهور مؤول بأن المعنى لا تشد الرحال لصلاة في مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد، وقد بسط القول في هذا صاحب المواهب اللدنية، والقول الفصل أن التبرك بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي الله عنهم وزيارة مشاهدهم، من الأمر المعروف عند أمة محمد ﷺ المجمع عليه خلفاً وسلفاً لا يسع إنكاره، غير أن للزيارة آداباً تجب المحافظة عليها وشروطاً لا بد من مراعاتها والوقوف لديها».

(١) الديباج (١/١٦٦).

(٢) غاية المنتهى (١/٢٥٩ - ٢٦٠).

(٣) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٣/١٢٢ - ١٢٣).



وفي كتاب التبرك بال صالحين وءاثارهم^(١): «التبرك بالماء: النوع الآخر من أنواع التبرك وهو التوسل بما يتساقط من ماء وضوء الصالحين، أو بما يغسلون به بعض أطرافهم، أو بما يرقون ويكتبون عليه من سائل، أو بما ينفثون عليه من مشروب أو ممسوح تأسيًا منهم في ذلك بما كان يفعله الصحابة مع رسول الله ﷺ».

وفي كتاب حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل للشيخ عبد القادر الفاكهي: «وينبغي أيضًا زيارة الشهداء والصالحين بوادي بدر وغيره مع الدعاء لهم والتوسل بهم لتعود بركاتهم عليه في سفره، فيأمن وعثاءه، وينال بغية وطره».

وقال الحافظ ولي الدين العراقي في فتاويه^(٢) مخطوط: «مسألة: سئلت عمن يزور الصالحين من الموتى فيقول عند قبر الواحد منهم: يا سيدي فلان أنا مستجير أو متوسل بك أن يحصل لي كذا وكذا (...)، أو يقول: يا رب أسألك بمنزلة هذا الرجل أو بسره أو بعمله أن يفعل لي كذا وكذا، هل هذه العبارات حسنة أو غير حسنة أو بعضها قبيح؟ وما كانت السلف تقول عند زيارة قبور الصالحين؟ وهل إذا قال الشخص عند قبر الصالح: يا سيدي متى حصل لي كذا وكذا أجيء إليك بكذا وكذا، هل يلزم الوفاء به أو لا؟»

فأجبت: زيارة الرجال للقبور مندوب إليها، فقبور الصالحين أكد في الاستحباب وينبغي الدعاء عندها لأن لتلك البقع فضلًا وشرفًا بوجود ذلك الصالح فيها، والدعاء في البقاع الشريفة أقرب إلى الإجابة، وقد اشتهر عند أهل بغداد إجابة الدعاء عند قبر معروف الكرخي وأنه الترياق المجرب، واشتهر ذلك في قبور كثير من الصالحين، وأيضًا فإن الداعي عقب عبادة وهو زيارته ذلك القبر، وعقب قراءة إن كان قد قرأ شيئًا من القرآن كما هو الغالب وذلك أقرب إلى الإجابة، ولا امتناع في التوسل بالصالحين، فإنه ورد التوسل بالنبي

(١) التبرك بال صالحين وءاثارهم (ص ٦٠).

(٢) (ق/١٠٥).

وَصَلِحَاءِ أُمَّتِهِ حَظٌّ مِمَّا لَمْ يَعُدْ مِنْ خِصَائِصِهِ^(١) أُمَّتِهِ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ، وَهِيَ بَرَكَةٌ نَمَتَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ تَوَسَّلَ عَمْرٌ بِالْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ مَوْتُ ذَلِكَ الصَّالِحِ لِأَنَّ الْمَوْتَ إِنَّمَا طَرَأَ عَلَى الْجَسَدِ وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَّةٌ، وَقَدْ وَرَدَ مَا يَدُلُّ عَلَى اتِّصَالِهَا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كَيْفَ يَشَاؤُهُ اللَّهُ.

إِلَى أَنْ قَالَ: وَقَوْلُهُ: مَتَى حَصَلَ لِي كَذَا أَجِئُ إِلَيْكَ بِكَذَا إِنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ لَفْظُ التَّزَامِ وَلَا نَذَرَ لَمْ يَلْزِمْ بِهِ شَيْءٌ، وَإِنْ اقْتَرِنْ بِذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ التَّصَدَّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ الْمَجَاوِرِينَ مِنْ^(٢) أَوْ عِمَارَةٍ، مَشْهَدٌ حَيْثُ احْتِجَّ لِذَلِكَ لَزِمَ الْوَفَاءَ بِهِ، وَإِنْ أَرَادَ تَمْلِيكَهُ لِنَفْسِ الْمَيِّتِ فَهُوَ لَاغٌ لَا يَجِبُ لَهُ شَيْءٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي فَتَاوَى شَمْسِ الدِّينِ الرَّمْلِيِّ بِهَامِشِ الْفَتَاوَى الْكُبْرَى لِابْنِ حَجَرَ الْهَيْتَمِيِّ^(٣): «سُئِلَ عَمَّا يَقَعُ مِنَ الْعَامَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ: يَا شَيْخَ فُلَانٍ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْاسْتِغَاثَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَهَلْ ذَلِكَ جَائِزٌ أَمْ لَا؟ وَهَلْ لِلرُّسُلِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَشَائِخِ إِغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ؟ وَمَاذَا يَرْجَحُ ذَلِكَ؟

فَأَجَابَ: الْاسْتِغَاثَةُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ جَائِزَةٌ، وَلِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ إِغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، لِأَنَّ مَعْجِزَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَكِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ لَا تَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِمْ، أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَلَأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يَصِلُونَ وَيُحْجُونَ^(٤) كَمَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ، وَتَكُونُ الْإِغَاثَةُ مِنْهُمْ مَعْجِزَةٌ لَهُمْ، وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَهِيَ كِرَامَةٌ لَهُمْ فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ عَلَى أَنَّهُ يَقَعُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ بِقَصْدٍ وَبِغَيْرِ قَصْدٍ أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ يَجْرِيهَا اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِهِمْ.

فَيَعْلَمُ مِمَّا مَرَّ أَنَّ مَصِيبَةَ هَؤُلَاءِ الْمَكْفُرِينَ لِلْمُتَوَسِّلِينَ وَالْمُسْتِغِيثِينَ بِالْأَنْبِيَاءِ

(١) سقط من المخطوطة.

(٢) سقط من المخطوطة.

(٣) (٣٨٢/٤)

(٤) قوله ويحجون لم يثبت في السنة.

والأولياء، بعد موتهم وفي حياتهم وفي غير حضورهم، سوء فهمهم للآيات والأحاديث التي يستدلون بها على ذلك، ظنوا أن معنى العبادة هو النداء والاستعانة والخوف والرجاء والاستغاثة، فهذه في ظنهم هي العبادة التي من صرفها لغير الله يكون مشركاً، وكذلك ظنوا أن من طلب من غير الله ما لم تجر به العادة صار مشركاً.

كيف ساغ لهم ذلك وقد ثبت أن الحارث بن حسان البكري رضي الله عنه قال: «أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد» الحديث المشهور الذي رواه الإمام أحمد في مسنده^(١) وحسنه الحافظ ابن حجر، والدليل فيه أن الرسول لم يقل للحارث أشركت لقولك «ورسوله» حيث استعدت بي، وقد جمع الحارث الاستعاذة بالرسول مع الاستعاذة بالله وذلك لأن الله هو المستعاذ الحقيقي وأما الرسول فمستعاذ به على معنى أنه سبب.

وثبت أيضاً^(٢) أن ابن عباس روى عن النبي أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ سِوَى الْحَفِظَةِ سِيَاحِينَ يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ عَرَجَةٌ بِأَرْضِ فَلَاةِ فِلِينَادٍ: أَعِينُوا عِبَادَ اللَّهِ»، حسنه الحافظ ابن حجر في الأمالي مرفوعاً، وقال الحافظ الهيثمي: ورجاله ثقات، وأخرجه البيهقي في الشعب موقوفاً.

وروى البيهقي أيضاً في الشعب^(٣) أن الإمام أحمد قال: «حججت خمس حجج اثنتين راكباً وثلاثاً ماشياً، أو ثلاثاً راكباً واثنتين ماشياً، فضلت الطريق في حجة وكنت ماشياً فجعلت أقول: يا عباد الله دلوني على الطريق، قال: فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق، فهل يقول منصف ذو لب أن فعل الإمام أحمد هذا ظاهرة شركية لأنه طلب من غير الله تعالى.

فلما ساء فهمهم جعلوا هذه الأشياء عبادة لغير الله لمجرد ألفاظها، فكفروا

(١) مسند أحمد (٣/٤٨٢).

(٢) كشف الأستار (٤/٣٤)، شعب الإيمان (١/٤٤٥)، مجمع الزوائد (١٠/١٣٢).

(٣) شعب الإيمان (٦/١٢٨).

المسلمين من أجل أمر اتفق السلف والخلف على جوازه، وذلك دليل على أنهم لم يفهموا معنى العبادة الواردة في القرآن على حسب مفهوم اللغة العربية، وقد بينها علماء اللغة بياناً لا يبقى معه لبس، وقد مرّ تعريفهم للعبادة بأنها غاية التذلل، وكيف حكموا بأن ما لم تجربه العادة شرك، وجعلوا ذلك قاعدة، وقد طلب بعض الصحابة وهو ربيعة بن كعب الأسلمي من رسول الله أن يكون رفيقه في الجنة، فلم ينكر عليه بل قال له من باب التواضع: «أو غير ذلك»، فقال الصحابي: هو ذاك، فقال له: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»، رواه مسلم^(١).

وقد صحح ابن حبان والحاكم والحافظ الهيثمي^(٢) أن امرأة من بني إسرائيل سألت موسى أن يعطيها حكمها فقال: ما حكمك؟ قالت: أن أكون معك في الجنة، فأوحى الله إليه أن أعطاها حكمها.

ولفظ الحديث كما في المطالب العالية^(٣) عن أبي موسى قال: «أتى النبي ﷺ أعرابي، فأكرمه فقال له: «ائتنا»، فأتاه فقال: «سل حاجتك»، فقال: ناقة نركبها وأعنز يجلبها أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟ فسأله فقال: «إن موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلّوا الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال علماءهم: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا: عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها، فأتته، فقال: دُلّوني على قبر يوسف، قالت: حتى تعطيني حكمي، قال: ما حكمك؟ قالت: أن أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطاها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء، فقالت: أنضبوا هذا الماء، فأنضبوه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة: باب فضل السجود والحث عليه.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه انظر الإحسان (٥٣/٢)، والحاكم في المستدرک (٥٧١/٢ - ٥٧٢)، وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٠/١٠ - ١٧١) وقال: «رواه الطبراني، ورواه أبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح».

(٣) انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثانية لابن حجر العسقلاني (٢٧٣/٣ - ٢٧٤).

قالت: احفروا، فحفروا واستخرجوا عظام يوسف، فلما أقلّوها إلى الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار^(١)».

ولا ينافي هذا حياة الأنبياء في قبورهم، لأن هذا من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل وهو من أنواع المجاز المشهورة، يعرف بـ: المجاز المرسل، كما قال ابن قيس الرقيات في طلحة الطلحات قال:^(٢) [من الخفيف]

رحم الله أعظمًا دفنوها بسجستان طلحة الطلحات
ومعلوم أن ابن قيس الرقيات لا يقصد أنهم دفنوا الأعظم المتجرد عن الجلد واللحم، ومن الشائع المشهور عند العرب قولهم وجه فلان وجه خير وهم يقصدون بالوجه ذاته، فتبين أن ذكر العظام في قصة يوسف المراد به جملة الجسد فلا ينافي معناه حديث: **«الأنبياء أحياء في قبورهم»**.

قال بعضهم: ومن الآيات القرآنية الدالة على الطلب من المخلوق ما لم تجر

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٣٦/١٣ - ٢٣٧). قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٢/ ٤٠):
ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وهذا الذي حملني على سياقه.

(٢) في شرح القاموس (١٩٢/٢) ما نصه: «طَلْحَةُ الطَّلْحَاتِ فِي بَعْضِ حَوَاشِي نَسْخِ الصَّحَاحِ بِخَطِ مَنْ يُوَثِّقُ بِهِ الصُّوَابَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ ذَكَرَ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ فِي طَلْحَةِ الطَّلْحَاتِ لِأَنَّ أُمَّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، زَادَ الْأَزْهَرِيُّ: ابْنُ عَبْدِ مَنْفَرٍ، قَالَ: وَأَخُوهَا أَيْضًا طَلْحَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَدْ تَكَنَّفَهُ هَؤُلَاءِ الطَّلْحَاتِ كَمَا تَرَى، وَمِثْلُهُ فِي شَرْحِ أَبِييَاتِ الْإِيضَاحِ. وَفِي تَارِيخِ وِلَاةِ خِرَاسَانَ لِأَبِي الْحُسَيْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ السَّلَامِيِّ سَمِيَ بِهِ لِأَنَّ أُمَّهُ طَلْحَةُ بِنْتُ أَبِي طَلْحَةَ، وَفِي الرِّيَاضِ النَّضْرَةِ أَنَّ أُمَّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَادَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ الْخَضْرَمِيِّ أختِ الْعَلَاءِ بْنِ الْخَضْرَمِيِّ، أَسْلَمَتْ، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: قَبِلَ إِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ مَائَةِ عَرَبِيٍّ وَعَرَبِيَّةٍ بِالْمَهْرِ وَالْعَطَاءِ الْوَاسِعِينَ فَوُلِدَ لِكُلِّ مِنْهُمْ وَلَدٌ فَسَمِيَ طَلْحَةَ فَأَضْيَفَ إِلَيْهِمْ. وَفِي شَوَاهِدِ الرُّضِيِّ لِأَنَّهُ فَاقَ فِي الْجُودِ خَمْسَةَ أَجْوَادِ اسْمِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ طَلْحَةَ وَهِيَ طَلْحَةُ الْفِيَاضِ، وَطَلْحَةُ الْجُودِ، وَطَلْحَةُ الدَّرَاهِمِ، وَطَلْحَةُ النَّدَى، وَقِيلَ كَانَ فِي أَجْدَادِهِ جَمَاعَةٌ اسْمُ كُلِّ طَلْحَةَ كَذَا فِي شَرْحِ الْمَفْصَلِ لِابْنِ الْحَاجِبِ، وَفِي كِتَابِ الْغُرَرِ لِإِبْرَاهِيمَ الْوُطَوَاظِ الطَّلْحَاتِ خَمْسَةٌ وَهِيَ طَلْحَةُ بْنُ عَبِيدَةَ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ وَهِيَ طَلْحَةُ الْفِيَاضِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّمِيمِيِّ وَهِيَ طَلْحَةُ الْجُودِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفِ الزَّهْرِيِّ ابْنِ أَخِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَهِيَ طَلْحَةُ النَّدَى، وَطَلْحَةُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهِيَ طَلْحَةُ الْخَيْرِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَيُسَمَّى طَلْحَةَ الدَّرَاهِمِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَاعِيِّ وَهِيَ سَادِسُهُمُ الْمَشْهُورُ بِطَلْحَةِ الطَّلْحَاتِ، وَمِثْلُهُ كَلَامُ ابْنِ بَرِيٍّ وَقَبْرُ طَلْحَةَ النَّدَى بِالْمَدِينَةِ وَقَبْرُ طَلْحَةَ الطَّلْحَاتِ بِسَجِسْتَانَ».

به العادة إذا كان في مقام الكرامة للأولياء، قوله تعالى عن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣٨) (سورة النمل) فطلب من الملأ وهم الجن والإنس وفيهم مردة الشياطين، فأتى به الذي عنده علم من الكتاب ولم يتخلخل، وقد أجمع أهل العلم أن هذا نوع من الكرامة، والله تعالى ذكره في كتابه العزيز في مقام أظهر فيه فضل ذلك الرجل الصالح، ولم يعتب على سليمان ولم يقل له لم دعوت غيري وأنا أقرب إليك من جبل الوريد^(١)، وذلك لأن النبي سليمان عليه الصلاة والسلام يعلم أن ذلك من التماس الأسباب، وهو من المشروع الذي أمر الله تعالى به، وكذلك الطلب من الرسول ﷺ أو من شهداء وصلحاء أمته إنما هو نوع من الكرامة والمسبب والفاعل الحقيقي في ذلك هو الله تعالى، وكرامات الأولياء داخلة في معجزات الأنبياء وذلك بسبب متابعتهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وإنما يكون شركاً طلب ما انفرد به الله تعالى، كطلب خلق شيء أي إحدائه من العدم، وطلب مغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ (٣) (سورة فاطر) وقال ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (١٣٥) (سورة آل عمران). وقد قال جبريل لمريم: ﴿لَا هَبْ لَكَ غُلْمًا زَكِيًّا﴾ (١١) (سورة مريم) فواهب الغلام الذي هو عيسى لمريم في الحقيقة هو الله، ولكن الله جعل جبريل سبباً، فأضاف جبريل هذه الهبة إلى نفسه. وقصة جبريل هذه يعلم منها عظم شطط هؤلاء في تكفير المتوسلين والمستغيثين لمجرد قول أحدهم: يا رسول الله ضاقت حيلتي أغثنى يا رسول الله، وما شابه ذلك من العبارات التي يطلقونها ولا يعنون بها أن رسول الله يخلق أو أنه يستحق العبادة التي هي غاية التذلل، بل يعنون أنه سبب لنيل المقصود والبركة من الله، ولا يفهمون من الوساطة إلا معنى السببية، وإن أطلق بعضهم في ذلك لفظ الوساطة فهذا ما يعنونونه. وقد أجرى الله العادة بربط المسببات بالأسباب، فالله تبارك وتعالى كان قادراً على أن يعطي مريم ذلك

(١) أي أن الله عالم بحال نبي الله سليمان عليه السلام.

الغلام الزكيّ من دون أن يكون لجبريل سببياً في ذلك.

فكيف يسوغ تكفير المسلم لمجرد أنه قال: إن النبي والولي واسطة بمعنى السبب، إنما الشرك هو إثبات الواسطة بمعنى أن شيئاً يعين الله أو أن الله سبحانه لا يستطيع أن يحصل ذلك الشيء استقلالاً إلا بواسطة النبي أو الولي، فهذا هو الشرك لو كانوا يفهمون.

ومن التبرك بالصالحين الدفن في المواضع الفاضلة

قال ابن قدامة الحنبلي في المغني والكافي^(١): «ويستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناله بركتهم وكذلك في البقاع الشريفة، وقد روى البخاري ومسلم بإسنادهما أن موسى عليه السلام لما حضره الموت سأل الله تعالى أن يدنيه إلى الأرض المقدسة رمية بحجر قال النبي ﷺ: «فلو كنت نَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر».

قال العلامة ابن حجر^(٢): «يجوز نقل الميت إلى أحد الأمكنة الثلاثة: مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، نص عليه الشافعي».

وقال المحب الطبري: «نقله إلى قرية بها صلحاء مندوب، ودفنه فيها خير من دفنه عند أقاربه، فلا يحرم ولا يكره، بل يندب لفضلها، ومحلها حيث لم يخش تغييره. ولا يجوز النقل إلا بعد غسله وتكفينه والصلاة عليه، لأن الفرائض لا تسقط عن أهل محل موته».



(١) المغني (٢/١٩٣) والكافي (١/٢٦٨).

(٢) تحفة المحتاج لابن حجر بحاشية الشرواني (٣/٢٠٣).

الفصل الثاني

في ذكر الأخبار في تبرك
الأمّة سلفًا وخلفًا بأثار الصالحين

أولاً: من قبور الصحابة رضوان الله عليهم:

١- قال الحافظ السخاوي في التحفة اللطيفة^(١) في ترجمة سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه: «وجعل على قبره قبة فهو يزار ويتبرك به وبمحله رضي الله عنه».

٢- وقال ابن جبير في رحلته^(٢) في ترجمة بلال بن رباح: «مؤذن رسول الله ﷺ، قبره بدمشق، وفي رأس القبر المبارك تاريخ باسمه رضي الله عنه، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب، وقد جرب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبركين بزيارتهم».

٣- وقال الحاكم في المستدرک^(٣) وابن الجوزي^(٤) في ترجمة أبي أيوب الأنصاري: «وقبره بأصل حصن القسطنطينية بأرض الروم، فيما ذكر يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا».

٤- قال الخازن في تفسيره^(٥): «فمات أبو أيوب في آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية، ودفن في أصل سورها فهم يتبركون بقبره، ويستشفعون به».

(١) التحفة اللطيفة (١/٣٠٧).

(٢) رحلة ابن جبير (٢٥١).

(٣) مستدرک الحاكم (٣/٥١٨).

(٤) صفة الصفوة (١/٤٠٧).

(٥) تفسير الخازن (٣/٣١٩).

وهو أبو أيوب الأنصاري الصحابي الجليل».

٥- وفي أسد الغابة^(١): في كلامه عن الحسين بن علي قال: «قتل يوم الجمعة... وهو يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين بكر بلاء من أرض العراق، وقبره مشهور يزار».

٦- وفي^(٢) أسد الغابة أيضًا: عند كلامه عن قبر سعد بن عباد «أن قبره بالمليحة، قرية في غوطة دمشق، وهو مشهور يزار إلى اليوم».

٧- وفي ديوان الإسلام^(٣) عن قبر سعد بن عباد الصحابي، قال النووي: «وأجمعوا على أنه توفي بحوران وقبره معروف يزار، وهذا الضريح الذي في المليحة قال النووي لعله نقل من حوران».

٨- وفي كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة^(٤) يقول: «قبر عقبه بن عامر بالقرافة يزار، ولأهل مصر فيه اعتقاد عظيم». وقال أيضًا: «فإنه زاره الخلف عن السلف»، وكذا في السيرة الحلبية^(٥).

٩- وفي براءة الأشعريين^(٦) ينقل عن الإصابة في ترجمة الصحابي الشهير عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي - الملقب بذي النور رضي الله تعالى عنه - أنه استشهد ببلنجر من أرض الترك ناحية باب الأبواب، ودفن هناك، فهم يستسقون به إلى الآن.

وفي نفس الصحيفة ينقل عن استيعاب الحافظ ابن عبد البر، في ترجمة الصحابي الشهير بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه عن ولده عبد الله قال: «مات

(١) أسد الغابة (١/٢٦٥).

(٢) أسد الغابة (١/٤٣٥).

(٣) (في حرف السين في الأسماء).

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (ج١/٥٢).

(٥) السيرة الحلبية (ج٥/٢٨٣).

(٦) براءة الأشعريين (ج١/ص ٢٤٨).

والذي بمرور وقبره بالحصين، وهو قائد أهل المشرق ونورهم، لأن النبي ﷺ قال: «**أيما رجل مات من أصحابي ببلده فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة**».

١٠- وإلى القراء نبذة من كتاب الروح لابن القيم المتناقص؛ فقد قال في طبعة^(١): «وقد تواترت الرؤيا من أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها، ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن، من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك، وكم قد رؤي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر في النوم، قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم، فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وعددهم، وضعف المؤمنين وقتلتهم، ومن العجب أن أرواح المؤمنين المتحايين المتعارفين تتلاقى وبينها أعظم مسافة وأبعدها، فتتسالم وتتعارف، فيعرف بعضها بعضاً كأنه جلسه وعشيرته، فإذا رءاه طابق ذلك ما كان عرفته روحه قبل رؤيته».

١١- وفي براءة الأشعريين^(٢) بعد أن ذكر دمشق قال: «ذكر من مات بها من الصحابة: بلال بن رباح، ودفن بمقبرة باب الصغير، وقيل غير ذلك، وهذا أصح، سهل بن عبيد وهو ابن الحنظلية. عبادة بن الصامت، قيل: مات بدمشق، وقيل بالرملة. النمر بن السعدي، عويمر أبو الدرداء، فضالة بن عبيد.

فيستحب لمن زار مقبرة دمشق أن يقصد زيارة هؤلاء، ويسلم عليهم».

١٢- وفي كتاب مشاهير علماء الأمصار^(٣): «أبو الدرداء عويمر بن عامر بن زيد الأنصاري، مات سنة اثنتين وثلاثين وقبره بباب الصغير بدمشق، مشهور يزار، قد زرته غير مرة».

(١) حيدرآباد الثالثة ص ١٢٧.

(٢) (ص ٦٩٥).

(٣) مشاهير علماء الأمصار (١/ ٥٠).



قال الذهبي في تذكرة الحفاظ^(١) في ترجمة سيدنا عمر بن عبد العزيز: «قبره بدير سمعان يزار».

ولو رحلت أتتبع قبور الصحابة من مظانها لاجتمع لدينا الكثير الكثير لكن فيما ذكرنا كفاية لذوي الألباب.

ثانياً: في التبرك بقبور أهل الصلاح من السلف ومن بعدهم:

١- في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي^(٢): قال الربيع بن سليمان: «إن الشافعي رضي الله عنه خرج إلى مصر، فقال لي: يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلّمه إلى أبي عبد الله، وائتني بالجواب، قال الربيع: فدخلت بغداد ومعني الكتاب، فصادت أحمد بن حنبل في صلاة الصبح، فلما انتقل من المحراب سلّمت إليه الكتاب وقلت: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر، فقال لي أحمد: نظرت فيه؟ فقلت: لا، فكسر الختم وقرأ، وتغرغرت عيناه، فقلت له: أيش فيه يا أبا عبد الله؟ فقال: يذكر فيه أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله فقرأ عليه السلام وقل له: إنك ستمتحن... فلا تجهيهم فيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة. قال الربيع: فقلت له: البشارة يا أبا عبد الله، فخلع أحد قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه، فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر، وسلّمته إلى الشافعي رضي الله عنه فقال: أيش الذي أعطاك؟ فقلت: قميصه، فقال: ليس نفجعك به، ولكن بُلّه وادفع إلى الماء لأتبرك به».

٢- وفي تاريخ بغداد للبغدادي^(٣)، ومناقب أبي حنيفة للإمام الموفق ابن أحمد المكي^(٤) ما نصه: «كان سيدنا محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه يقول: «إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم

(١) تذكرة الحفاظ (١/١٢١).

(٢) طبقات الشافعية (٢/٣٦).

(٣) تاريخ بغداد (١/١٢٣).

(٤) مناقب أبي حنيفة (١/٤٥٣).

- يعني زائرًا - فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين، وجئت إلى قبره، وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تُقضى».
- ٣- وذكر ابن الجوزي في مناقب^(١) الإمام أحمد بن حنبل أن فاطمة بنت الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما قالت: «وقع الحريق في بيت أخي صالح، وكان قد تزوج إلى قوم مياسير، فحملوا إليه جهازًا شبيهًا بأربعة آلاف دينار، فأكلته النار، فجعل صالح يقول: ما غمني ما ذهب مني إلا ثوب لأبي كان يصلي فيه، أتبرك به وأصلي فيه. قالت فطفئ الحريق ودخلوا فوجدوا الثوب على سرير قد أكلت النار ما حواليه والثوب سليم».
- ٤- وفي نفس الكتاب^(٢): «عن علي بن أحمد قال: دخلت يومًا على أبي عبد الله وهو يملي عليّ وأنا أكتب، فاندق قلمي فأخذ قلمًا فأعطانيه، فجئت بالقلم إلى أبي علي الجعفري فقلت: هذا قلم أبي عبد الله أعطانيه، فقال لغلामه: خذ القلم فضعه في النخلة عسى تحمل، فوضعه في النخلة فحملت النخلة».
- ٥- وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه الحكايات المنثورة^(٣): «أن الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي أصيب بدمّل أعياه علاجه، مسح به قبر الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه تبركًا فبرئ».
- ٦- وقال الراهوني في حاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل: «ما زال الناس يتبركون بقبور العلماء الصالحاء أي العاملين بعلمهم والشهداء الصالحين».
- ٧- وفي وفيات الأعيان^(٤) لابن خلكان في ترجمة الإمام أحمد: «وقبر أحمد بن حنبل مشهور بها يزار».
- ٨- ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء^(٥): «بلغنا أن يحيى أوصى بثياب بدنه لأحمد

(١) مناقب الإمام أحمد (ص/٢٩٧).

(٢) مناقب الإمام أحمد (ص/٢٩٦).

(٣) ذكر ذلك المحدث محمد زاهد الكوثري في كتابه المقالات (ص/٤٠٧).

(٤) وفيات الأعيان (١/٦٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/٥١٥).

بن حنبل، فلما قَدِمَتْ على أحمد، أخذ منها ثوبًا واحدًا للبركة وردَّ الباقي، وقال: إنه ليس تفصيل ثيابه من زيِّ بلدنا.

٩- وقال الذهبي في تاريخ الإسلام في «الطبقة الثالثة والستون»^(١) في ترجمة بهاء الدين أبي محمد المقدسي الحنبلي ما نصه: «في كلامه عن ابن شاتيل، وكان له ابن شيخ إذا جلسنا تبين كأنه الأب، وعمي على كبر، وبقي سبعين يومًا أعمى، ثم برئ وعاد بصره - يعني الابن - فسألنا الشيخ عن السبب فذكر لنا: أنه ذهب به إلى قبر الإمام أحمد، وأنه دعا وابتهل، وقلت: يا إمام أحمد، أسألك إلا شفعت فيه إلى ربك، يا رب شفعه في ولدي، وولدي يؤمن، ثم مضينا. فلما كان الليل استيقظ وقد أبصر».

١٠- وقال الإمام العجلي في كتابه معرفة الثقات^(٢): «عمر بن قيس الملائي، كوفي ثقة من كبار الكوفيين، متعبد وكان سفيان يأتيه يسلم عليه يتبرك به».

١١- وقال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في صفة الصفوة^(٣) في ترجمة إبراهيم الحربي: «وتوفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين، وقبره ظاهر يتبرك الناس به رحمه الله».

١٢- وروى السبكي في طبقات الشافعية الكبرى^(٤): «قال أبو علي الغساني الحافظ: أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السكني السمرقندي، قدم علينا بكنسية عام أربعة وستين وأربعمائة، قال: قُحِطَ المطرُ عندنا بسمرقند في بعض الأعوام، فاستسقى الناس مرارًا فلم يُسَقُوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سمرقند، فقال له: إني قد رأيت رأيًا أعرضه عليك. قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ونستسقي عنده، فعسى الله أن يسقينا، فقال القاضي: نعم ما رأيت. فخرج

(١) تاريخ الإسلام (١٧٥).

(٢) معرفة الثقات (١٨٢/٢).

(٣) صفوة الصفوة (٤١٠/٢).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (ج ٢/ص ٢٣٤).

القاضي، والناس معه، واستسقى القاضي بالناس، وبكى الناس عند القبر، وتشفّعوا بصاحبه، فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير، فقام الناس من أجله بخرتنتك سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند، من كثرة المطر وغزارته، وبين سمرقند وخرتنتك نحو ثلاثة أميال. قلت: وأما «الجامع الصغير» وكونه ملجأً للمعضلات ومجرّباً لقضاء الحوائج فأمر مشهور».

١٣- وروى ملا علي القاري في كتابه مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح^(١):

قال شمس الدين محمد الجزري في مقدمة شرحه على كتابه المسمى بتصحيح المصابيح: «إني زرت قبر الإمام مسلم بنيسابور، وقرأت بعض صحيحه على سبيل التيمن والتبرك عند قبره، ورأيت آثار البركة ورجاء الإجابة في تربته».

١٤- في تهذيب التهذيب^(٢) لابن حجر: «وقال الحاكم سمعت أبا علي النيسابوري يقول: كنت في غم شديد، فرأيت النبي ﷺ في المنام كأنه يقول لي سر إلى قبر يحيى بن يحيى، واستغفر وسل تقص حاجتك، فأصبحت ففعلت ذلك فقضيت حاجتي».

١٥- قال ابن خلكان في «وفيات الأعيان»^(٣) في ترجمة أبي عوانة الحافظ: «قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر حدثني الشيخ الصالح الأصيل أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر بن الصفار الأسفرايني قال: قبر أبي عوانة بأسفرايين مزار العالم ومتبرك الخلق، وبجنب قبره قبر الراوية عنه أبي نعيم عبد الملك بن الحسن الأزهري الأسفرايني في مشهد واحد داخل المدينة على يسار الداخل من باب نيسابور من أسفرايين، وقريب من مشهده مشهد الإمام الأستاذ أبي إسحاق الأسفرايني على يمين الداخل من باب نيسابور، وبجنب قبره قبر الأستاذ أبي منصور البغدادي الإمام الفقيه المتكلم صاحبه صاحب الجنب حياً وميتاً المتظاهرين لنصرة الدين بالحجج والبراهين».

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٧/١).

(٢) تهذيب التهذيب (٢٦١/١١).

(٣) وفيات الأعيان (٣٩٤/٦).

١٦- قال الحافظ ابن الملقن في كتابه «طبقات الأولياء»^(١) عند ذكر السيدة الشريفة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي رضي الله عنهم: «قبرها معروف لإجابة الدعاء».

قال المؤرخ القاضي ابن خلكان في «وفيات الأعيان»^(٢): «وهو مجرب».

١٧- وفي سير أعلام النبلاء^(٣) في حديثه عن السيدة نفيسة: «وكان أخوها القاسم رجلاً صالحاً زاهداً خيراً، سكن بنيسابور، وله بها عقب، منهم السيد العلوي الذي يروي عنه الحافظ البيهقي، وقيل كانت من الصالحات العوابد، والدعاء مستجاب عند قبرها بل وعند قبور الأنبياء والصالحين، وفي المساجد وعرفة ومزدلفة وفي السفر المباح».

١٨- وفي تاريخ بغداد^(٤): باب ما ذكر في مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهاد، بالجانب الغربي في أعلى المدينة مقابر قريش عن أحمد القطيعي قال: «سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهّل الله تعالى لي ما أحب».

ومثله ذكر ابن الجوزي في كتاب المنتظم بإسناده عن الحسن بن الحسين الاستراباذي عن أحمد القطيعي.

١٩- وروى الرواس في (طي السجل) عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: «قبر موسى الكاظم ترياق مجرب».

٢٠- وفي كتاب الثقات^(٥) لابن حبان عند الحديث عن علي بن موسى الرضا رضي الله عنه ما نصه: «وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار بجانب قبر

(١) طبقات الأولياء (٤٠٨).

(٢) وفيات الأعيان (٤٢٤/٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠٧/١٠).

(٤) تاريخ بغداد (١٢٠/١).

(٥) الثقات (٤٥٧/٨).

الرشيد، قد زرته مرارًا كثيرة، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس، فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه، ودعوت الله إزالتها عني إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدة، وهذا شىء جربته مرارًا فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبته وأهل بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجمعين».

٢١- وذكر الحافظ البغدادي في تاريخ بغداد عن أبي عبد الله المحاملي أنه قال: «أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة، ما قصده مهموم إلا فرج الله همه».

٢٢- وقال الحافظ ابن الملقن: «ذهبت إلى قبر معروف الكرخي وقفت ودعوت الله عدة مرات، فالأمر الذي كان يصعب عليّ ينقضي حين أدعو الله هناك عند قبره».

٢٣- وقال الإمام السلمي في «طبقات الصوفية»^(١) في ترجمة معروف الكرخي: «وقبره ببغداد ظاهر يستسقى به ويتبرك بزيارته».

٢٤- وذكر الحافظ ابن الجوزي في مناقب معروف الكرخي وأخباره^(٢): «أن إبراهيم بن الحربي كان يقول: «قبر معروف الترياق المجرب» ثم ذكر أقوالا كثيرة في ذلك».

٢٥- وأن أحمد بن العباس قال: «خرجت من بغداد أريد الحج، فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة، فقال لي: من أين خرجت؟ قلت: من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد، خفت أن يخسف بأهلها، فقال: ارجع، ولا تخف. فإن فيها أربعة من أولياء الله عز وجل، وهم حصن لهم من جميع البلايا، قلت: من هم؟ قال: ثم أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي، وبشر بن الحارث، ومنصور بن عمار، فرجعت وزرت تلك القبور، ولم أحج تلك السنة» ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد^(٣).

(١) طبقات الصوفية (ص ٨١).

(٢) مناقب معروف الكرخي وأخباره (٢/ ٣٢٤).

(٣) تاريخ بغداد (١/ ١٢١).

٢٦- وفي الرسالة القشيرية للقشيري^(١) ما نصه: «ومنهم أبو محفوظ معروف ابن فيروز الكرخي، وكان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره. يقول البغداديون قبر معروف تريق مجرَّب».

٢٧- روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد^(٢): «سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرَّب لقضاء الحوائج. ويقال: إنه من قرأ عنده مائة مرة «قل هو الله أحد» وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته».

٢٨- وقال العلامة السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة ابن الصلاح^(٣): «دفنوه بطرف مقابر الصوفية، وقبره على الطريق في طرفها الغربي ظاهر يزار، ويتبرك به، قيل والدعاء عند قبره مستجاب».

٢٩- وقال القضاعي في كتاب التكملة^(٤) في ترجمة علي بن حسين بن محمد الزاهد النجار: من أهل جزيرة شقر وسكن بلسية يعرف بابن سعدوك... ودفن بباب الحنش من خارج بلسية، وقبره هناك معروف يزار ويتبرك به».

٣٠- وقال ابن الأثير في الكامل^(٥): «وفيها توفي ابن أبي الهبيش الزاهد المقيم بالكوفة، وهو من أرباب الطبقات العالية في الزهد، وقبره يزار إلى الآن وقد زرته».

٣١- وقال ابن الجوزي في ترجمة رابعة: «دفنت بظاهر القدس على رأس جبل وقبرها يزار».

٣٢- وقال العاصمي في سمط النجوم العوالي^(٦): «وكذلك مولانا السيد أسعد البلخي، والشيخ أحمد الشناوي، توفي بطيبة المنورة ودفن بالبقيع، وقبره ظاهر يزار رحمه الله رحمة الأبرار».

(١) الرسالة القشيرية (٣٧٦ - ٤٦٥).

(٢) تاريخ بغداد (١/ ١٢٣).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٢٨).

(٤) التكملة (٣/ ٢١٤).

(٥) الكامل في التاريخ (٨/ ١٨٥).

(٦) انظر الكتاب (٤/ ٤٠٢).

- ٣٣- وقال ابن العماد في شذرات الذهب^(١) في ترجمة برهان الدين الكركي الأصل القاهري: «وتوفي بقسطنطينية، ودفن عند مسجده، وقبره يزار ويتبرك به».
- ٣٤- وقال الجبرتي في عجائب الآثار في ترجمة إسماعيل بن سودكين الجبرتي تلميذ الشيخ ابن العربي: «وقبره ظاهر مكشوف يزار، وللناس فيه اعتقاد عظيم».
- ٣٥- وقال الياضي في مرآة الجنان^(٢) في ترجمة الإمام الكبير الأستاذ الشهير محمد بن الحسن بن فورك: «ومشاهدة ظاهر هنالك يزار ويستسقى به لنزول الأمطار، وتجاب الدعوة عنده رحمة الله عليه ورضوانه».
- ٣٦- وفي كتاب الأنس الجليل^(٣) في ترجمة أبي ثور: «دفن بها وقبره موصوف يزار ويتبركون به». اهـ.
- ٣٧- وورد في كتاب المنتخب من كتاب السياق^(٤) في ترجمة أبي محمد الهومشي: وكان يزار من البلد ويتبرك به».
- ٣٨- وفي كتاب النجوم الزاهرة^(٥) للسيوطي في ترجمة عدي بن مسافر: «ودفن بزاويته، وقبره بها ظاهر يزار».
- ٣٩- وفي بغية الطلب^(٦) في تاريخ حلب في ترجمة روزبهان الديلمي: «وقبره ظاهر يزار ويتبرك به بجانب بئر الحاجب».
- ٤٠- وفي تاريخ جرجان^(٧) في ترجمة أبي جعفر الملقب بالديباج: «وقبره بجرجان، ومشهده يزار، معروف ومشهور بقبر الداعي».
- ٤١- وفي طبقات صلحاء اليمن^(٨) في ترجمة القاضي جمال الدين: «وقبره بالمشهد

(١) انظر الكتاب (١٠٧/٨).

(٢) انظر الكتاب (١٨/٣).

(٣) انظر الكتاب (٦٠/٢).

(٤) انظر الكتاب (٣٩٦/١).

(٥) انظر الكتاب (٣٦١/٥).

(٦) انظر الكتاب (٣٧٢٢).

(٧) انظر الكتاب (٣٦٠).

(٨) انظر الكتاب (١٠٠/١).

بجنب ولده القاضي صفى الدين ملاصقًا له، وقبره معروف هناك، يزار ويتبرك به، رحمه الله ونفع به».

٤٢- وفي نفع الطيب^(١) في ترجمة الشاطبي: «وقبره بالقرافة يزار وترجى استجابة الدعاء عنده، وقد زرته مرارًا ودعوت الله بما أرجو قبوله».

٤٣- وفي الأنساب للسمعاني^(٢) في ترجمة الأوزاعي: «وقبره ببيروت مشهور يزار».

٤٤- وقال في ترجمة الذبالي^(٣): «ومشهده معروف يزار، ويتبرك به، زرته غير مرة».

٤٥- وفي البدر الطالع^(٤) في ترجمة إبراهيم الكينعي: «وقبره برأس الميدان غربي مدينة صعدة، وعمّر عليه مشهد، وهو مشهور يزار في تلك الديار».

٤٦- وفي الضوء اللامع^(٥) في ترجمة عبد الملك بن عبد الحق بن هاشم الحربي المغربي: «وهو مما يزار ويتبرك به».

٤٧- وفي النور السافر^(٦) ما نصه: «وفي ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وسبعين، توفي الولي الصالح المجذوب عبد الله بن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع أبو علوي بمكة، وكان يوم موته مشهودًا، وقبره بالشبيكة معروف يزار، وكان من الأولياء العارفين، والأئمة المقربين، السالكين المجذوبين، أولى الكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة، والمقامات العلية، والأحوال السنية».

٤٨- وفي خلاصة الأثر في ترجمة الشيخ أبي بكر بن حسين بن محمد بن أحمد بن حسين ابن الشيخ عبد الله العيدروس الضرير اليمني: «وقبره معروف يزار».

٤٩- وفي طبقات الحنفية في ترجمة مسعود بن شيبه بن الحسين ابن السندي عماد

(١) انظر الكتاب (٢/٢٤).

(٢) انظر الكتاب (١/٢٢٧).

(٣) انظر الكتاب (٣/٢٠).

(٤) انظر الكتاب (١/٦).

(٥) انظر الكتاب (٥/٨٤).

(٦) انظر الكتاب (١/٢٥٨).

الدين الملقب شيخ الإسلام: «ودفن بالقرافة، وقبره مشهور، يزار ويتبرك به، ويقال إن الدعاء عند قبره مستجاب».

٥٠- وفي معجم السفر^(١) للسلفي ما نصه: «كان الشيخ أبو بكر من أهل الولاية والكرامة، وعلم بذلك كل من بالخابور، وقبره الآن بظاهر الحصين يزار ويتبرك به، ودلني هاشم وغيره عليه فزرته».

٥١- وفي وفيات الأعيان^(٢) في ترجمة الشيخ الخضر بن عقيل الإربلي: «ودفن بها في مدرسته التي بالربض في قبة مفردة، وقبره يزار، وزرته كثيرًا رحمه الله تعالى».

٥٢- وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد^(٣) ما نصه: «ما ذكر في مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهاد بالجانب الغربي في أعلى المدينة مقابر قريش، دفن بها موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وجماعة من الأفاضل معه».

ثم ساق بسنده إلى أبي طاهر بن أبي بكر قال: حكى لي والدي عن رجل كان يختلف إلى أبي بكر بن مالك أنه قيل له: أين تحب أن تدفن إذا مت؟ فقال: بالقطيعة، وأن عبد الله بن أحمد بن حنبل مدفون بالقطيعة، وقيل له يعني لعبد الله في ذلك، قال: وأظنه كان أوصى بأن يدفن هناك، وقال: قد صح عندي أن بالقطيعة نبياً مدفوناً، ولأن أكون في جوار نبي أحب إلي من أكون في جوار أبي، ومقبرة باب حرب خارج المدينة وراء الخندق مما يلي طريق قطربل معروفة بأهل الصلاح والخير، وفيها قبر أحمد بن محمد بن حنبل وبشر بن الحارث».

ثم ساق بسنده إلى أبي يوسف بن بختان وكان من خيار المسلمين قال: لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل في منامه كأن على كل قبر قنديلاً، فقال: ما

(١) انظر الكتاب (١/٤٢٤).

(٢) انظر الكتاب (٢/٢٣٨).

(٣) تاريخ بغداد (١/١٢٠ - ١٢٣).

هذا؟ فقيل له: أما علمت أنه نور لأهل القبور - نورت - قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم؟! قد كان فيهم من يعذب فرحم).

وبسنده إلى أحمد بن الدورقي يقول: مات جاري، فرأيته في الليل وعليه حلتين، قد كسي، فقلت إيش قصتك؟ ما هذا؟ قال: دفن في مقبرتنا بشر بن الحارث، فكسي أهل المقبرة حلتين حلتين).

ثم ذكر قبور عدد من كبار السلف وأهل الصلاح - إلى أن قال: - «ومقبرة باب البردان فيها أيضاً جماعة من أهل الفضل وعند المصلي المرسوم بصلاة العيد، كان قبره يعرف بقبر النذور، ويقال إن المدفون فيه رجل من ولد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، يتبرك الناس بزيارته ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته. حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال: حدثني أبي قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مصلي الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام، نريد الخروج معه إلى همدان في أول يوم نزل المعسكر فوق طرفه على البناء الذي على قبر النذور، فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل قبر لعلمي بطيرته من دون هذا، واستحسن اللفظة وقال: قد علمت أنه قبر النذور، وإنما أردت شرح أمره، فقلت: هذا يقال إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين طالب، وأن بعض الخلفاء أراد قتله خفياً، فجعلت له هناك زبية وستر عليها، وهو لا يعلم فوق فيها وهيل عليه التراب حياً، وإنما شهر بقبر النذور، لأنه ما يكاد ينذر له نذر إلا صبح وبلغ الناذر ما يريد ولزمه الوفاء بالنذور، وأنا أحد من نذر له مراراً لا أحصيها كثرة نذوراً على أمور متعذرة، فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به، فلم يتقبل هذا القول، وتكلم بما دل أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقاً، فيتسوق العوام بأضعافه ويسرون الأحاديث الباطلة فيه، فأمسكت، فلما كان بعد أيام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم، وقال: اركب معي إلى مشهد النذور، فركبت وركب في نفر من حاشيته، إلى



أن جئت به إلى الموضع، فدخله وزار القبر وصلى عنده ركعتين، سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد، ثم ركبنا معه إلى خيمته، وأقمنا أياماً، ثم رحل ورحلنا معه يريد همدان، فبلغناها وأقمنا فيها معه شهوراً، فلما كان بعد ذلك استدعاني، وقال لي: أأست تذكر ما حدثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد؟ فقلت: بلى، فقال: إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتماداً لإحسان عشرتك، والذي كان في نفسي في الحقيقة أن جميع ما يقال فيه كذب، فلما كان بعد ذلك بمديدة طرفني أمر خشيت أن يقع ويتم، وأعملت فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر عساكري، فلم أجد لذلك فيه مذهباً، فذكرت ما أخبرتني به في النذر لمقبرة النذور، فقلت: لم لأجرب ذلك، فنذرت إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل إلى صندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحاً، فلما كان اليوم جاءني الأخبار بكفائتي ذلك الأمر، فتقدمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف يعني كاتبه أن يكتب إلى أبي الريان، وكان خليفته ببغداد، يحملها إلى المشهد، ثم التفت إلى عبد العزيز - وكان حاضرًا - فقال له عبد العزيز: قد كتبت بذلك ونفذ الكتاب».

٥٣- وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة^(١) الأردستاني: «قال شيرويه: كان ثقة يُحسن هذا الشأن، سمعت عدة يقولون: ما من رجل له حاجة من أمر الدنيا والآخرة يزور قبره ويدعو - الله عنده - إلا استجاب الله له. قال: وجربت أنا ذلك».

٥٤- وذكر ابن أبي يعلى الحنبلي في طبقات الحنابلة^(٢) في ترجمة علي بن محمد بن بشار أبي الحسن الزاهد: «ودفن بالعقبة قريباً من النجمي، وقبره الآن ظاهر يتبرك الناس بزيارته».

٥٥- وقال في ترجمة الشريف أبي جعفر^(٣): «وحفر له بجانب قبر إمامنا أحمد،

(١) السير (١٧/٤٢٩).

(٢) طبقات الحنابلة (٢/٦٣).

(٣) طبقات الحنابلة (٢/٢٤٠).

فدفن فيه وأخذ الناس من تراب قبره الكثير تبركاً به، ولزم الناس قبره ليلاً ونهاراً مدة طويلة، ويقرأون ختمات ويكثرون الدعاء، ولقد بلغني أنه ختم على قبره في مدة شهر أُلوف ختمات».

٥٦- وقال ابن كثير في البداية والنهاية^(١) في ترجمة أبي عبد الله اليونيني الحنبلي: «ولا يقبل من الأمراء ولا من الوزراء شيئاً إلا أن يكون هدية مأكول ونحوه، ويرسل إليهم من ذلك، فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء».

٥٧- وقال الحافظ ابن ماکولا في الإكمال^(٢): «فهو أبو علي بن بيان الزاهد من أهل دير العقول، له كرامات، وقبره في ظاهرها يتبرك به، وقد زرته».

٥٨- وقال الحافظ ابن نقطة الحنبلي في كتابه التقييد^(٣) في ترجمة عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع أبو محمد المقدسي الحافظ: «وقبره بالقرافة يتبرك به».

٥٩- وقال في تكملة الإكمال^(٤): «ومحمد بن ناصر، وحدث، وكان شيخاً صالحاً، وأبوه يتبرك بقبره، مشهور بالزهد، توفي في شهر رمضان من سنة ثلاث وستائة».

٦٠- وقال الإمام الرافعي شيخ المذهب الشافعي في التدوين في أخبار قزوين^(٥) عند ذكر مقابرها ومزاراتها: «وعند باب المشبك الجم الغفير من العلماء والأخبار والشهداء والأخيار، من مقابرها مقبرة طريق الجوسق، وتعرف بمقبرة علك لأن الشيخ علك القزويني مدفون فيها، وفيها قبور جمع كثير من أهل العلم والصلاح. ويقعة تدعى قبور الشهداء يستجاب عندها الدعاء، منها مقبرة طريق دستجرد وتدعى كوهك، وفيها مسجد على رأس تل يتبرك به، ويصلى فيه لغرض الحاجات واستنجاح الطلبات»، إلى أن قال: «وفي

(١) البداية والنهاية (١٣/٢٢٨).

(٢) الإكمال (١/٣٦٧).

(٣) كتاب التقييد (١/٣٧٠).

(٤) تكملة الإكمال (٢/٣٣١).

(٥) التدوين (١/٥٦).

الريستاق مواضع يتبرك بها. منها مسجد بالجندق فيه قبر بعض الصحابة كما يقال، وقبور عظيمة عند دربند أشنستان، ذكر غير واحد ممن زارها أن الدعاء عندها مستجاب، وأن الزائر إذا أتاها أخذته هيئة عظيمة عندها، وبطرك من ناحية الرامند مشهد مشهور يتبرك به، وبشنستان مسجد عزيز، ومزار. اهـ.

٦١- وفي السلوك لمعرفة دول الملوك^(١) (عمن توفي سنة ٦٦٩) عن العارف داود الأعزب يقول: «وقبره مشهور يتبرك الناس بزيارته، ومناقبه وكراماته شهيرة قد جمعت في مجلد».

وعن العارف تقي الدين أبي المكارم عبد السلام بن سلطان: «وقبره يزار بقلب ويتبرك به»، (وذكر أنه أخذ الطريق عن الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي).

وتجد ذلك كثيرًا في كتب التاريخ والسير والتراجم ومنها:

- | | |
|--|--|
| (١) أسد الغابة. | (٢) الكامل في التاريخ. |
| (٣) المتظم. | (٤) فتوح الشام. |
| (٥) عجائب الآثار. | (٦) عيون الأخبار. |
| (٧) مروج الذهب. | (٨) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة. |
| (٩) مرآة الجنان وعبرة اليقظان. | (١٠) المختصر في أخبار البشر. |
| (١١) أعيان العصر وأعوان الزمان. | (١٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. |
| (١٣) بغية الطلب في تاريخ حلب. | (١٤) الطبقات الكبرى. |
| (١٥) ديوان الإسلام. | (١٦) ذيل مرآة الزمان. |
| (١٧) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. | (١٨) التدوين في أخبار قزوين. |
| (١٩) تاريخ بغداد. | (٢٠) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. |
| (٢١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام. | (٢٢) تاريخ جرجان. |

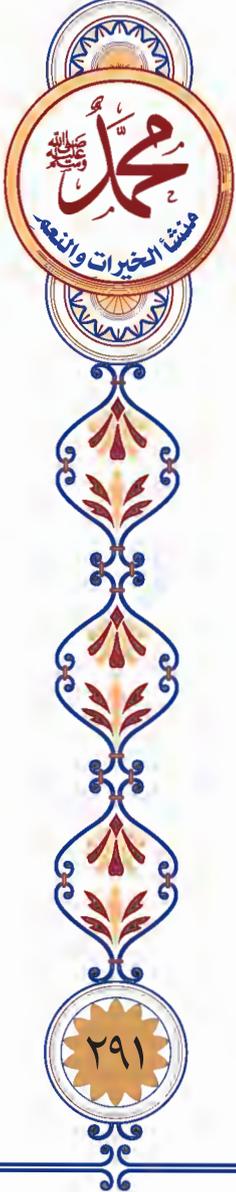
(١) السلوك لمعرفة دول الملوك (١/١٩٩).

- (٢٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. (٢٤) بدائع الزهور في وقائع الدهور.
 (٢٥) السيرة لابن حبان. (٢٦) تحفة المدنيين.
 (٢٧) رحلة ابن بطوطة. (٢٨) معجم البلدان.
 (٢٩) تاريخ الإسلام للذهبي. (٣٠) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى.
 (٣١) تاريخ ابن خلدون. (٣٢) البداية والنهاية.
 (٣٣) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور. (٣٤) فوات الوفيات.
 (٣٥) أخبار الدولة العباسية. (٣٦) المنمق في أخبار قريش.
 (٣٧) تاريخ المساجد الشهيرة. (٣٨) عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

وغيرها الكثير الكثير مما لو أردنا حصره وعده لتجاوز عدد حروف هذا الكتاب، ولا أبلغ!!! ومن ذا الذي يحصي نجوم السماء!؟!!

وإنما ذكّرنا من ذكّرنا شواهد فيها الخبر اليقين على صدق ما بيننا، وكذب من يدّعي خلاف ما عليه الأمة، ومع ذلك فإن تلك القبور والمشاهد والمقامات والمزارات لا تعبد من دون الله، وإنما تزار طلباً للبركة، أي لحصول الخير وإجابة الدعاء عندها، وكم فرّجت بسببها كربات، وحصلت بسرّها خيرات وكرامات والحمد لله.

وقد استقصيت في الحث على زيارة القبور تحريماً للمشاركة في الترغيب، وليعلم الشحيح بذنبه أنها سنة مسنونة، وصلى الله على محمد وءاله أجمعين.



رائعة المصاحح

نظم الأديب الدكتور وافي حاج ماجد [من الكامل]

الشوقُ حَرَّكَنِي بغيرِ تردُّدٍ والشعرُ أَبَحَرَ في غرامِ مُحَمَّدٍ
إِنْ صمْتُ عن نظمِ الكلامِ تكلفاً فالصمْتُ أبلغُ في جلالِ المشهدِ
وَإِذَا الهوى سلبَ الفؤادَ فإنني أسقي البلاغةَ مِنْ مديحِ مُحَمَّدٍ
هِمْ يا زمانُ فذا أوانُ الموعدِ رَدَّدُ غرامي في مديحِ مُحَمَّدٍ
قلبي يطيبُ بقربِ ذاكِ الموردِ ويطيرُ يسمو فوق هامِ الفرقِ
قلبي يذوبُ بعشيقِهِ، فغرامُهُ وجهُ الحبيبِ الهاشميِّ مُحَمَّدٍ
فإِذَا مدحتُ مُحَمَّدًا بقصيدتي فلقد مدحتُ قصيدتي بِمُحَمَّدٍ
هِمْ يا زمانُ فذا أوانُ الموعدِ وأرحُ مطيِّكَ عند بابِ مُحَمَّدٍ
أَسبِغُ على الأكوانِ أهبى حُلَّةٍ وانشرُ غرامي في مديحِ مُحَمَّدٍ
خَلَعْتُ لكَ الأيَّامُ تاجَ ولائها إذ أَبصرتُ بعلاكِ تاجِ السؤددِ
يُمناكَ تُروِي كلَّ جيشٍ ظامئٍ والريقُ مِنْكَ شفاءُ عينِ الأرمِدِ
والجدعُ في فنِّ الحنينِ مُعلَّمٌ والذكرُ يُسمَعُ مِنْ صميمِ الجَلَمِدِ
هُبْلا هَبَاءً قد تركتُ فجمعُهُمْ بالذُّلِّ أوهى مِنْ رماذِ رَمِدِ



وذراعُ شاةٍ الخيرية ناطقًا
 والبدْرُ من شغفِ بنورك شقَّ كي
 والبرقُ يلهث لا يرومُ بُراقه
 من جبرئيل دنا تدلَّى وارتقى
 وصحابك الزُّهرَ النجومَ فديتهم
 خلَّت الفراقد في السماء سوابحًا
 يا يُوسُفِي اللفظِ قد وافتك أب
 تيمَّتهنَّ فُذبنَ إذ قطعن من
 سَفَرَت لمنطقك اللالئ حُسرًا
 فالدرُّ في أعتاب لفظك طامعٌ
 أنى يُزاحمُ منك أَلْفاظًا وكل
 فإذا مدحتُ مُحَمَّدًا بقصيدتي
 باتَ الهباءُ يتيه في خيلائه
 خرسَ النواعقِ شرَّ أقزامِ الوري
 من حقدِهِم نَسْجُوا دنِيءَ رُسومِهِم
 وتَحَصَّنُوا بالإفكِ فَهُوَ سلاحُهُم

وإفك بالخبر اليقين الأوكد
 يُروى بكأس القرب بل كي يفتدي
 أمَّا السماءُ تزينت لمحمد
 فلَكَ السيادة في المقام الأوحد
 أقمارٌ تمَّ في سماء المهدي
 فإذا الفراقدُ في بقيع الغرقد
 كَارُ المعاني إذ تروح وتغتدي
 هُنَّ القلوبَ بلهفةٍ وتنهدي
 فإذا نطقت تخضبت بتوردد
 ليدوق شهدًا من حديث محمد
 لُ الدُّرُّ خُدَّامٌ لِلْفَظِّ مُحَمَّدِ
 فلقد مدحت قصيدي بمحمد
 ليروم تعكيرًا لبحرٍ مُزبد
 من كل أعمى مُفترٍ مُتبلد
 فارْتَجَّت الدنيا بصبح أسود
 فاعجب لصولة أرنبٍ مُستأسد

إِنَّ عَرَبَدَتْ زُمُرُ الشَّقَاءِ بِكَيْدِهِمْ فَارْجَمْ بِشُهْبِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَرَّبِدِ
 وَإِذَا حُسَامُ الْعَدْلِ فَارَقَ غِمْدَهُ عَرَفَ الشَّقِيَّ مُصِيرِ كَيْدِ الْمُعْتَدِي
 إِنَّ عَابَ فَضْلَكَ يَا مُحَمَّدُ جَاهِدُ فَالْصَبْحُ لَيْلٌ فِي عُيُونِ الْحَسَدِ
 فَاصْدَعْ وَمَزُقْ لِلظَّلَامِ جِحَافِلًا فَالنُّورُ كُلُّ النُّورِ نُورُ مُحَمَّدِ
 فَالْدَيْنُ يُسْرُ وَالشَّرِيعَةُ سَمْحَةٌ فَالرَّحْمَةُ الْمَهْدَاةُ نَهْجُ مُحَمَّدِ
 نَالَ الْأَمَانَ مَعَ الْبِشَائِرِ ظَافِرًا مَنْ حَازَ نُورًا مِنْ شَرِيعَةِ أَحْمَدِ
 مِنْ عَذْبِ سِيرَتِهِ الْأَكَابِرُ تَسْتَقِي فَإِذَا ظَمِئْتَ وَرَدْتَ أَعْدَبَ مُورِدِ
 فَمَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ إِنَّ حُشِدَتْ فَلَيْسَتْ غَيْرَ سَطْرِ فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ
 وَعِرَائِسُ الْأَزْهَارِ إِنَّ نَفَحَتْ فَلَيْسَتْ غَيْرَ عِطْرِ مِنْ عَبِيرِ مُحَمَّدِ
 وَمَنَاقِبُ السَّادَاتِ إِنَّ سَطَعَتْ فَلَيْسَتْ غَيْرَ نَجْمٍ فِي سَمَاءِ مُحَمَّدِ
 وَرَوَائِعُ الْأَشْعَارِ إِنَّ وَصَفَتْ تَنَاهَى الْحُسْنَ فِيهَا مِنْ جَمَالِ مُحَمَّدِ
 وَبِلَابِلُ الْأَطْيَارِ إِنْ صَدَحَتْ فِي مَعْنَى يَفِيضُ مَحَبَّةً لِمُحَمَّدِ
 وَمَدَائِحُ الْبُلْغَاءِ إِنْ تَلَيْتْ فَمَا هِيَ كُفَاءُ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ مُحَمَّدِ
 فَإِذَا مَدَحْتُ مُحَمَّدًا بِقَصِيدَتِي فَلَقَدْ مَدَحْتَ قَصِيدَتِي بِمُحَمَّدِ
 هَلْ يَبْلُغُ الْوَلْهَانَ بَلَّ أَوَامِهِ فَالرُّوحُ فِي رُكْبِ الْفَنَاءِ وَكَأَنَّ قَدِ
 عِلُّ الْنَفُوسِ شَذَا الْوَصَالِ شِفَاؤُهَا وَشِفَاءُ نَفْسِي فِي مَدِيحِ مُحَمَّدِ



قالوا: مدحت، فقلتُ: أكرمَ مرسلٍ
قالوا: غرائمك، قلت: فيه محققٌ
لكَ في عُيُونِ الشُّعْرِ بَيْعَةٌ مُغْرَمٍ
فاقرأ مِنَ الأَشْوَاقِ أَسْطَرُ أَدْمَعٍ
وإذا نظمتُ الشَّهَبَ فيكَ قصائدًا
فإذا وصفتُ فعاجزُ رامِ السُّهَى
إن قلت: زد، أزددُ لهيبًا في الحشا
فلتسمعِ الدنيا فقلبي قد شدا
فإذا مدحتُ مُحَمَّدًا بقصيدتي

قالوا: عشقت، نَعَمْ، ومن كُ مُحَمَّدٍ
قالوا: مراؤمك، قلتُ: مدحُ مُحَمَّدٍ
فإذا قَبِلْتَ فذاك بابُ المَقْصِدِ
نَظَمْتُ تراجمَ شوقها بتوقدٍ
حَقَّقْتُ أَنِي في مقامِ المُتَبَدِي
وإذا صدحتُ فيا قوافي غَرْدِي
أو قلت: رد، وِردِي مديحُ مُحَمَّدٍ
فخري بأني خادمٌ لِمُحَمَّدٍ
فلقد مدحت قصيدتي بِمُحَمَّدٍ





الباب الرابع

في أخبار صادقة موثقة
مروية، وصور لبعض الآثار
النبوية المحمدية

الفصل الأول

أخبار وحوادث صادقة موثقة مروية عن بركات وعجائب ظاهرة بالتبرك بآثار النبي ﷺ

إن هذه الأخبار والقصص التي تكشف عن حالات شفائية استثنائية بسبب التبرك بالآثار النبوية، بقدره الله تعالى وبفضله ومَنه وكرمه، هي أخبارٌ حقيقيةٌ وحوادثٌ واقعةٌ لا شبهة فيها ولا لبس، بل كلها فيضٌ من الصدق المشاهدة وقائعه، والبركات المجرب نفعها، أوردناها كما حصلت من غير زيادة ولا نقصان بألسنة أصحابها ومن شاهدها وجرت وقائعها أمامها، وإثباتها لقليل من كثير ولغيض من فيض، وقد أسقطنا في كثير من الأحيان ذكر أسماء الأطباء والمستشفيات والتواريخ، بطلب من أصحابها. هذا، وعندنا أرقام هواتف وعناوين كثيرين من أصحاب هذه الروايات لمن أراد التدقيق والتحقق.

وليعلم أن إيرادنا لهذه الأخبار لا يعني ألا يذهب المريض إلى الطبيب المختص ولا يتناول الأدوية المناسبة، وإنما هو من باب التأكيد على البركة الحاصلة من الآثار النبوية الشريفة التي تفيد بإذن الله القادر على كل شيء.

وليس لأحد أن يقول: لِنَجْرِبَ التبرك بالشعرة على كل مَرَضِي الدنيا، فإن تم الشفاء صدقت! وذلك لأن التبرك سبب في الشفاء، والله هو الشافي المعافي؛ وهذا رسول الله محمد ﷺ كان صحابته فيهم المريض وطريح الفراش وهم يصافحونه ويعانقونه ويجالسونه عليه الصلاة والسلام ولم يشفوا جميعاً، لأن من قدر الله له الشفاء شفي، والإنسان مطالب بالعمل بالأسباب، والدواء سببٌ للشفاء، مع أنه ليس كل من أخذ دواء شفي، وكذلك التبرك، ثم يضاف إلى ذلك عظيم الفائدة التي تحصل للشخص وإن لم يظهر أثر الشفاء.

والله المستعان وعليه التكلان، وهو من وراء القصد والمتفضل باليمن الإحسان.

المرارة والتبرك بآثار سيد محمد

١ - قال الحاج بسام العقاد من محلة زقاق البلاط في بيروت:
 كنت أعاني من إلتهايات في الكبد من جراء جرثومة موجودة في
 الدم منذ ثلاثين عاماً، ولم أعلم بحملي هذا المرض إلا من خلال
 فحوصات مخبرية خاصة لهذا المرض، وبدأت بالعلاج منذ سنة
 تحت إشراف الطبيب المختص، وقد صارحني الطبيب عند بدء
 العلاج، إن شفائي مرهونٌ بمدى تجاوب جسدي مع العلاج، وقد
 سعيت جاهداً للتبرك بالآثر النبوي الشريف، وقد وقع ذلك عندما
 أحضر إلى مسجد زقاق البلاط في شهر رمضان المبارك من عام
 ٢٠٠٧ قطعة من قميص سيد المرسلين محمد ﷺ حيث تبركت
 بها ووضعتها على مكان المرض ومسحت بها جسدي.
 وبعد أشهر من التبرك بالآثر الشريف، أجريت فحوصات مخبرية
 تبين إنني شفيت من هذا المرض.



رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْيَا عَدُوَّ

٢ - يقول ياسين مرشو من بئر حسن إن ابنه بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٤ كان عمره ثلاث سنوات، وقع من سطح بيتهم من الطابق الأول، على رصيف إسمنت بجانب البيت، وكانت الصدمة على رأسه، فنقل إلى مستشفى «الساحل» في بيروت وأجريت له الفحوصات وتصوير الأشعة (السكرانر) ووضعت له آلات التخطيط والمراقبة، وكان في حالة الغيبوبة، وتبين أنه قد حصل كسر في الجمجمة ونزيف داخلي وقال الأطباء إنه في حالة الخطر ومن المحتمل أن يموت خلال ٤٨ ساعة وإن عاش يبقى مشلولاً. فوُضعت الشعرة الشريفة على رأسه وعلى موضع الكسر والنزيف ومسح جسده بها، وبعد ساعة تقريباً عاد إلى وعيه وعرف من كان حوله وزال عنه الخطر، وأجريت له صورة جديدة فظهر أن الكسر قد ذهب ووقف النزيف ورفعت عنه آلات المراقبة والتخطيط ما جعل الأطباء يستغربون جداً ويتفاجأون. وفي الصباح أخرج من المستشفى إلى البيت. وكان سابقاً يبول في فراشه فذهب عنه ذلك أيضاً.

٣ - روت فاطمة سكر من البسطة الفوقا في بيروت أن ابنتها آية فهيم البالغة من العمر أربع سنوات في وقتها كانت تعاني من ثقب في القلب، وطلب الأطباء إجراء جراحة. فتبركت بالشعرة الشريفة فتعافت بإذن الله، حيث قامت الطيبية ندى بخاري المشرفة على علاجها في بيروت بإجراء صور وفحوص جديدة فتبين شفاؤها من ذلك الثقب الذي كان موجوداً.

٤ - روى شخص اسمه عارف ضاهر من منطقة شبعاء في الجنوب

البر الأرقم الشكر بأثر نبيك محمد

فقال: كانت أمي تعاني من كهرياء في الدماغ، ويوجد تقارير وصور وتخطيط للدماغ، فأحضر ماء غُمسَت شعرة النبي ﷺ فيه، فشربت أمه من الماء ومُسح على رأسها على مكان المرض. وفي اليوم التالي أخذتها إلى مركز تخطيط الدماغ في بيروت، فاندعش الأطباء من ذلك، وقالوا: إن والدتك ما عندها مشكلة في الدماغ. ويؤكد عارف ضاهر أنه عندما سقاها من الماء مسح من هذا الماء على قلبها، فقال له طبيب القلب: ما هذه الفحوصات، إنها ليست لامرأة كبيرة في العمر، إنما هذه فحوصات لبنت عمرها ١٤ سنة (وأمه عمرها وَقَّتْهَا ٧٣ سنة، واسمها بدر). والتخطيط الأول عمل في مستشفى لبيب أبو زهر في مدينة صيدا، والتخطيط الثاني في مستشفى المشرق - بيروت.

٥ - يوم الجمعة ٢٦/٩/٢٠٠٣ أخذ جمال حميد - وهو من أهالي محلة بربور في بيروت - الشعرة النبوية المباركة إلى أهله ليتبركوا بها، ولكن والده قال: وما يدريني أن هذه شعرة النبي؟ فقليل له إن عددًا كبيرًا من الناس المرضى قد تبركوا فتعافوا بإذن الله من الأمراض التي كانت فيهم فقال: إن شخصًا قد خرج من المستشفى وقد مضت عليه مدة وهو لا يتكلم، فذهبوا إلى ذلك الرجل الذي هو من أقربائهم فتبركوا بالشعرة وتمسح بها فأنطقه الله تعالى، وفاضت دموع الحاضرين لشدة التأثر بما رأوا.

٦ - بنت اسمها سيلين الضاني من محلة عفيف الطيبي في بيروت



رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَنَ عُرَى

كانت تبلغ من العمر ثلاث سنوات، طلب الطبيب أن تُجرى لها عملية جراحية في اللوز، والحمية، وكيس الماء في أذنها وكانت مصابة بالروماتيزم حتى كان نسبة ASO ١٠٠٠ في حين لا ينبغي أن يكون أكثر من مئتين. فُبُرِكت بشعرة النبي ﷺ فشفيت بإذنه تعالى، ثم أخذها أهلها إلى مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت حيث أكد الأطباء هناك أنها بخير ولا تحتاج لأي عملية، كما يُذكر أنها كانت لا تتكلم إلا قليلا ولقد اختلف الأمر بعد تبركها إذ انطلق لسانها بإذن الله تعالى وبركة خير المرسلين.

٧ - الحاج غازي شومان (أبو ربيع) من محلة البسطة الفوقا في بيروت قرر الأطباء إجراء عملية جراحية له في القلب (قلب مفتوح) بعد فحوصات وصور كانوا قد قاموا بها. غير أنه تبرك قبل موعد العملية بالأثر الشريف، ثم لَمَّا دخل المستشفى أُجريت له الفحوصات والصور قبل العملية فتبين أنه تعافى والحمد لله.

٨ - قال الشيخ إسماعيل سرحان: شكنا إلي ولدي عبد الله سرحان وكان في الحادية عشر من العمر من ألم في ظهره، فضلا عن أنه كان يتبول في فراشه أثناء نومه بسبب هذا المرض، فأخذناه إلى الدكتورة ندى بخاري فطلبت له إجراء فحوصات مخبرية وتصوير أشعة فأدخلناه إلى مستشفى الشرق الأوسط وأجري المطلوب، فكان أن ظهر في صورة الأشعة أن هناك فسحاً في أسفل العمود الفقري فقط. فقالت لي الدكتورة: هذا ليس له علاج إلا أن يشفيه الله تعالى.



البيمرالزوايا الشكر بأثار نبيك محمد

ثم بعد يومين تيسر لي وبركته بالشعرة النبوية الشريفة حيث مسحت لولدي عبد الله ظهره بها بلا حائل بفضل الله ثم كررت ذلك كلما تيسر لي إلى أن مضت سنة تقريباً فأخذته إلى مستشفى المقاصد حيث أجريت له صورة أشعة لموضع الفسخ فكانت النتيجة والمفاجأة أنه لا يوجد أي فسخ في العمود الفقري وذلك ببركة التمسح بشعرة النبي ﷺ. وقد أمعنت النظر بنفسي في تلك الصورة فلم أر ذلك الفسخ الذي ظهر في الصورة القديمة بفضل الله.

وقد انقطع عنه التبول (اللاإرادي) خلال نومه وذهب ألم ظهره، مع أننا لم نعطه أي دواء خلال هذه المدة سوى ما كان يتيسر لنا من مسحه بالشعرة النبوية الشريفة كما ذكرت، وأحياناً كان يشرب من ماء غُمس فيه الأثر الشريف إهـ.

٩ - ذكر جمال رمضان من منطقة سليم سلام في بيروت أن ابنته رنا وعمرها ثلاث عشرة سنة أصيبت بالتهاب في شرايين الدماغ، ما أثر على الجهة اليسرى من جسمها، فلم تعد تقوى على السَّيْر أو الوقوف، كما لم يعد بإمكانها حمل شيء باليد اليسرى. بعد إجراء الصور عُرضت على طبيب مختص في مستشفى تسمى «قلب يسوع» فقال: إنها بحاجة للوقت كي تتعافى وإنه لا بد أن يبقى أثر من الإصابة، ثم عرضت صور الأشعة على طبيب آخر في مستشفى تُسمى «أوتيل ديو» فوافق ما قال الأول، وقال إنه لا بد من بقاء ١٠ أو ٢٠٪ من أثر الإصابة وإن ذلك سيؤثر على طريقة مشيها. فأحضر بعضهم شعرة النبي ﷺ ومُسح بها على جسم البنت وموضع الإصابة كله، وما هي إلا أيام حتى عادت تمشي

رَأَى حَمْدَهُ ... أَحْشَاءَهُ

على رجليها، وتحسنت حالها حتى عادت إلى مشيتها الطبيعية،
علمًا أنه لم يكن مضي وقت طويل على الإصابة، والحمد لله.

١٠ - كانت صابرين عثمان من بيروت تعاني من وجود ما يُعرف
«بالفطريات الجلدية» في ظهرها، فتبركت بالشعرة الشريفة،
فذهب عنها ما بها بإذن الله تعالى وبركة نبيه الأعظم ﷺ.
كان ذلك في آذار من عام ألفين وخمسة.

١١ - تقول فائزة إبراهيم المصري من الجنوب: أنا من مواليد بيروت
١٩٥٤ كنت قد أصبت ببلاء يسمى «الجلطة» في النصف الأيمن
من جسدي ورأسي، وبقيت في المستشفى في النبطية ثمانية
أيام، وقد حركت رأسي ويدي، ولكن بقيت رجلي مصابة
وبلا حراك وبلا إحساس وبلا قدرة على المشي، وخرجت على
كرسي نقال إلى منزلي في الضاحية الجنوبية. ثم بعد ذلك
تمسحت بالشعرة الشريفة كثيرًا رجاء الشفاء، بعد ثلاثة أيام
استيقظت عند صلاة الصبح فأيقظت زوجي ليسندني لأدخل
الخلاء ولأتوضأ لأنني لا أستطيع المشي، فتوضأت وصليت ثم
نمت فرأيت رؤيا جميلة جدًا، ثم استيقظت وجلست فأحسست
أنني خفيفة ثم نزلت عن السرير لدخول الخلاء فوقف على
قدمي بعد نسياني أنني مصابة بجلطة وذهبت إلى الخلاء وبعد
عودتي انتبهت أنني أسير بلا عكاز وبلا مساندة ففرحت كثيرًا
وتمشيت في المنزل لتأكد بعد أن أيقظت زوجي وقصصت
عليه الرؤيا وأنا فرحة، والحمد لله على هذه النعمة.

١٢ - تقول ناريمان خالد العمري من البسطة الفوقا في بيروت:

البرازيل: الشكر بآثار نبيك محمد

أُصِبت خلال حادث سيارة خطير في رجلي اليسرى مما تسبب بضرر في الشرايين والأوردة وصرت معرضة لجلطة قوية. وبعد فترة من العلاج أمر الطبيب بأن أعمل عملية لكنني خفت من العملية، ثم تَبَرَّكْتُ بالشعرة النبوية وتوكلت على الله. وذهبت بعد فترة إلى الطبيب فقال لي: إنه لا حاجة إلى عملية. وإلى الآن لم أعد أحس بشيء من الوجع في المكان الذي أُصِبتُ فيه يوم الحادث.

١٣- هانية درويش من أهالي حلب في سوريا في تموز ٢٠٠٣، كانت مصابة بالسرطان في رجلها اليسرى، وكانت تُعالج بالأدوية حتى ساء الأمر وقرر الأطباء بتر رجلها، فتبركت بالشعرة الشريفة وتمسحت بها. وبعد ذلك ذهبت إلى المستشفى لأجل إجراء عملية البتر المقررة، ولكن قبل إدخالها إلى غرفة العمليات أجريت لها فحوصات وصور جديدة، فتعجب الأطباء تعجباً شديداً عندما رأوا أن المرض قد زال من رجلها وما بقي منه شيء وأنها لم تعد بحاجة إلى الدواء.

١٤ - احترقت يد بلال البواب من محلة سليم سلام في بيروت بمادة «التتر» ما سبب له ألماً شديداً واحمراراً، فذهب إلى مركز إطفاء ووضعوا له الدواء وغطوا له يده بالشاش، وطلبوا منه العودة في اليوم التالي لإزالة الجلد المحترق، ولكنه في نفس الليلة ذهب فتبرك بشعرة النبي المصطفى الأكرم ﷺ، ثم ذهب في اليوم التالي إلى المركز كما طلبوا منه، ولكن تبين أن المكان المحترق تحسن وأنه ليس بحاجة لنزع الجلد.

١٥ - يروي الحاج أبو أحمد محمد مُطيع أنه يوم الأحد ١٥/٦/٢٠٠٣

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَنَ عُرَى

حضر إلى مدينة كييف رجل من الأتراك الروس وولده البالغ من العمر سبع سنوات من منطقة تبعد نحو ٨٠٠ كلم أو يزيد للتبرك بالأثر الشريف، فعلم الشيخ تميم أن الولد لا يتكلم فقال في نفسه: للبركة ونية الشفاء أقرأ له على لسانه مع وضع الزجاجة التي فيها الشعرة الشريفة على لسانه. وبعد نحو أسبوع جاء إلى المدينة تلميذ وقال إن الوالد أخبرني أنه بعد خروجهم من المسجد تعجب لما رأى ولده يتكلم، والحمد لله.

١٦- وفي نفس اليوم أي الأحد في ٢٠٠٣/٦/١٥ كان يوم وداع شعرة النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الرحمة وسط العاصمة الأوكرانية كييف. دخل رجل أذري - من أذربيجان - ببطء شديد إلى المسجد لرؤية الشعرة النبوية الشريفة للتبرك بها. هذا الشخص كان طريح الفراش لا يستطيع المشي كالمشلول أو ربما كان مشلولاً، وقد زاره شخص لعلاج مستعملاً الزيت الذي عُمت فيه الشعرة النبوية، فشفي بإذن الله.

١٧ - كانت الطفلة ياسمين بلال سامي دمشقية من قسقص في بيروت تعاني من الصمم وعدم القدرة على النطق بنسبة عالية، وتبين للطبيب بعد فحوصات في مختبرات «يموت» أنها تحتاج إلى سماعات لأذنيها، وأنه مطلوب إجراء معالجة لمشكلة الكلام لديها. فطلب جد الطفلة الحاج سامي دمشقية أن تبرك بالشعرة الشريفة وأن توضع على أذنيها وعلى فمها ففعل ذلك. ثم أعيد الفحص في مختبرات «الجامعة الأميركية» في بيروت فتبين أن سمعها جيد جداً، وأنه ذهب عنها ما بها وبدأت بالكلام وظهر أنها لا تحتاج إلى علاج لأذنيها ولا للسانها.

البئر الزوايا الشكر بآثار نبيك محمد

١٨ - مريم جهير من عفيف الطيبي في بيروت كانت تعاني مما يُعرف بـ «كهرباء» في الرأس، ومضى على استمرار علاجها نحو سنتين، وكان الطيب قد طلب من أمها إعطاءها الدواء يومياً ولمدى الحياة فتبركت بشعرة النبي ﷺ فشفيت وعادت إلى سابق عهدها وهي في أحسن حال، ولم تعد تأخذ أية حبة دواء.

١٩ - لقد كان محيي الدين بدران المشهور بالدعبول من البسطة الفوقا في بيروت يشكو من درنة في ظهره، وباستئصالها تبين أنه نوع من أنواع السرطان. وقبل إعادة العملية له لأجل توسيع مكان الاستئصال في العملية الأولى حتى لا يبقى أثر لخلايا سرطانية، تبرك بالشعرة الشريفة، وعندما أجريت له العملية التوسيعية وزرعت الأنسجة المستأصلة مرة ثانية تبين أنه لا يوجد أثر للمرض وتعافى، ومنذ ذلك الوقت لا يشكو من شيء.

٢٠ - كان لطارق دلال من بيروت كلية لا تعمل، فطلب الطيب عملية جراحية وحدد الموعد في تشرين الثاني ٢٠٠٢، فأرسل حسام حجازي لهذا الشاب ماءً مقروءاً عليه القرءان وغمست فيه الشعرة الشريفة، فشرب منه، ومسح به على موضع الكلية المريضة. ثم في اليوم التالي ذهب إلى المستشفى لإجراء العملية فتبين للطيب أن الكلية قد عادت تعمل وأنها عادت أحسن من الأخرى السليمة وأن أمراً خارقاً حصل. ذكر ذلك حسام حجازي في بيروت في ١٧/١٢/٢٠٠٣ .

٢١ - ذهب «خضرة حسن» من محلة برج أبي حيدر في بيروت إلى طبيب الأسنان لإصلاح بعض أضرارها، فطلب منها صورة

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَبُ

شعاعية للثة والفكين، وعرضها على اختصاصي لثة ثم أخبرها أنها ستخسر جميع أسنانها قريباً، لأن التهاب اللثة قد أدى إلى ذوبان العظم حول الأضراس، وقرر إجراء عملية جراحية لتنظيف الجير واللثة. ذهبت «خضرة» إلى ثلاثة أطباء آخرين فكرروا الكلام نفسه. ولما اقترب موعد العملية اتصلت بها أختها وأخبرتها أنّ شعرة الرسول ﷺ موجودة في مكان كذا لأجل أن تأتي وتترك بها ففعلت. وفي اليوم التالي توجهت لإجراء العملية، وبعد تحضير غرفة العمليات في المستشفى، دخلت الغرفة استعداداً للعملية، وجاء الطبيب ليكشف على اللثة ويعطي التعليمات الأخيرة، لكنه قرر إلغاء العملية والاكتفاء بتنظيف الجير ومعالجة الالتهاب من دون شق اللثة.

٢٢- ذكرت لبنى أسامة السيد من الروضة في البقاع أنها أعطت امرأة أردنية ماءً مباركاً بالشعرة الشريفة فتعافت من سرطان المعدة بفضل الله تعالى.

٢٣ - حياة حمود من قصص في بيروت كانت تعاني من ءالام شديدة في بطنها، استمر نحو ستة أشهر، حتى ذهبت إلى مستشفى «ولكر» في دبي للعلاج فأجرت الفحوصات وصوراً صوتية، ولكن لم يظهر فيها أي شيء يدل على وجود مرض ما. ولشدة الآلام كانت تتناول كل يوم علبة مسكن كاملة، ثم أعيدت إلى لبنان على الكرسي النقال لشدة الألم. ثم أرسلت الفحوصات التي أجرتها إلى لندن وبقي الأمر كما هو، واستمر الألم حتى طلب الطبيب إجراء صورة مغناطيسية. ثم تبركت بالشعرة النبوية ومسحت على موضع الوجع فشفيت في الحال،

البراءة التي أنزلها الله على نبيه محمد

وعلى ذلك تشهد الحاجة فائزة الريان الحارس.

٢٤ - ذكر سليم شميظلي من محلة الأوزاعي بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/١٨ أن ابنته سوسن قد أصيبت بمرض في رأسها وعينيها حتى انقلبت عيناها إلى الخلف وظهر البياض أكثر من السواد، فأخذها إلى اختصاصي في هذا المرض فقال إنها تعاني من هزة حائط وأعطاه دواءً اسمه (depakin). ثم تبركت البنت بالشعرة الطاهرة الشريفة فذهب عنها المرض وما كان في رأسها وعينيها، وما عادت تشكو من المرض إطلاقاً.

٢٥ - كان الطفل جمال نبيه الصايغ من عرمون ابن الثلاث سنوات مريضاً جداً ويمكث في المستشفى معانياً من هبوط في صفائح الدم، فبرك بالشعرة الشريفة، ثم لما استيقظ صباحاً خرج منه غائط بلون أسود، ومن وقتها تعافى وأخرج من المستشفى، وما عادت إليه تلك الحالة بعد ذلك، والحمد لله على نعمه.

٢٦ - الطفلة آية إبراهيم فهيم من البسطة الفوقا في بيروت كانت تبلغ من العمر تسع سنوات، وهي تقطن في محلة البسطة الفوقا في بيروت، صدمتها شاحنة ما استدعى نقلها إلى المستشفى وهي في حالة الخطر الشديد وفقاً لتقرير الطبيب سامي القواس الذي أشار إلى وجود جرح نازف في الطحال، وثقب في إحدى الرئتين وبعض الكدمات والرضوض وكسر، فأحضرت الشعرة الشريفة وبركت بالشعرة بلا حائل، فتحسنت حالتها تدريجياً وبشكل مستمر حتى تماثلت للشفاء في غضون عشرة أيام.

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَأَعْتُ

٢٧ - حكى منى سمو من البسطة في بيروت قصة ابنها محمد صلاح سمو البالغ من العمر ١٢ سنة، كان يعاني مما يُعرف بـ «كهرباء» في الرأس لمدة أربعة أشهر فعرض على طبيب اختصاصي فقال: إن الكهرباء عند الولد قوية جداً، وإنه يحتاج إلى علاج طويل، فبركته أمه بشعرة النبي ﷺ، ثم راجعت الطبيب بعد ثلاثة أشهر، فقال: إنه لا كهرباء في رأس الولد. وهذا بإذن الله وبفيض بركات أثر النبي ﷺ الطاهر.

٢٨ - قالت رنا عيتاني في بيروت إنها استيقظت يوماً وفوجئت بأنها لا تسمع في أذنها اليمنى أبداً، فقصدت عدة أطباء اختصاصيين فأخبروها أن درجة سمعها صفر وأن الأمر خطير جداً، وأمهلوها عشرة أيام للعلاج المكثف، فيما أن يعود سمعها خلال هذه المدة، وإلا فلن تسمع أبداً مدى الحياة، وقالوا إن هذه الحالة تحصل عادة بلا عوارض فجأة. استمرت في العلاج مع أحد الأطباء رغم كونه لم يعطها أي أمل بالشفاء، وبعد نحو عشرين يوماً أخذها والدها فتبركت بالشعرة الشريفة بلا حائل، وأدخلوا لها الشعرة المباركة في أذنها، ثم بعد بضعة أيام وقبل النوم سألت الله أن يشفيها بجاه رسول الله ﷺ، وفي الليلة ذاتها رأت النبي ﷺ في الرؤيا، ثم لما استيقظت صباح ذلك اليوم عاد إليها سمعها، والحمد لله.

٢٩ - في عام ٢٠٠٥ عانى الحاج يوسف النقري من محلة البسطة في بيروت من دوار حاد وإحساس بالتقيؤ، فاستشار الطبيب الذي أجرى له تخطيطاً للقلب عند الجهد فأشار عليه بدخول المستشفى لإجراء ما يسمى «الميل»، فدخل إلى مستشفى



البيمرالزوا الشبرك بأثار نبيك محمد

الساحل في محلة الغبيري وعُمل له الميل، فتبين وجود انسداد في الشريان التاجي في القلب بنسبة كبيرة ما يمنع مرور الدم إلا بكميات قليلة وأن ذلك يحتاج إلى تركيب ما يسمى «روسور» (لأنه يمنع انسداد الشريان). خلال تحضير الحاجّ النقري نفسه لإجراء العملية تبرك بلا حائل بشعرة النبي الأعظم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. ثم لما دخل غرفة العمليات في مستشفى «رياق» في محافظة البقاع اللبنانية وبدأ الأطباء بإجراء العملية فكانت المفاجأة الكبرى لهم أنه لم يظهر أي أثر للانسداد، فطلب الطبيب التصوير الأول، فتبين فيه موضع الانسداد الذي كان موجوداً، فزادت دهشة الطبيب الذي قال إن الانسداد قد ذهب.

٣٠ - طفلٌ صغيرٌ اسمه «محمد منصور علي خان» من محلة خندق الغميق في بيروت وقع على رأسه تلفزيون كبير فنقل على الأثر إلى المستشفى حيث أجريت له صورة الأشعة فتبين وجود كسر في الجمجمة، فبرك أهله بشعرة النبي المباركة الشريفة ومسحوا له بها على رأسه ثم أعادوه إلى المستشفى فأجريت له صورة أخرى بالكومبيوتر، فأخبرهم الطبيب أن لا وجود لأي كسر في رأس الصبي ما عدا بعض الخدوش، الأمر الذي أذهل الطبيب وأثار تعجبه. وفي اليوم التالي قام الصبي يلعب وكأن شيئاً لم يكن.

٣١ - في شهر كانون الأول سنة ٢٠٠٣ أحسّ أحمد محمد رجب من محلة النويري في بيروت بألم شديد ناحية القلب وصار يعرق، فنُقل مباشرة إلى المستشفى حيث بدأ نحو ثلاثة أو أربعة

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَأَعْتُ

أطباء بمعالجته، ولكن الوضع استمر كما هو، وصار يرتجف بهيئة المُحتَضِر، فأحضرت له شعرة النبي الأكرم ﷺ ووضعت على موضع الألم قرابة الساعة، فعاد سليماً معافى، وكأنه لم يكن به شيء، بفضل الله تعالى وبركة نبيه ﷺ الكريم.

٣٢- كان ربيع البطل، وهو من برج أبي حيدر في بيروت، يعاني من ألم شديد في ركبته (تحديداً عند الجلوس والسجود للصلاة)، استمر نحو ثلاث سنوات، فعمل صورة مغناطيسية في مستشفى البربير في بيروت، ولكن لم يعرف الأطباء سبب الألم. وأثناء سفره في إحدى المرات كان يجلس في السيارة والبرد قارسٌ ما سبّب له ألماً شديداً في ركبته، فتيسر له أن يتبرك بالشعرة الشريفة فوضعها مكان الألم بلا حائل، وما هي إلا فترة قصيرة حتى ذهب الألم وما عاد إليه رغم جلوسه لمدة طويلة، وذهب عنه الألم في الجلوس والسجود في الصلاة بفضل الله تعالى.

٣٣ - كان في اليد اليسرى للحاج عبد الناصر رجب من وطى المصيطبة في بيروت دملة كبيرة وقاسية، فوضع عليها شعرة النبي محمد ﷺ فذهبت عنه تلك الدملة وما عاد يحسُّ بالألم بإذن الله وبركة نبيه عليه الصلاة والسلام.

٣٤ - الحاجة زينب خليل المدهون (أم جمال الصايغ) من الزيدانية في بيروت كانت تشكو من حساسية حادة حتى إنها فقدت حاستي الشم والذوق مدة أربع سنوات، وعجز الأطباء عن معالجتها، ثم رأت الشعرة الشريفة، وما إن فتحت العلبة التي فيها الشعرة المباركة وشمتهما حتى تعافت بإذن الله تعالى.

الأمراض والشكر بآثار نبيك محمد

٣٥ - قال الحاج محمد ترجمان من محلة البسطة في بيروت إنه كان يعاني من ألم في وركه يمتد إلى أسفل القدم ما يسبب له ألماً شديداً يكاد لا يُحتمل لا سيما عند الوضوء، وفي مساء يوم الجمعة ٢٠٠٤/٦/١١ تبرك وتمسح بالشعرة الشريفة، وبعد وقت قصير أحس أن الألم قد زال، فقام ببعض الحركات التي كانت تسبب له الألم فلم يعد يشعر بشيء مما سبق.

٣٦ - أُصيبت الحاجة أمينة عميرات من محلة وطى المصيطبة في بيروت في شبكية إحدى عينيها، وبدأت بالعلاج حتى قطع الأطباء الرجاء من شفائها، وأشاروا عليها بالتزام أخذ الأدوية، لكنها تبركت بشعرة سيدنا محمد خير المرسلين والعالمين ﷺ فعوفيت بإذن الله تعالى، حتى طلب الطبيب منها إيقاف الأدوية، لأن شبكية العين قد عوفيت بإذن الله.

٣٧ - ذكر حسام حجازي أن الحاجة أم أمين عبد الله من بيروت كانت تعاني من ضعف في بصرها بالنسبة للمسافة البعيدة وكانت عينها تدمع باستمرار، فبركت بشعرة النبي الشريفة واكتحلت بها بلا حائل، فتعافت في اليوم التالي بحمد الله.

٣٨ - كانت نسرين حمد قطاع من الطريق الجديدة في بيروت تشكو من كيس دهني في أعلى الظهر وفقاً لتقرير الطبيب الجراح رمضان بشناتي، وكان قد قرر إجراء عملية جراحية لاستئصال المرض، ويذكر في تقريره أن نسرين تبركت قبل العملية بالشعرة الشريفة ثم حضرت إليه بعد حوالي ثلاثة أسابيع من تبركها بالأثر، وكان قد حجز لها موعداً لإجراء العملية في ٢٠٠٤/٧/٢٢ ولكنها لما حضرت بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٠ لم

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَأَعِدُ

يجد أثرًا للكيس فألغى العملية.

٣٩ - كانت زينة عبد السلام سمرجي تعاني من ثقب في القلب، فتبركت بشعرة الهادي محمد ﷺ، ثم عاينها الطبيب بعد ذلك فأخبر والدها أن ابنته قد شفيت مما كانت تعاني، والحمد لله.

٤٠ - عبير تمر زوجة عدنان حليبي من البسطة في بيروت كانت تعاني من ألم في يدها لمدة خمس سنوات، وقد عرضت حالها على أطباء كثيرين وأخذت أنواع الأدوية المختلفة ولكنها لم تتعاف. وفي أحد الأيام يسر الله لها أن تتبرك بشعرة النبي الشريفة، فتعافت وشفيت بإذنه تعالى.

٤١ - كان ياسين مارشو من بئر حسن يصيبه صداع شديد في الرأس يصاحبه ألم شديد في عينيه حتى إنه لم يكن يرى جيدًا. وفي العام ٢٠٠٢ تبرك بالشعرة الشريفة واكتحل بها بلا حائل، فأحس بحرقه في عينيه، ثم إن الألم زال من رأسه وتعافت عيناه وصار بصره أحسن بكثير بفضل الله تعالى.

٤٢ - كان زكريا فخرو من محلة النويري في بيروت يعاني من ألم شديد وحرقة مؤلمة حول القلب، حتى لم يعد يقوى على أي جهد ولو كان بسيطًا، ولما عاينه أحد أطباء القلب في بيروت وأجرى له الفحوصات والتحاليل الطبية، وعين له موعدًا لإجراء تخطيط جهد للقلب. وقبل الموعد بيوم واحد تبرك زكريا وتمسح بالشعرة النبوية الشريفة، ثم أجرى ذلك التخطيط فلم يحس بأي تعب رغم استمرار التخطيط ما يقارب ٤٥ دقيقة، وأخبره الطبيب أنه لا يعاني من شيء في القلب.

البيمرالزوايا الشكر بأثار نبيك محمد

٤٣ - أُصيب وسام جعنا من البسطا في بيروت وهو صغير بما يُسمّى «بالثعلبية» من فصيلة ما يسمونها بالأنثى، كانت تذهب وتعود حاصدة معها الشعر. فزار العديد من الأطباء وخبراء الأعشاب في لبنان والسعودية، ولكن دون جدوى. ثم في العام ١٩٩٦ زار السعودية فوضع طبيب أبراً في رأسه ولكن دون فائدة، وبقي على هذه الحال حتى لم يبق من شعر رأسه أو وجهه أو جسمه أي شعرة واحدة، وفي العام ١٩٩٨ أخبره الأطباء في لبنان أن لا أمل بأن ينبت شعره مجدداً. لكنه تبرك بشعرة النبي الأكرم ﷺ على نية زهاب مرضه، وفعلاً عاد شعره وكأنه لم يتساقط من قبل، حتى ظن الناس أنه أجرى عملية زرع للشعر.

٤٤ - أخبر أحد الأطباء أبا أحمد بشتاوي أن إحدى كليتيه مصابة بالسرطان، وأجريت له عملية استئصلت فيها الكلية المصابة، وفي اليوم التالي أخبره الأطباء بوجود شريان حول المسالك البولية مصاب بالسرطان أيضاً، فأتي بشعرة النبي الهاشمي محمد خير خلق الله ﷺ، فتبرك بها، ومسح بها على بطنه. وكانوا قد حددوا له موعداً لإجراء العملية لذاك الشريان المصاب بعد ثلاثة أيام، وقبل يومين من إجراء العملية أعيد إجراء الفحص، فتبين خلوه من مرض السرطان كلياً، بفضل الله تعالى.

٤٥ - امرأة من آل الحفار من دمشق كانت قد أصيبت بالفالج في يديها ورجليها، وأمضت نحو السنتين وهي لا تتكلم، وبعد أن عجز الأطباء عن معالجتها مما فيها، أحضرت لها شعرة النبي عليه الصلاة والسلام فتبركت بها، فتعافت وتكلمت بإذن الله.

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَنَ

والشيخ عبد المالك السَّعدي شيخ الزاوية السَّعدية في دمشق هو من بَرَّكها بالشعرة الشريفة وروى الحادثة. وهذه الزاوية يُبْرِك فيها إلى الآن بالشعرة النبوية الشريفة في شهر رجب وفي شهر ربيع وفي يوم التماس ليلة القدر

٤٦ - أصيب محمد قباني من بيروت بنزيف حاد في إحدى عينيه، منعه من الرؤية بها، وقال الأطباء إنه ليس هناك إلا الانتظار ليذهب الدم وحده بدون إجراء أي عملية، ولكن يلزم ذلك وقت طويل. فذهب محمد واكتحل بشعرة النبي الأعظم محمد ﷺ، ثم عاد إلى بيته ونام، ولما استيقظ صباحًا وجد أن عينه عادت إلى طبيعتها بإذن الله وعاد يرى كما كان.

٤٧ - زينب وليد فخرو من السويد تعيش مع والدها في السويد، وقد عانت من فقدان بصرها بنسبة ٩٠٪، فوصف لها الأطباء نظارات سميكة جدًا، وبقيت على حالتها الصعبة مدة شهر. ثم تبركت ومسحت عينها بالأثر الشريف فعاد بصرها في غضون ثلاثة أيام بعون الله وبركة النبي ﷺ.

٤٨ - كانت الحاجة نهى مناصفي من محلة الضناوي في بيروت تشكو من آلام حادة في فقرات العمود الفقري، حتى إنها كانت تحبو حبوًا من شدة الأوجاع، وأخبرها الأطباء أنها تعاني من «ديسك» وأنها إذا أرادت إجراء عملية جراحية فهذا خطرٌ، وإن لم تُجر العملية فهي في خطر أيضًا، فاحتارت في أمرها، وبقيت على هذه الحال نحو شهرين، حتى أخذت لها شعرة أحمد الهادي النبي المبارك عليه الصلاة والسلام فتبركت وتمسحت على نية الشفاء، فتعافت بإذن الله وعادت تمشي كما كانت

الأمراض التي تسببها بآثار نبيك محمد

قبل مرضها.

٤٩ - في شباط ٢٠٠٤ مرضت الحاجة أم وليد دبوس من الزيدانية في بيروت، فطلب منها الطبيب أن تجري عملية لنزع الرحم لوجود مرض السرطان فيه، إلا أنها تبركت بشعرة النبي ﷺ الشريفة فتعافت بإذن الله تعالى، وأجرت فحوصاً جديدة فتيين أن المرض قد زال بحول الله وقوته وبركة نبيه ﷺ، ولم تجر أية عملية جراحية.

٥٠ - امرأة اسمها فريدة خالد فخر الدين من قرية الناعمة القريبة من بيروت، كان عندها ضعف في النظر لمدة ١٩ سنة وهي تضع النظارات، لما تمسحت بالشعرة النبوية تركت النظارات وما عادت بحاجة إليها.

٥١- عانت إحدى قريبات الحاج زياد شومان من صيدا وهي فتاة صغيرة من ضعف حاد في السمع في إحدى أذنيها، وفقد الطبيب الأمل بعودة سمعها إلى طبيعته، فتبركت بالشعرة الشريفة ووضعتها على أذنها بعد أيام قليلة ذهبت البنت إلى الطبيب فأجرى لها تخطيطاً للسمع، وعندها ذهل فقد عاد سمعها إلى طبيعته، والحمد لله.

٥٢- قالت سلام الأبيض زوجة عارف عبد الجليل من محلة برج أبي حيدر في بيروت إن زوجها تعرض لحادث سير قوي أدى إلى كسر في جمجمته ونزيف في الرأس وكسرين في رجله اليسرى وذلك بتاريخ ٢٠٠٦/٢/١٣ فأدخل إلى العناية

رَأَى حَمْدَهُ ... أَحْشَاءَهُ

الفائقة للمراقبة بسبب حالته الخطرة جداً. ثم بُرِكَ بالشعرة الشريفة، ومُسح له بها على رأسه وعينه. بعد ذلك بدأ عارف عبد الجليل بتحريك يديه ورجليه، ثم تَنَاءَبَ وفتح عينيه. وبدأ بالتحسن المستمر يوماً بعد يوم حتى شُفي والحمد لله.

٥٢- تزوّجت رنا حمصي من بيروت ولم تستطع أن تحمل حتى بعد علاج دام ثماني سنوات وإجراء ما يسمونه التلقيح الاصطناعي عدة مرات. ثم تبركت هي وزوجها بشعرة النبي ﷺ، وبعد مرور شهر حملت، واستمر حملها بإذن الله تعالى ووُلِدَتْ بنتاً والحمد لله.

٥٤- امرأة من سكان مخيم شاتيلا في بيروت من آل الحسين كان الطبيب قد قرر لها عملية جراحية في رأسها، لكنها قبل ذلك رأت الشعرة النبوية فتبركت بها ووضعتها على المكان الذي ستجري العملية فيه، بعد ذلك ذهبت إلى طبيبها فعاينها وأخبرها بأنها ما عادت تحتاج إلى تلك العملية الجراحية.

٥٥ - امرأة من سكان مخيم شاتيلا في بيروت اسمها نوال فريحة كانت تعاني من مرض في إحدى عينيها بحيث لا ترى بها جيداً، فتبركت بشعرة النبي الشريفة ودعت الله فتعافت بلحظتها بإذن الله القادر.

٥٦- رجل من آل قرانوح من الضاحية الجنوبية لبيروت كان يعاني من ألم في ركبته اليمنى لمدة عشر سنوات تقريباً، ذهب إلى أطباء كثير منهم الطبيب جلال الناطور، والطبيب رياض الفقيه، فأخبروه أنه يحتاج إلى عملية جراحية لما يُعرف

البرازيل والشرك بأثار نبيك محمد

«بالغضروف»، فلم يفعل ذلك، حتى وصلت حاله أن عجز عن السجود في الصلاة فصار يصلي وهو قاعد على الكرسي. وخلال شهر آب ٢٠٠٤ تبرّك بالشعرة الشريفة، فانتفخت رجله كما لو أجريت لها جراحة، وبعد نحو سبع دقائق عادت طبيعية، فحركها بصورة عادية ثم قام فسجد بصورة طبيعية، وذهب عنه الألم بفضل الله.

٥٧ - كانت الحاجة أم محمد جوهر وهي من أهالي محلة كركول الدور في بيروت تعاني من ءالام شديدة في ظهرها فاستعملت أنواع الأدوية المختلفة، وزارت الأطباء، ولكن دون جدوى. فما كان منها إلا أن تبرّكت بقطعة من قميص النبي عليه الصلاة والسلام ومسحت بها ظهرها، فشفيت بإذن الله القادر، وذهب عنها الألم، ولم تعد تشكو من شيء حتى تركت كل الأدوية.

٥٨ - كان عبد الرحمن محمد الملا من البسطه التحتا في بيروت يتمرن ويرفع الأثقال مدة اثنتي عشرة سنة بعد ذلك تبين أنه يوجد عنده عظم ناتئ عند كتفه الأيسر ما سبب له ءالامًا وأوجاعًا مستمرة، فأجرى الصور وكانت كلها تثبت وجود تلك العظمة، واستمر الألم نحو ست سنوات، تعالج خلالها عند خمسة أطباء أجمعوا على إجراء عملية جراحية له. في البداية فزع من الجراحة فانصرف عنها، ولما اشتد الألم كثيرًا عاد فقرر إجراء العملية. ثم يسّر الله له أن يتبرك بالشعرة الشريفة، ومسح موضع الألم، فذهب النتوء والألام بإذن الله تعالى وبركة نبيه الأكرم ﷺ.

٥٩ - إبراهيم كامل عميرات من محلة برج أبي حيدر في بيروت،

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَنَ عُرَى

وقع مرة على ظهره فأصيب برضوض سببت له ءالماً مبرحة في فقرات العمود الفقري وبعض العظام، فتبرك بقطعة من قميص النبي ﷺ مسح بها على ظهره فذهب عنه الألم فوراً.

٦٠ - قال حسن جدائل من محلة أبي سهل في بيروت في ٢٣/٧/٢٠٠٤ إنه منذ حوالي ست سنوات وهو يعاني من أوجاع في إحدى عينيه بسبب تعرضه للأسيد ما سبب له احتراقاً في شبكة العين، وارتخاء في عضلاتها، ما يبقها مفتوحة ويسبب فيها احمراراً وحرقة شديدة، ما يدفعه إلى إبقائها مغلقة أثناء النهار لترتاح. ثم تيسر له أن يتبرك بشعرة النبي الشريفة، فما عاد يشعر بشيء مما كان يعاني، وذهب الاحمرار والحرقة والارتخاء، بفضل الله عز وجل.

٦١ - بلال عبد اللطيف قاطرجي من محلة برج أبي حيدر في بيروت عانى من ءالام شديدة في صدره ورأس معدته. تبرك بقطعة من قميص النبي محمد ﷺ فشفي ببركة النبي ﷺ.

٦٢ - قال الحاج توفيق فايد: علمت أن عند أسامة الأسير شرياناً مسدوداً في قلبه وهو بصدد عملية يوم غد، فأعطيته حبة ملبس بالشكولاته مسح عليها بالشعرة النبوية المباركة، فأكلها. وفي اليوم التالي اتصل بي وأخبرني أنه بعد الفحوصات في المستشفى تبين أن كل شرايين جسمه سليمة (مدينة ديربورن في ولاية ميشيغين الأميركية عام ٢٠٠٥).

٦٣ - قال الحاج أبو ربيع المصري في سنة ٢٠٠١ توجه سرحان سرحان إلى مستشفى «كلابك» - في مدينة «آسن» الألمانية

البر الأوفى الشكر بأثار نبيك محمد

لزيارة بنت تركية عمرها ١٨ سنة واسمها أوكل سل شاهين، تجمّع القيح تحت جلدة رأسها وفقدت السمع والبصر والكلام، وأخذت إلى العناية الفائقة للعلاج، وكانت تتقيأ ما تشربه، فأعطى والدها ماءً فيه غمست الشعرة النبوية الشريفة، فشربته. وكانت أمضت أربعة أيام في العناية الفائقة، والأطباء يعملون لها الفحوصات والتحليل فاستيقظت في الصباح وهي تسمع وتتكلم وترى، والأطباء متعجبون كيف ذهب القيح، ثم خرجت من المستشفى في اليوم الخامس.

٦٤- منذ سنة ٢٠٠٤ كان لؤي جهاد برو يعاني من ضعف في السمع فأخذته أمه إلى الدكتور محمد عيتاني فأخبرها أنه يوجد عنده ضعف في سمعه ويحتاج إلى عملية جراحية فوراً لأنه فقد من سمعه ٧٠٪ ولم يبق إلا ٣٠٪ وحدد موعد العملية. وبعدها بُرّك بالشعرة الشريفة ووضعت على أذنيه. ويوم العملية بعد يومين فحصه الدكتور أكثر من مرة فاستغرب وقال أصبح نسبة السمع ٧٠٪.

٦٥- يقول عماد مكداشي من محلة برج أبي حيدر في بيروت: تزوجت في أواخر سنة ١٩٩٩ وبعد مرور ستة أشهر لم تحمل زوجتي فراجعت طبيباً بعد إجراء بعض التحاليل فأخبرني أن الحالة صعبة جداً. ذهبت من طبيب إلى آخر ومن طبيب أعشاب إلى آخر، وصرفت ما يقارب العشرة آلاف دولار حتى أيار ٢٠٠٤. ثم كنت يوماً أستمع إلى درس عن بركات الشعرة النبوية وما حصل من عجائب بعد التبرك بها. فقصدت من عنده الشعرة الشريفة وتبرّكت بها. وفي حزيران حملت زوجتي ثم جاءت ببنت.

رَأْسُ مُحَمَّدٍ ... أَحْسَنُ

٦٦ - كان يوجد عند صلاح سوبرة من بشامون في كتفه الأيمن تكلس، وعادةً لا يذهب هذا الشيء إلا بعملية، فتمسح بالشعرة المباركة، وبعد فترة عمل صورة لكتفه فلم يُرَ أثر للتكلس، ويشهد على هذا الدكتور محمد صادق زيدان.

٦٧ - قال محمد وإبراهيم نجارين ولدا الحاج عبد الله نجارين: إن والدهما وقع وانكسرت جمجمته من الخلف وأصيب بنزيف ووقع في غيبوبة، وعندما أُجريت له عملية جراحية في مستشفى «بهمن» في الضاحية الجنوبية لبيروت قال الأطباء: إن أمل النجاة واحد في المئة. ثم بُرِكَ بالشعرة النبوية الشريفة فتوقف النزيف واستفاق من الغيبوبة، وصار يتكلم بفضل الله.

٦٨ - صبي عمره ثماني سنوات وهو ابن الحاج جهاد عيتاني من بيروت أُجريت له عملية جراحية في اللثة بسبب التهابات فيها، وكان خده وارماً، فجيء بالشعرة الطاهرة المباركة فُمسح بها على خده، ثم في اليوم التالي أخبر الصبي أمه أنه لا يشعر بأية أوجاع، ففتحت فمه ونظرت فلم تجد أثراً للجرح، وذهب عنه الورم.

٦٩ - أُصيبت أم بلال الزين من ألمانيا بجلطة في الدماغ وأدخلت المستشفى وأصابها شلل نصفي ولم تعد تستطيع أن تحرك يدها ولا رجلها ولم تعد تتعرف على الأشخاص، وقال الدكتور إنها تحتاج إلى عملية في رأسها وإنها تحتاج إلى طبابة وعناية طويلتين حتى تعود كما كانت. ثم تبركت بالشعرة النبوية الشريفة فعادت تتكلم وتحرك يدها ورجلها فتعجب الأطباء والممرضات، وما عادت تحتاج إلى عملية، وبعد يومين قامت ومشى والحمد لله، وتحتجبت بسبب ذلك.



البيمرالزوايا الشكر بأثار نبيك محمد

٧٠ - الحاجة زينب خليل المدهون (أم جمال الصايغ) من محلة الزيدانية في بيروت أثناء عودتها في أحد أيام رمضان إلى منزلها وقعت على ظهرها، وبعد إجراء الصور الشعاعية تبين وجود كسر في الفقرة الثالثة من عمودها الفقري، وطلب الطبيب إجراء عملية جراحية لها. فما كان منها إلا أن تبرّكت بالشعرة الشريفة. بعد ذلك ذهبت وعملت صورة الأشعة، فذهل الطبيب إذ عاد كل شيء كما كان طبيعياً بإذن الله تعالى.

٧١ - الصيدلاني شوقي شعبان برّك بالشعرة الشريفة شخصاً من آل فوّاز مصاباً بالسرطان في الغدد اللمفاوية وكان جسمه أصبح أزرق من شدة المرض، ولما تبرّك بالشعرة المباركة انصرف إلى بيته وصار يتقيأ بشدة حتى عاد لون جسمه إلى طبيعته. ثم ذهب إلى مستشفى رزق فأخبره الأطباء أن المرض قد ذهب عنه وطلبوا منه إجراء فحوصات عادية بعد شهرين للتأكد كلياً من ذلك. وهذا الرجل الآن بصحة جيدة، والحمد لله.

٧٢ - رجل من آل فوّاز من الإقليم كان مريضاً جداً في المستشفى العسكري، حتى صار يهذي في الكلام لاحتمال وجود تورم في رأسه، وتعب شديد في القلب. فأخذت له شعرة النبي ﷺ فتبرّك بها فذهب عنه ما كان وشفي بإذن الله.

٧٣ - ولدٌ عمره أربع سنوات واسمه أدهم إبراهيم من قرية الهري شمال لبنان وقع على رجله فكسرت، فوضعت له الجبيرة، ولكن الطبيب قرر أن يُجري عملية جراحية لإعادة العظم إلى مكانه ثم بعد ذلك زاد الأمر بأن وقعت أخت الصبي على رجله المكسورة، فصار يصرخ من شدة الألم، فجيء بالشعرة

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَنَ عُرَى

المباركة الشريفة ووضعت مكان الألم، وكذلك في اليوم التالي أيضاً عاد فمسح بالشعرة الشريفة مكان الكسر وصار يُقبلها، بعد ذلك ذهب للطبيب لإجراء صورة أشعة جديدة فذهل الطبيب إذ لم يجد أثراً لما رآه منذ يومين عند وضع الجبيرة للصبى، فشفي ببركة رسول الله الطاهر ولم يحتج لتلك العلمية والحمد لله.

٧٤ - ومن بركات وفوائد الشعرة النبوية الشريفة ما حدث مع فتاة عمرها ثمانية عشرة عاماً، مصابة بمرض السرطان في أسفل عامودها الفقري، وكان المرض قد منعها من القدرة على المشي. وهذه البنت كانت تتعالج في إحدى مستشفيات ألمانيا، فطلبت والدتها اليمينية أن تؤخذ شعرة النبي عليه الصلاة والسلام لابنتها لتتبرك بها، عليها تتعافى بإذن الله تعالى. وهكذا حصل، إذ أخذ الشعرة إليها فتبركت ومسحت بالشعرة الشريفة على عامودها الفقري، وعلى رجليها، وبعد أسبوع تقريباً تعافت الفتاة مما فيها، وأصبحت قادرة على المشي بإذن الله، فتفاجأ الأطباء وذهلوا لما جرى والحمد لله على كل حال. والحاج أبو فادي بعلبكي من مدينة مان هايم الألمانية هو الذي أخذ لها الشعرة ويشهد على حصول هذه الحادثة.

٧٥ - الشيخ طارق اللحام أخذ الشعرة الشريفة في ٥ - ٥ - ٢٠٠٣ لزيارة أحد أقرباء زوجته من آل ترجمان وكان قال له الأطباء أنه مصاب بالسرطان في إحدى كليتيه وأنه يحتاج لعملية جراحية فمسح له بالشعرة الشريفة على جسمه وعلى كليتيه فشفي بإذن الله الكريم وبركة نبيه العظيم عليه الصلاة والسلام.

البرازيل والشرك بأثر نبيك محمد

٧٦ - شخص من آل عبود من محلة البسطة الفوقا والده الحاج يوسف قاسم عبود كان يُتابع دورة رياضية قاسية ومتعبة جداً مدتها ستة أشهر وفي أثناء الشهر الأخير تعرض لحادث أدى إلى خلع كتفه فأحدث فجوة سنتمتراً وفقاً لصور الأشعة فإشار الأطباء عليه أنه لا بدّ من التوقف عن التمارين وربط الكتف بطريقة طبيّة إلى العنق لمدة عدة أشهر وبعد فترة من الحادث تبرك بالشعرة النبوية الشريفة ووضعها على كتفه وفي اليوم التالي عند الصباح شعرَ بتحسّن وأنه يُحرك كتفه بلا ألم شديد وكان قبل ذلك يحاول فلا يستطيع فك الرباط وقام ببعض التمارين فلم يشعر إلا بالألم بسيط جداً وعاد لمتابعة التمارين المتبقية فحذّره الأطباء ولم يوافقوه واستمر في دورته الرياضية وفاز في المرتبة الأولى في تلك الدورة.

٧٧ - كان الحاج محمد علي قطاع مريضاً في سنة ٢٠٠٤ فأخذت له الشعرة الشريفة ليتبرك بها وكانت الغرفة مغلقة بحيث لا يوجد ممر للهواء وفجأة صار يخرج من ناحية الشعرة الشريفة نسمات قوية وفيها روائح طيبة زكية وكأن مجرى للهواء فتح بشكل ظاهر وقوي وامتلاً البيت برائحة الطيب يشهد على ذلك زوجته الحاجة بهيجة جوهر وأولادها الحاج بكري قطاع والحاج مروان قطاع.

٧٨ - طلب الشيخ طارق فايز الكبي الأثر الشريف الشعرة النبوية لتبقى ليله في بيته لأجل البركة فتح العلبة ووضعها عند رأسه ونام واستيقظ بعد ذلك في الليل فرأى النور يقظة بشكل ظاهر وواضح يخرج من الشعرة الشريفة ويدخل في رأس زوجته النائمة سنة ٢٠٠٣.

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَنَ

٧٩ - كانت زينة عبد السلام سمرجي تعاني من ثقب في القلب فتبركت بشعرة الهادي محمد ﷺ ثم عاينها الطبيب بعد ذلك فأخبر والدها أن ابنته قد شفيت مما كانت تعاني والحمد لله.

٨٠ - شخص من آل الحلاق كان إصبعه لا يفتح، ويحتاج إلى عملية جراحية حتى يفتح، فلما تبرك بالشعرة ووضعها على إصبعه فتح إصبعه على الفور أمام الناس.

٨١ - سامي مازن البطل كان عمره أياماً وفجأة مرض فتوقف عن الرضاع وصار يتقيأ كل ما يرضعه ولا يتقبل جسمه شيئاً وقال الأطباء إنه في خطر وأنه قد يموت خلال ثلاثة أيام ووضع في العناية الفائقة ولم يتحسن حاله حتى أتى بالشعرة إليه وبرك بها فصار يتحرك في الحال وعاد النشاط إليه وكان لونه أصفر فبدأ يتغير إلى الأحمر ويرجع لونه الطبيعي إليه حال تبركه بالشعرة ثم أعاد له الأطباء الفحوصات كلها فدهشوا بأن كل الفحوصات سليمة بعد أن كانوا يظنون أن حالته قد تصل إلى الموت وهو الآن بفضل الله سليماً معافى ورجع إلى طبيعته وصحته وهذا كله بأسرار شعرة النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

٨٢ - كان الحاج سمير الألطي يشكو من ضعف في عينيه، ويُعاني من سواد حولهما، فتمسح بالشعرة الشريفة، فذهب عنه السواد وقوي بصره بإذن الله وبركة الأثر الطاهر في صباح تلك الليلة.

٨٣ - شخص اسمه محمد أيوب أصيب بداء الرئة وهو في السابعة

المرآة الشريفة بأثر نبيك محمد

من العمر، فالطبيب المعالج أخبر والدته بأنه سيموت قريباً لعجزه عن التنفس بشكل طبيعي، وفي نفس ذلك اليوم نام فرأى النبي عليه الصلاة والسلام في الرؤيا ومسح عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة على جسد محمد ورثتيه، فاستيقظ صباحاً وهو متغير الحال، يريد الخروج للعب، فلاحظت أمه تغيره واصطحبته لأحد الأطباء الذي تعجب وسأل الامراة عما فعلت لابنها فقام الطبيب بإخضاع الصبي للفحوصات التي تبين منها سلامة حال الصبي محمد تماماً إذ شفي ولا يزال حتى اليوم، وبعد بلوغه ثمانية عشرة عاماً ولم يعاني بعدها من أي ضيق بالتنفس بإذن الله تبارك وتعالى، وعظمة نبيه محمد ﷺ.

٨٤ - روى نادر بيسانى أن حفيدته التي عمرها ست سنوات إحدى عينيها مغلقة فقال الطبيب إن لم تفتح عينيها فلا بد من عملية فتبركت بالأثر الشريف فظهر الفرق في اليوم الثاني حيث تعافت ولله الحمد.

٨٥ - ولقد حصل أن الأخت زبيدة عميرات وكما تقول إنه منذ نحو ثلاث سنوات ظهر على يدها اليمنى بثور (حبوب) كثيرة مؤلمة فاستشارت الطبيب فأخبرها أن ذلك يُعرف بزنار النار حتى أنها في إحدى الليالي لم تستطع النوم فدعت الله عز وجل أن يشفيها ويعافيها مما هي فيه حتى نامت قبيل الفجر فرأت في منامها أنها تجلس في منزل ابن عمها محمد عميرات (أبي عبد) ثم رأت شعرات كثيرة لسيدنا محمد ﷺ بينها واحدة بيضاء تنزل من فوقها والناس يقفون حولها من كل الجوانب فصارت هي تأخذ من الشعرات وتضع على يدها وتمسح تلك البثور (الحبوب)

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَأَعِدُ

فبدأت تزول مع الألم حتى اختفت كلها، فلما استيقظت قرابة الظهر نظرت إلى يدها المصابة لترى أن لا وجود لأية حبوب عليها وأن الألم قد زال عنها والحمد لله.

٨٦ - روت والدة الطفلة نسرین عميرات أنها كانت في احتفال في مسجد برج أبي حيدر، حيث كان الناس يتبركون بشعرة النبي ﷺ وكانت ابنتها البالغة من العمر تسع سنوات تعاني من ارتفاع في الحرارة فقالت الأم لابنتها أن تتبرك بنية الشفاء ففعلت ومسحت عينيها، وما إن وصلا إلى البيت حتى ذهب عنها الحرارة، فنامت وكانت ليلة الجمعة، وفي الصباح أخبرت البنت أنها رأت في منامها النبي محمد ﷺ ووصفته.

٨٧ - لقد حصل في مدينة «فانكوفر» في كندا أن أحد الإخوة الذي كان يشكو من ضعف في سمعه، ويسمع بهما تشويشاً دائماً طلب أن يأخذ الشعرة الشريفة التي عند الشيخ جميل حلیم ليبرك بها بيته، وليتمسح بها ويضعها على أذنيه، ففعل ذلك، وفي اليوم التالي اتصل من عمله ليقول أن استيقظ صباحاً ولم يجد أي تشويش وأنه يسمع بوضوح دون رفع الصوت كما اعتاد، ثم أخبر أنه أجرى فحصاً طبياً لأذنيه فكان معدل سمعه ٦٣ في حين أن معدل السمع العادي هو ٧٥، وهذا بفضل النبي ﷺ وبركة شعرته الشريفة.

٨٨ - ولقد حصل مع شخص يقيم في «مونتريال» وهو من آل شعبان كان قد حضر للاحتفال ثم أراد الانصراف قبل التبرك بالشعرة التي مع الشيخ جميل حلیم لأنه كان يعاني من ألم شديد في بطنه، لكنه عاد وغير رأيه فانتظر حتى لا يُفوت التبرك ولما

المرأة التي أتت بآثار نبيك محمد

حان دوره طلب وضع الشعرة على بطنه ومسح بها، وما إن انتهى ومشى بضع خطى حتى زال الألم الذي كان يشكو منه بسرعة والحمد لله.

٨٩ - ومما حصل في مدينة «أورانج كاونتي» في الولايات المتحدة الأمريكية أن امرأة مسلمة أمريكية تبركت بالأثر الطاهر الذي عند الشيخ جميل حلیم ثم اتصلت بأمرها التي تبعد عنها نحو ٢٠ ساعة بالسيارة، وأخبرتها بوجود شيء مميز وهو جزء من شعرة النبي محمد ﷺ، فأرادت رؤيتها، فاستقلت الطائرة وحضرت حيث الشعرة موجودة، وفي اليوم التالي أخذت الشعرة لهم فرأتها المرأة وتمسحت بها، ثم في اليوم الذي يليه حضرت المرأة مع زوج ابنتها وقد أسلمت بفضل الله تعالى وهي تريد أن تتبرك مرة أخرى بآثر النبي الهاشمي الطاهر.

٩٠ - ومما جرى أيضاً في مدينة «أورانج كاونتي» أن بنتاً لأم ألمانية كانت تشكو ضعفاً كبيراً في النظر وهي تضع نظارات سميكة فتبركت بالأثر الشريف الذي مع الشيخ جميل حلیم ووضعت على عينيها.

وفي اليوم التالي ولما استيقظت تعجبت من نفسها لما فتحت عينيها وقالت لأمها أنها ترى الأشياء الدقيقة من دون النظارات فاستغربت الأم وأخذتها للطبيب للتأكد، فأخبرها الطبيب أن بصرها قد تحسن وأن الضعف الذي كانت تعانيه قد خف، وطلب منه أن لا تضع النظارات بعد ذلك.

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَنَ

٩١ - ولقد روى حسام حجازي أنه ذهب مرة حتى يبرك ربيع الأسعد وكان استعار الأثر الشريف، فكانت زوجة الأخير تعاني ألمًا في ظهرها، فأخذ زوجها الأثر الشريف ومرره على ظهرها فرأى خطأ أبيضًا مكان التبرك.

٩٢ - ولقد حصل أن امرأة يقال لها صافي زوجة خالد اليسير كانت تعاني من ألم في يدها فأجرت التحاليل، فأخبرها الأطباء أنها تحتاج عملية جراحية ذاك أنها كانت عندما تستيقظ في الصباح لا يمكنها فتح كفها إلا بعد ساعة واستمرت على هذه الحال نحو سنة.

وفي إحدى الليالي رأت أنها معها شعرة النبي ﷺ فصارت تمسح بها على يدها، ثم استيقظت فحملت ولدها فورًا، ثم انتبهت أن يدها مفتوحة وأنه لا وجود لأي ألم، وهي الآن بحالة جيدة والحمد لله.

٩٣ - رمزي شومان درّس شخصًا (علم الدين) من آل منيمنة وله ولد عمره (١١ سنة) يشكو من الربو رأى النبي ﷺ في المنام يلبس البياض ووضع يده عليه وقرأ له ثم قال له شُفيت. فبعد هذه الرؤيا تعافى الصبي والله الحمد.

٩٤ - في شهر حزيران ٢٠٠٤ أصيبت السيدة أم عبد الرحمن الكعكي بارتخاء في عصب العين السفلي، وبعد أن رفضت الذهاب إلى الطبيب للمعالجة، فبركت بشعرة النبي ﷺ بلا حائل فتعافت لوقتها بإذن الله تعالى.



الأمراض التي تسببها آفات الربيع

٩٥ - كانت رانيا اللاذقي تعاني من الغدة لأكثر من ثمان سنوات، حيث كانت تداوم على أخذ الأدوية كل يوم على الريق (أثيروكس) ما يسبب لها ألماً في المعدة، وكانت تقوم بفحوصات دورية، وكل مرة يتبين أن الغدة مرتفعة جداً، وذات مرة طلبت منها طبيبتها إجراء عدة فحوصات، ومن بينها فحص للغدة، فذهبت وفعلت ذلك، فأخبروها أن نتيجة التحاليل تصدر بعد ثمانية أيام، وقبل النتيجة بيوم واحد، تقول رانيا أنها رأت النبي ﷺ في الرؤيا فأخبرته عن حالها وعن الدواء الذي تداوم عليه الذي يسبب لها ألم المعدة، وكان النبي يلبس قفازاً في يده، فوضعه على رقبتها وقال لها لا شيء وفي اليوم التالي أتت بنتيجة الفحوصات للطبيبة فقالت لها أن لا شيء فيها، فتوقفت عن أخذ ذلك الدواء والحمد لله.

٩٦ - امرأة اسمها عواطف زنتوت أم رفيق وهبه كانت تعاني من مرض وتغيب عن الوعي ساعات فقالوا لزوجها أن يذهب وإياها إلى الحج وكان عندها أولاد صغار فوضعهم عند أحد أقاربها وذهبت ودعت عند الرسول بأن تشفى ببركة رسول الله ﷺ. هذه القصة من حوالي أربعين سنة هي الآن موجودة في الطريق الجديدة بناية وهبي وجاءت من الحاج شفيت تماماً حتى الآن.

٩٧ - امرأة تدعى كلفدان الشعار هي قريبة لآل سعادة منذ حوالي ٣٥ سنة كانت تعاني من مرض الغدة في رقبتها وكانت تشعر بالانزعاج الشديد بسبب هذه الغدة لأنها ظهرت خارج الرقبة وكانت منتفخة على شكل بالون وظلت تتردد لعند طبيب قريب لها مدة طويلة وهو ابن عمها واسمه محمد الشعار فلم

مجلد
هدية نوز لكل عم

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَنَ

تجد تحسن عنده فطلب منها إجراء عملية وفحوصات جديدة فقررت الذهاب إلى الحج فشاورت الطبيب بذلك فلم يعطيها الإذن بذلك لكنها لم تأخذ بنصيحته وذهبت لأداء فريضة الحج والتبرك بالنبي وءاثار النبي ﷺ والدعاء عنده ﷺ بنية الشفاء ببركة الرسول ﷺ، فشفيت بإذن الله تعالى ولم يبق أي أثر للغدة التي كانت ظاهرة على رقبتها وكانت تنزعج منها كثيرًا.

ثم لما عادت من الحج ذهبت لعند الطبيب (ابن عمها) لكي يجري لها فحوصات جديدة فنظر إليها وسألها عن الغدة وما حصل معها فقالت له تركتها عند رسول الله ﷺ.

٩٨ - قال الأستاذ أنس الخطيب: شخص من آل الحسن وقع ولده وعمره ١١ سنة فكسرت يده، فأدخلوه المستشفى وبعد الصورة الشعاعية قال الأطباء لوالده: ولدك يحتاج إلى عملية جراحية سنضع خلالها قضبان من الفضة في يده لتثبيت العظم مكانه، قمنا بزيارة هذا الولد ووضعنا الشعرة الشريفة على يده قبل إدخاله إلى غرفة العمليات بدقائق وغادرنا، بعدها علمنا بأن الأطباء فوجئوا بأن عظم اليد عند الولد لا يحتاج إلى قضبان الفضة، فقط قاموا بوضع الجص على يده وأخرجوه من غرفة العمليات.

٩٩ - امرأة من آل هرموش تعاني شيء من الكآبة، قد أخذها أهلها عند الأطباء لمعالجة حالتها ولكن دون جدوى، قمنا بزيارتهم وذكرنا لهم أمر التبرك فتبركوا بالشعرة الشريفة وهذه المرأة تبركت بالشعرة أيضًا، سمعت من أقاربها بأنها لم تعد تشعر بشيء وزال عنها ما كانت تعاني منه وذلك بعد شهر

الأمراض التي تكثر بآثار نبيك محمد

ونصف، سألنا عنها قالوا لنا بأنه لم تحصل لها هذه الكآبة طوال هذه المدة إلا مرة واحدة بعد أن كانت هذه الحالة تأتيها كل يومين أو ثلاثة.

١٠٠ - امرأة من آل قوهر عندها ضعف في نظرها ونزيف في إحدى العينين، تبركت بالشعرة الشريفة ومسحت بها على عينيها المصابة بالنزيف. بعد عشرة أيام تقريباً قمنا بزيارتها، فطلبت منا الشعرة لتمسح على العين الأخرى، وقالت لنا بأن النزيف في العين الأولى قد توقف بعد أن تبركت بالشعرة الشريفة.

١٠١ - امرأة أخرى من آل قوهر تشكو من مرض في جهازها العصبي، هي لا تحرك يديها ولا تنام الليل وأهلها يعانون كثيراً معها، قمنا بزيارتها وبركناها بالشعرة الشريفة، بعد يومين أتى زوجها وقال لنا بأنها طلبت منه أن يأتي إلينا ويطلب منا أن نزورها مرة ثانية لكي تتبرك بالشعرة الشريفة وبعد أن تبركت ذلك اليوم بالشعرة الشريفة، نامت كل الليل دون أن تشعر بألم. قمنا بزيارتها مرة ثانية وبركناها بالشعرة الشريفة، بعدها علمنا من أقاربها أنها صارت تستطيع تحريك يديها.

١٠٢ - امرأة من آل منيمنة من منطقة رأس بيروت شعرت بوجع في الظهر وطال بها الوجع فذهبت إلى الطبيبة المختصة وطلبت لها فحوصات، فلم تعجبها تلك الفحوصات وأعدت وأجرت فحوصات جديدة كتلك ولم تعجبها. فحولتها لطبيب آخر وطلب لها فحوصات جديدة، فتبين أن شيئاً في الدم لم يعجبه وكأنه نوع من السرطان بالدم وأعدت الفحص فتبين الوضع ذاته وبقيت على هذا الوضع حوالي الثلاثة أشهر قيل لها أن تتبرك بالأثر الشريف

محمد

سر علم اللوح والنقش

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَأَعِدُ

لأن مثل حالتها والحمد لله قد تعافت بإذن الله، فذهبت إلى السيد الشريف الحسيني الشيخ جميل حليم حفظه الله وتبركت بالأثر المبارك وسقاها من ماء غمست به الشعرة وكان عندها في اليوم التالي فحوصات جديدة. وفي اليوم التالي أجرت الفحوصات ودهشوا أنه لم يعد معها شيء مما كان معها وما عادت تشكو من تلك الأوجاع والفحوصات السابقة والحالية موجودة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

تشرين أول ٢٠٠٩

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله

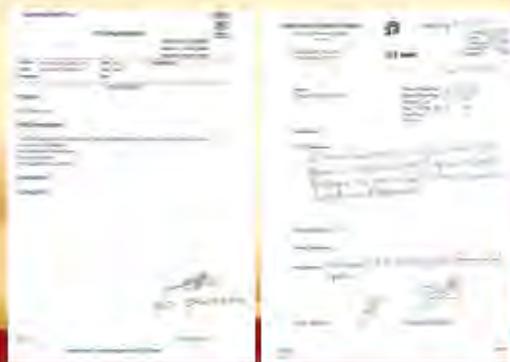
١٠٣ - عام ٢٠٠٨ أخبرني طلال عبدو رمو أنه بحاجة إلى عملية خطيرة بعد اكتشاف السرطان في بطنه وصدره وأن العملية ستتم بعد بضعة أيام وتستغرق ٨ ساعات ولا يعرفون إن كان سينجو وتتجح عملياته، فزرته في البيت ثم أخبرته عن احتفال قريب من مسجد الفضيلة في بريمن وأنا سنبرك الناس بالأثر الشريف، وفعلاً حضر وتبرك بالشعرة قبل أيام ثم غاب ليخبرني بالهاتف إن آثار السرطان من بطنه قد اختفت فجأة مع أنهم كان لديهم تحاليل وصور خطيرة عن مرضه، وقال له الطبيب: قد تأكدنا أن ليس في بطنك شيء ونحن نريد أن نفحص صدرك أيضاً لأننا نظن أن المرض قد زال من صدرك كذلك، بعد أيام عاد طلال رمو يتصل بي ليخبرني أن الأطباء قد تأكدوا أن لا حاجة للعملية، ثم زرته في البيت فصار يبكي من فرحه! نفعنا الله ببركات حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.

كتبه عدنان فخرو



اللهم ارزقنا الشكر بآثار نبيك محمد

- ١٠٤ - زوجة محمود داوق من ءال قصقص تعمل ممرضة في مستشفى، حملت بابنها، وطيلة فترة الحمل لم تأخذ إجازة.
- وهي في الشهر الثامن أحسَّت بألم، بعد الفحص تبين أن معها المرارة فأجري لها عملية جراحية.
- عند الوضع في التاسع ونتيجة للتعب والإرهاق نزل الطفل لونه أزرق ويشكو من ضيق بالتنفس من أثر إرهاق وتعب الأم.
- فتم نقله للعناية المركزة لمدة عشرة أيام، في اليوم الثالث حصل معه ما يسمى «هزة حيط أي كهرباء بالرأس في الدماغ» فأجري له تخطيط لرأسه فتبيَّن للطبيب أن هناك أثر للكهرباء في الدماغ وكتب ذلك بتقريره وأعطاه دواء مركب لعلاج.
- بعد عشرة أيام والدواء يُعطى للطفل أخذت الأم الطفل إلى طبيب أخصائي، بدوره قال لها اعلمي له تخطيط ثانٍ بعد اطلاعه على التخطيط الأول.
- فأخبرت زوجها بما قاله الطبيب. الأب قبل التخطيط حمل الطفل وقال سأبركه بالشعرة الشريفة عند موضع المرض فبركه بالأثر الشريف بلا حائل على صاحبه الصلاة والسلام.
- عُملَ له التخطيط الثاني فرأه الطبيب وقال لا أثر لما يُسمى «هزة حيط أي كهرباء في الدماغ» ولا هناك ما يدل على ذلك مع أنه رأى التخطيط الأول.



رَأَى جَمَالَهُ ... أَحْشَاءَهُ

وقع ابنها فكسر فكيه أربعة كسور وفصلت أسنانه فأسنانه التي من جهة اليمين دخلت إلى داخل الفم وأسنانه التي من جهة اليسار خرجت إلى الخارج وربط الفكين بسيخ والحكيم هو نصراني قال لها أن رأسه من ناحية فوق ينمو بحجمه الطبيعي أما من جهة الأسنان يبقى بسن ٧ سنوات. وقال لها أن لافم لا يفتح فلا يستطيع الأكل إلا الأكل الذي هو مطحون أو أنه إذا فتح فيكون عنده تلثم في الكلام. وبقي خمس ساعات في العملية وقبل ثمان وأربعين ساعة لا يخرج من العناية الفائقة ثم بعد ذلك أشرب ماء مقروء عليه ومبرك بالشعرة. ثم أحضر الشيخ جمال صقر الشعرة بلا حائل وبحائل وبرك بها من داخل فمه بلا حائل على الشفة من الداخل وأحضر له شخص وقرأ له. ثم بعد خروج الشيخ جمال صقر بدأ الولد بالكلام. بعد سنة من العلاج الفيزيائي عمل له صورة فاستغرب بالطبيب مما فعل له. والتحم العظم ببعضه وبدأ بالنمو.

إسماعيل شعبان
صبرا مقابل مصلى بلال

وضع الدكتور مروان درويش بعد أن خضع الدكتور مروان لعمليات في عينيه التي أصيب بها من عدة أشهر بفضل الله تعالى كان عنده ضعف نظر قبل الإصابة سبع درجات وبعد أن شفيت عينه وتمسح بالشعرة الشريفة أصبح يبصر في عينه بفضل الله وانخفض الضعف بها من سبع درجات إلى ثلاث درجات تبارك الله.

البرازيل ما التبرك بأثار نبيك محمد

عن زوجته

٢٠١٠/٦/٨

المريضة إنعام الأشرح مخيم برج البراجنة

سقطت عن علو ثلاثة طوابق وأخذت إلى مشفى الساحل وتقرر إجراء عملي بظهرها والطبيب المختص قرر العملية لمدة ١٢ ساعة لكن بعد التبرك بالأثر الشريف استغرقت العملية ستة ساعات فقط وقال الطبيب المختص أن ما رآه في الصورة قبل العملية لم يره أثناء إجراء العملية لها (من تحسن) ولما تبركت بالأثر مباشرة تغير حالها وبدأت تحرك رجليها. علمًا أن الطبيب قال إن هناك فقرات مفتتة.

كتبه أبو جلال النجمي

الاسم رياض عواد

قد أصابتي رصاصة في رجلي حقيقة فعالجتها بعد ذلك وبقيت شهر وبعدها ذهبت لحكيم الفيزياء (أحمد الخطيب) فجلست معه عشرة جلسات فظهري في العصب مقطوع وذهبت إلى مستشفى المقاصد هناك دكتور مختص في فحص التخطيطات ففحصني في رجلي على الكهرياء وعلى الكمبيوتر ولم يجد في رجلي عصب فذهبت أيضًا لحكيم ثالث أيضًا مختص في العمليات فقال لي مثل ذلك وقال نريد أن نفعل لك العملية إذا كان العصب موجود نستطيع أن نفعل العملية أما إذا ما

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَنَ عُرَى

كان العصب موجود يريد الحكيم أن يُكسر العظم من ملتقى العظمين حتى تذهب الاعوجاج من رجلي فوافقت على العلمية فنمت في ذلك يوم في البيت فرأيت في الرؤية شيخ جميل وشيخ جمال صقر ورأيت عدة مشايخ من الجمعية ورأيتهم على سطح بيت عمّي فأخرجوا شعرة الرسول (شيخ جميل) ليبرك الناس كل الحاضرين معي إلا أنا فركضت إلى ... أستقبل المشايخ والناس وأتبرك في شعرة الشريفة فدخلوا كل المشايخ إلى بيتي إلا شيخ جميل حليم الآن صحيت من النوم فتكلمت أحد أخواننا فاخذوا لي موعداً من ابن شيخ جميل حليم (محمد حليم) فذهبت إلى ابن شيخ جميل إلى مكتبة جار لامقام فبركني بالشعرة بلا حائل الشريفة محل الإصابة وهي مكان الركبة وبعدها في يومان صار موعد العملي كنت أقول «يا عباد الله أعينوا ويا عباد الله أغيثوا» بعدها فأدخلوني إلى غرفة العمية وفعّلوا لي العملية ففتح محل العصب الذي كان يقولون عنه مقطوش ورأى مكان داخل العصب وكأنه لم يُصاب بأذى وهو صاغ وسليم وبعد ذلك وصل جهاز كهربائي إلى القدم أول مرة سلطه عليه الأجهزة فلن تتحرك وبعد العملية بعدة ... تبرك بالشعرة.

- حصلت معي حادثة منذ نحو سنة تقريباً أنا أعيش في الإمارات منذ ما يقرب على سنة ونصف تقريباً جئت إلى بيروت من الإمارات وزرت مقام الشيخ عبد الله الهرري ومررت بمكتبة جار المقام وكان أن تبركت أنا وزوجتي بالشعرة المباركة بحائل وبدون حائل ثم أخذت رقم تليفون صاحب المكتبة على أن نزوره في العام القادم ولما ذهبت إلى الإمارات أخبرني

محل

الإمارة الشريفة بأثر نبيك محمد

صاحب لي بأنه ينوي أن يزور لبنان وكان هذا الصاحب لا ينجب أولاداً منذ ما يقرب على سبع أو ثمانية سنين فأعطيته رقم تليفون المكتبة ولما قدم أتى بيروت جاء إلى المكتبة وهو وزوجته وتبرك بالشعرة النبوية المباركة ومن ثم عاد إلى الإمارات وسبحان الله حملت زوجته في نفس الشهر.

اسمي سامر منصور من الإمارات

صاحبي اسمه طلعت حمد من الإمارات

عندما وُلِدَ ابني عبد الرحمن تأذت يده من أثر الولادة سبب له شلل في يده فخضع للصورة والتخطيط - ظهر أنه يلزمه - زرع عصب لأنه قالوا الأطباء مقطوع العصب فطلبت من الحاج رمزي حلاوي بأن يحدد لي موعد من الشيخ جميل حليم بارك الله فيه كي أبرك يده بالشعرة الشريفة فأرسل لي الشيخ شعرة النبي وبركته بها. وبعد أسبوعٍ أدخل ابني كي يجري عملية وصل العصب كان عمره ستة أشهر دخل ابني غرفة العمليات على أساس زرع عصب انتهت العملية فأخبرني الطبيب أريد أن أخبرك شيئاً مفرحاً لقد تفاجأت أنا وجميع الأطباء بأن ابنك ليس مقطوع عصب يده ولكن فقط كان بحاجة إلى تنظيف الأعصاب مع العلم نحن كنا متيقنين بأنه كان مقطوع.

هذا ببركة الشعرة الشريفة

كتبت في ٢٠٠٩/١/١٦

رَأَى حَمْدَهُ ... أَحْسَنَهُ

إحسان الشامي

إمرأة من آل منيمية من منطقة رأس بيروت شعرت بوجع في الظهر وطال بها الوجع فذهبت إلى الطبيبة المختصة وطلبت لها فحوصات، فلم تعجبها تلك الفحوصات وأعدت وأجرت فحوصات جديدة كتلك ولم تعجبها. فحولتها لطبيب آخر وطلب لها فحوصات جديدة، فتيين أن شيئاً في الدم لم يعجبه وكأنه نوع من السرطان بالدم وأعدت الفحص فتيين الوضع ذاته وبقيت على هذا الوضع حوالي الثلاثة أشهر قيل لها أن تتبرك بالأثر الشريف لأن مثل حالتها والحمد لله قد تعافت بإذن الله، فذهبت إلى السيد الشريف الحسيني الشيخ جميل حليم حفظه الله وتبركت بالأثر المبارك وسقاها من ماء غمست به الشعرة وكان عندها في اليوم التالي فحوصات جديدة. وفي اليوم التالي أجرت الفحوصات ودهشوا أنه لم يعد معها شيء مكما كان معها وما عادت تشكو من تلك الأوجاع والفحوصات السابقة والحالية موجودة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

تشرين أول ٢٠٠٩

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله

عام أخبرني طلال عبود رمو أنه بحاجة إلى عملية خطيرة بعد اكتشاف السرطان في بطنه وصدره وإن العملية ستتم بعد بضعة أيام وتستغرق ٨ ساعات ولا يعرفون إن كان سينجو وتتجح عملياته فزرته في البيت ثم أخبرته عن احتفال قريب في

البراءة من الأذى والتبرك بآثار نبيك محمد

مسجد الفضيلة في بريمن وأنا سنبرك الناس بالأثر الشريف
وفعلا حضر وتبرك بالشعرة قبل أيام ثم غاب ليخبرني بالهاتف
إن آثار السرطان من بطنه قد اختفت فجأة مع أنهم كان لديهم
تحاليل وصور خطيرة عن مرضه وقال له الطيب: قد تأكدنا
أن ليس في بطنك شيء ونحن نريد أن نفحص صدرك أيضاً
لأننا نظن أن المرض قد زال من صدرك كذلك بعد أيام عاد
طلال رمو يتصل بي ليخبرني أن الأطباء قد تأكدوا أن لا حاجة
للعملية ثم زرتة في البيت فصار يبكي من فرحه!

نفعنا الله ببركات حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم

كتبه عدنان فخرو

أنا المختار يوسف زين مختار محلة المزرعة أفيد انني كنت قد
أصبت بمرض عضال (سرطان في الجيوب الأنفية) في الجهة
اليسرى من وجهي وكان منتشراً في هذه البقعة هذا ما أشارت
إليه الصور والتحليل، فقام أحد الأخوة بجلب شعرة الرسول حيث
تم مسح المنطقة المصابة بها قبل العملية الجراحية المقررة،
وتفاجأ الطبيب الجراح بوضعية المرض فبدل أن يكون منتشراً
كما تبين في الصور الشعاعية أصبح مجمعاً في كيس بحيث
تم نزعه كاملاً من مكانه دون أية مضاعفات، وتابعت بعدها
العلاج بالأشعة وشفيت والحمد لله.

يوسف محمد زين

مجنون ثلاث عشرة سنة

رَأَى مُحَمَّدًا ... أَحْسَأَعْتُ

يُشْفَى من الماء الذي غُمست فيه شعرة النبي صلى الله عليه وسلم فايز شمس الدين أحمد الهري كان مجنوناً يخرج عارياً يبول على نفسه ويتغوّط. ولا يعرف أحداً من أهله وكسر سقف بيته ينزل عليه المطر وهو عارياً وحاولوا معالجته عند الأطباء والمشايخ فلم يُشْفَ أخذ الشيخ عماد نوح من ماء الشفاء والأسرار النبويّة هذا الماء غُمس فيه جميل حلِيم شعرة النبي عدة مرات وسقاه منه الشيخ عماد فشُفِيَ وتعافَى في نفس اليوم لما شرب الماء رجع إليه عقله فاستحى من الهيئة التي كان عليها ثم قام اغتسل ولبس ثيابه وعرف أهله وهذا مسجّل بالصوت والصورة وأكدّ لنا عدد من كبار السنّ والناس في بلده هرر هذا الخبر.

هرر الحبشة ٢١ تموز ٢٠١١ ر

٢٠ شعبان ١٤٣٢ هـ

والتسجيل موجود لدينا.

ابني اسمه إسماعيل محمد شعبان كان عمره ٤٠ يوماً عندما اكتشفنا أن عنده مشكلة في القلب عادة القلب له ثلاثي صمامات أما ابني عنده اثنان.

١ - صمام عنده تهريب

٢ - وصمام عنده ضيق

قال لي الأطباء أن أجرى له عملية وصل صمام أو عملية بالون بسر

البئر الزوايا التبرك بأثار نبيك محمد

التبرك بالشعرة الآن عمره ١١ سنة ولم أجرى له أية عملية ولا يأخذ دواء للقلب منذ ولادته وكل سنة أجرى له صورة صوتية للقلب قالت لي الدكتورة أنه يتحسن عن ما قبل آخر صورة ٧ - ١١ - ٢٠٠٨ قالت لي الدكتورة أن التهريب في الصمام كان ٣٠ - ٢٤ والضيق يتراوح بين ١ - ٢ الآن ١٠٠ القلب بكبر حسب عمره والعلة تعمل كما مطلوب هذا يعني أن حالته إلى أحسن.

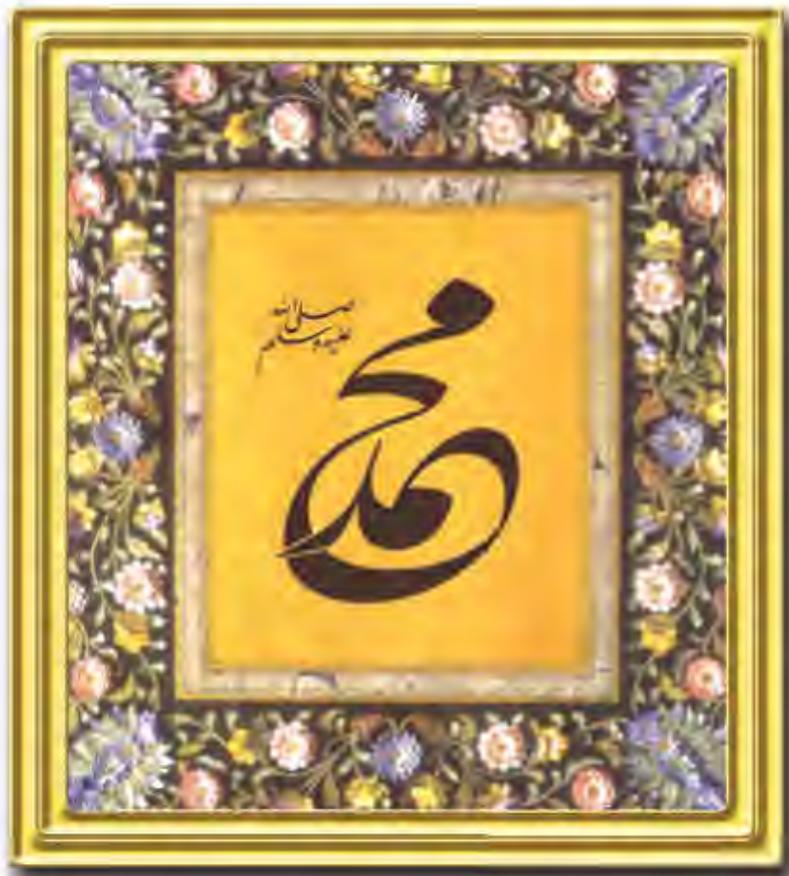
ولو صار عمره ١٠٠ سنة على هذه الحالة لا يلزم له عملية ويتزوج وينجب أولاد ولا يؤثر على حياته.

وهذا الذي حصل معه بسرّ التبرك بالأثر الشريف بالشعرة النبوية كل درس أو اجتماع أو احتفال متى حصلنا على الشعرة الشريفة أو بركله بها ليحصل الشفاء ويأذن الله.

محمد



الفصل الثاني

صُورٌ قَدِيمَةٌ وَحَدِيثَةٌ مُخْتَلَفَةٌ
عَنْ بَعْضِ الْأَثَارِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ



صورة قديمة موقع البيت الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة.



صورة موقع البيت الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة.



منظر عام لموضع بيت السيدة خديجة رضي الله عنها في مكة المكرمة، كما كشفت عنه حفريات التوسعة، وتظهر فيه غرف المنزل وساحته، كما وصفت في الكتب القديمة.



مدخل غرفة الرسول صلى الله عليه وسلم في منزل السيدة خديجة رضي الله عنها في مكة المكرمة، وقد كانت هذه الغرفة من الأماكن التي يتعبد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم.



صورة للمحراب الموجود بمكان استقبال الوفود في منزل السيدة خديجة رضي الله عنها في مكة المكرمة، وكان يصلي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أضيف إلى البيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم، لأن المحراب أول ما حدث في سنة ٩٠ للهجرة.



الموضع الذي ولدت فيه السيدة فاطمة الزهراء أمدنا الله بأمدادها في بيت السيدة خديجة رضي الله عنهما في مكة المكرمة.



صورة لقبر السيدة ءامنة بنت وهب والدة النبي رضي الله عنها بالأبواء بين مكة والمدينة.



مدخل غار حراء في جبل النور في مكة المكرمة، حيث نزلت أوائل آيات سورة العلق على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.





فتحة نافذة داخل غار حراء تطل على مكة المكرمة،
ويمكن أن يرى من خلالها الحرم المكي الشريف.



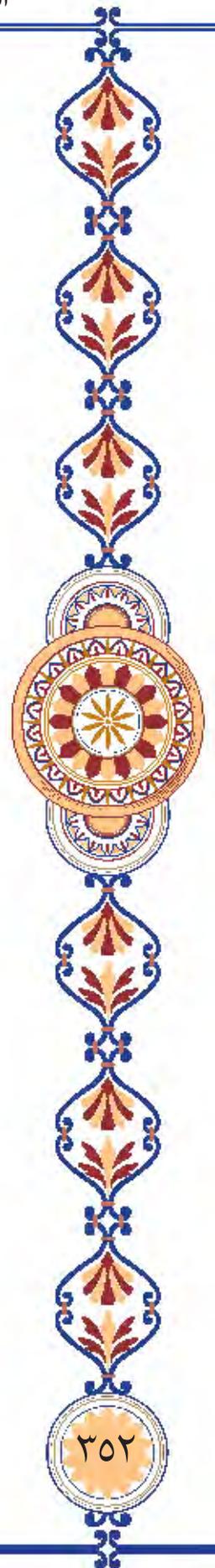
غار حراء في مكة المكرمة.



مدخل غار ثور، وهو الغار الذي تشرف بإيواء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند هجرتهما من مكة إلى المدينة.



مدخل غار حراء في جبل النور - مكة المكرمة





حجر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده تحته فانفجر الماء. وهذه القصة يعرفها أهل المدينة خلفاً عن سلف، وقد وردت في كتاب «آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم»، جمع الدكتور خالد مصطفى، نقلاً عن مختصر سيرة ابن هشام المشهورة.



مكان المعجزة وأثر جريان الماء على الصخور موجود إلى الآن.



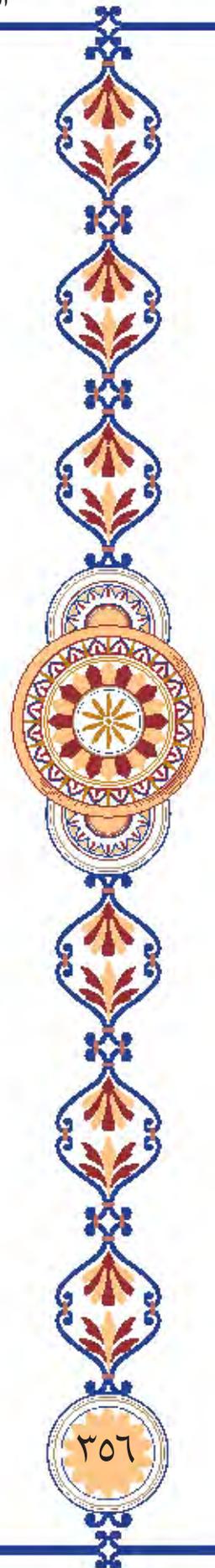
سترة القبور الثلاثة المباركة خلف المواجهة الشريفة في المدينة المنورة.

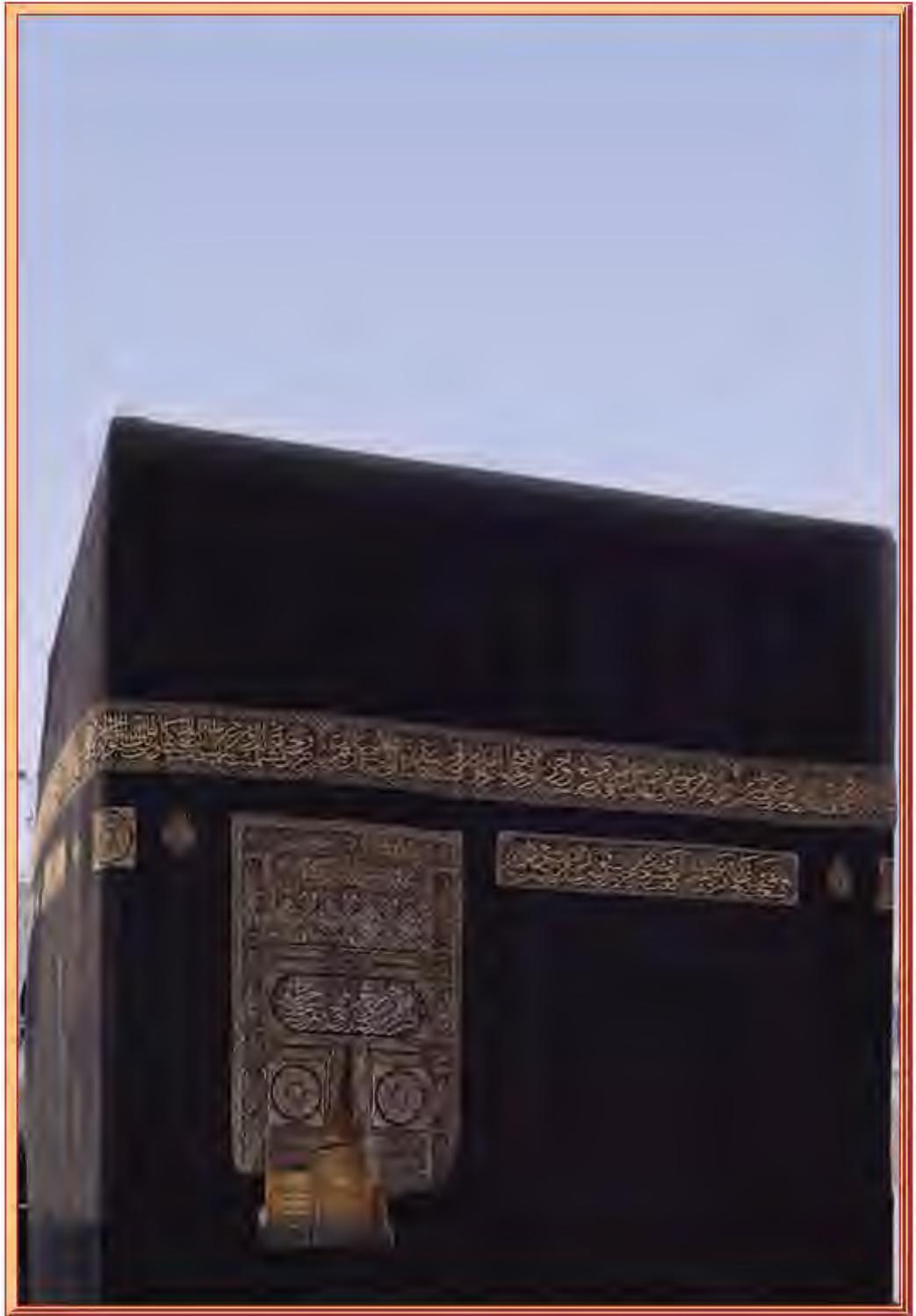


منظر عام للمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة

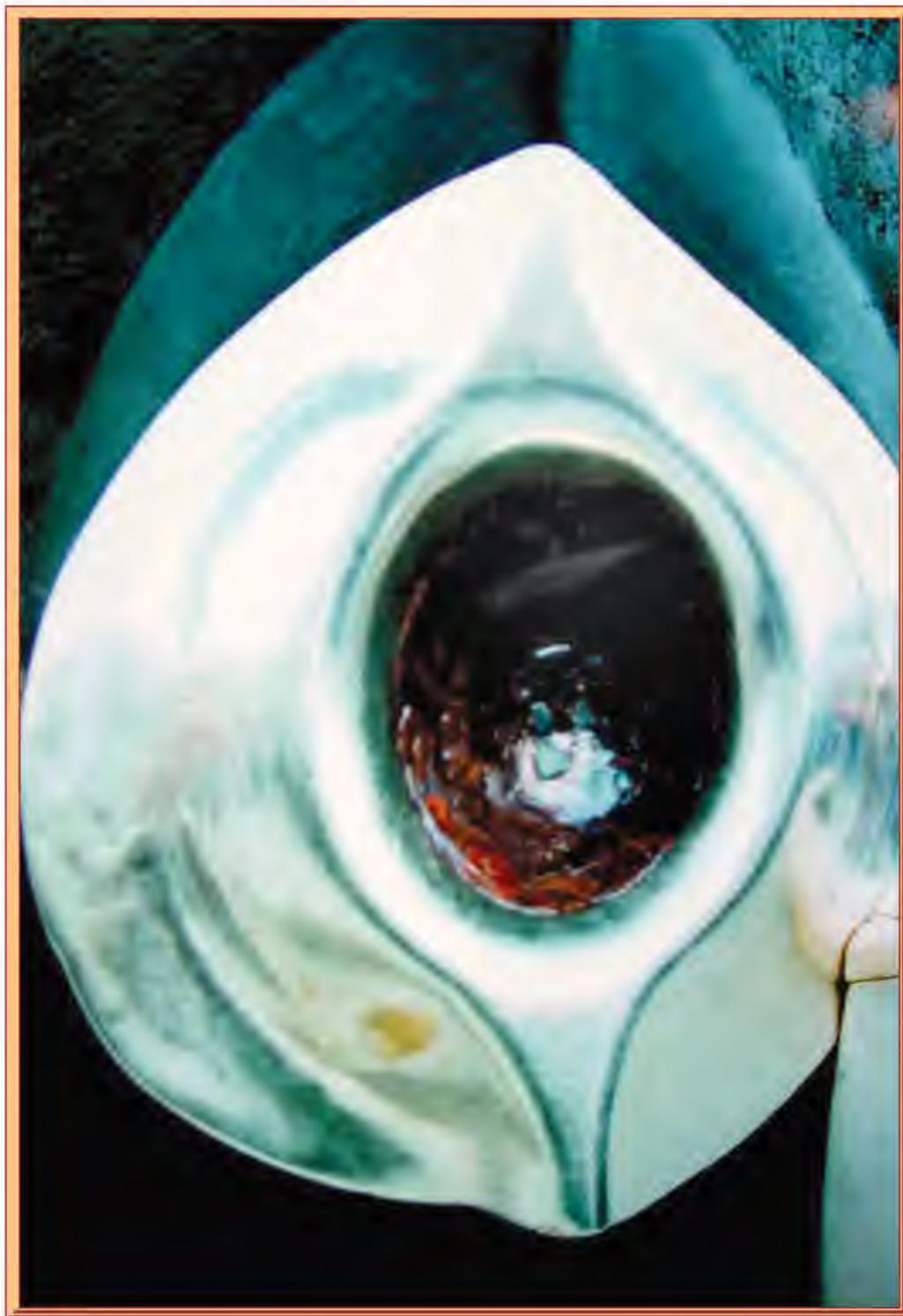


القبّة الخضراء فوق قبر النبي صلى الله عليه وسلّم في المدينة المنورة.





الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.



الحجر الأسود في الكعبة المشرفة.





بئر التفلة في عسفان الذي تقبل فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فصار أحلى من العسل.



الروضنة الشريفة.



عمامة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في باكستان.





عمامة وعصا وجبة خاصة برسول الله
صلى الله عليه وسلم في الباكستان.



فصّ خاتم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



قميص أشرف خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم
في مسجد أويس القرنى - إسطنبول.



قطعة من قميص النبي صلى الله عليه وسلم - لبنان.





قميص النبي محمد صلى الله عليه وسلم والموجودة عند أناسٍ من أشرف أهل المدينة المنورة.



قطعة من قميص النبي محمد
صلى الله عليه وسلم - القاهرة.



قطعة من قميص النبي محمد صلى الله عليه وسلم - لبنان.





غرفة رداء السعادة (البردة النبوية الشريفة) - إسطنبول.



رداء السعادة (البردة النبوية الشريفة) - إسطنبول.





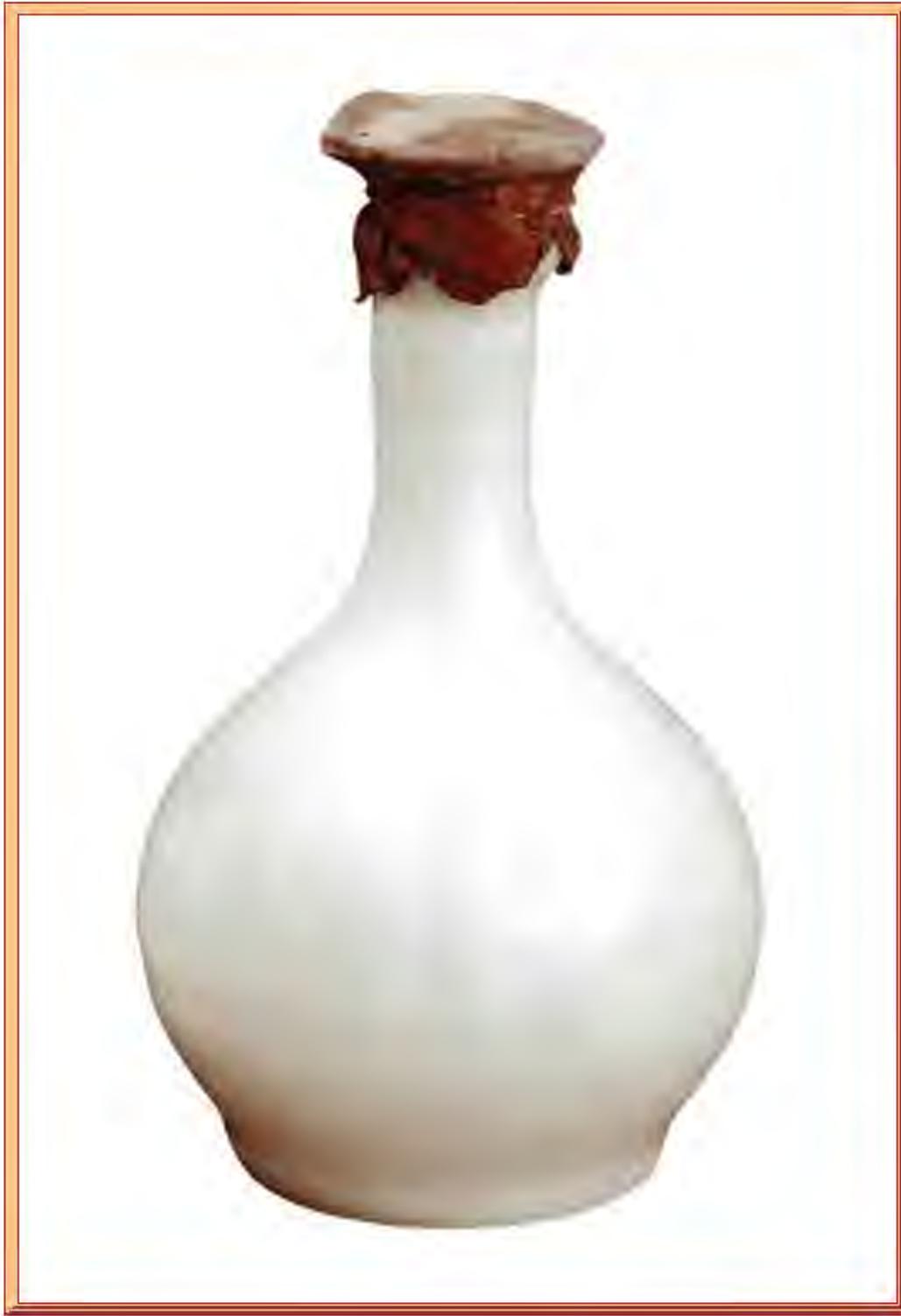
قميص النبي صلى الله عليه وسلم وفوقه شعرة نبوية داخل القنينة - إسطنبول.



كوكبٌ دريٌّ مصنوع من الذهب الخالص، وفيه قطعُ ألماس فاخرة، أهدها السلطان أحمد ابن السلطان محمد خان ووضعه تجاه وجه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نقل بعد ذلك إلى إسطنبول.



قارورة كان يُجمع فيها ماء وضوء النبي محمد صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



قارورةٌ تحتوي على ماء زمزم غمس فيه بعض الأثار النبوية المباركة - إسطنبول.



تُرابٌ من قبر النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



قارورةٌ تحتوي على تراب قبر النبي صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



تُراب من الجدار الذي حول القبر النبوي الشريف - لبنان.



تراث من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



غبارٌ وترابٌ من قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم - لبنان.





قطعة من جدار قبر النبي صلى الله عليه وسلم
من الجهة الشرقية من القبر الشريف - لبنان.



غبارٌ وتراب من قبر النبي صلى الله عليه وسلم - لبنان.



حجر من الكعبة الشريفة





قطعة من ستار الكعبة وضعت مدة على قبر النبي صلى الله عليه وسلم - لبنان.



قطعة قماش مسحت بقبر النبي مباشرة



قطعة قماش رآها في المنام أحد الطبيبين الصادقين من آل أمينة، واسمه محمد، يمسح بها المواجهة الشريفة فاستيقظ فوجدها في يده وعليها غبار من المواجهة الشريفة.



قطعة من الريش كان يزال بها الغبار عن المواجهة الشريفة . لبنان.



قطعة من الإسفنج كان يُمسح بها قبر النبي عليه السلام
جامع أويسس القرني في إسطنبول.



مرّود وميّل للاكتحال من آثار النبي صلى الله عليه وسلم
المسجد الحسيني في القاهرة.



قطعة من الجدار الداخلي للحجرة النبوية الشريفة - لبنان.



قطع من طلاء القبة الخضراء فوق قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم

طلاء من القبة الخضراء - لبنان.



قطعة من قميص النبي ﷺ ، قطعة من النعل النبوي الشريف ، قطعة من عمامة النبي ﷺ ، قطعة من ستار قبر النبي ﷺ ، قطعة من جدار قبر النبي ﷺ وثلاث شعرات من شعر النبي ﷺ .



من ستار قبر النبي وغبار حجرته صلى الله عليه وسلم



قطع من الجذع الذي حنَّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، وقد وصلت إلى بعض ملوك اليمن ثم إلى السادة آل الأهدل (الشيخ أحمد الأهدل) - لبنان.



صندوق يحتوي على سن النبي صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين
صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



خصلة من شعر رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم - تركيا.



شعرة من شعرات الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم - لبنان.



شعرات للنبيّ محمّد صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



شعرتان من شعرات الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



شعرات للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم - إسطنبول



شعرتان شريفتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم - لبنان.





شعرة بيضاء فيها شيء من الاحمرار من أثر الخضب
بالحناء من رأس النبي صلى الله عليه وسلم - لبنان.



شعرة من شعرات سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه - تركيا.



شعرات شريفة من لحية حبيب الله سيد العالمين
محمد صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



شعرة نبوية موجودة في جامع أوييس القرني - إسطنبول.





شعرة شريفة من لحية حبيب الله سيد العالمين
محمد صلى الله عليه وسلم - طرابلس الشام.



شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم



شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم



شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم



شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم



شعرات محمدية عظيمة من رأس النبي محمد صلى الله عليه وسلم



شعرة محمدية عظيمة، وقطعة من قميص النبي محمد صلى الله عليه وسلم



شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم



شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم



شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم





شمعة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم



شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم



شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم



قطعة من شعرة بيضاء من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم - لبنان.

شعرة للنبي صلى الله عليه وسلم، فيها شيء من الأحمر من أثر الخضب بالحناء - لبنان.



شعرة محمدية عظيمة، وقطعة من قميص النبي محمد صلى الله عليه وسلم



شعرات كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم





شعرة كريمة من شعرات سيد العالمين صلى الله عليه وسلم



شعرة محمدية عظيمة - إسطنبول.



شعرة شريفة من شعر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم



مجموعة من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم. إسطنبول





شعرة شريفة من شعر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - إسطنبول



محفظة تحتوي على شعرات من لحية النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم - إسطنبول



شعرة نبوية بيضاء للنبي صلى الله عليه وسلم



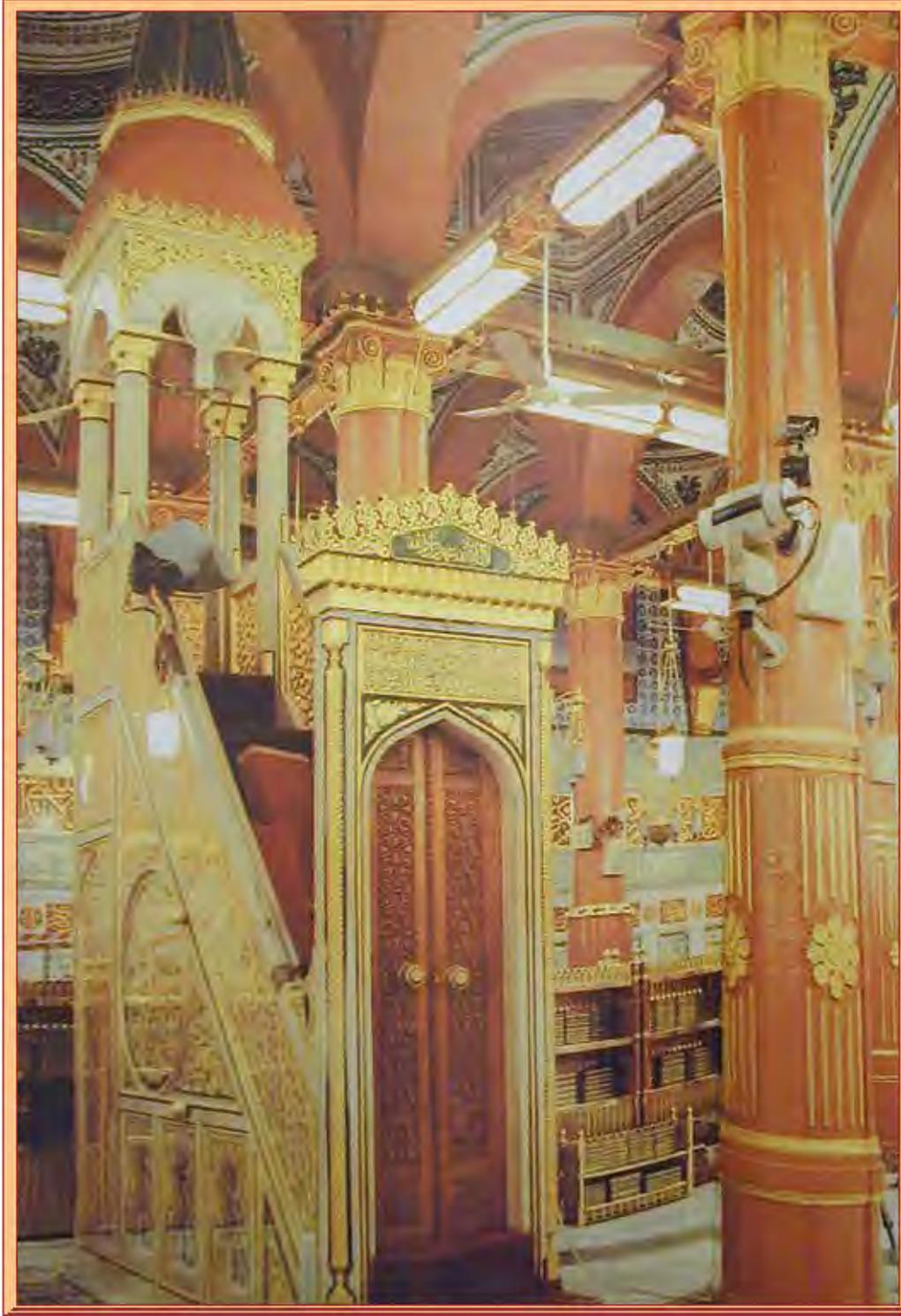
شعرة نبوية شريفة - لبنان.



شعرات نبوية موجودة في المسجد الحسيني - القاهرة.



مجموعة من الشعرات النبوية الشريفة



موضع المنبر النبوي الشريف بجانب الروضة الشريفة
في المسجد النبوي الشريف - المدينة المنورة.



جهة رأس النبي ﷺ ناحية الروضة الشريفة

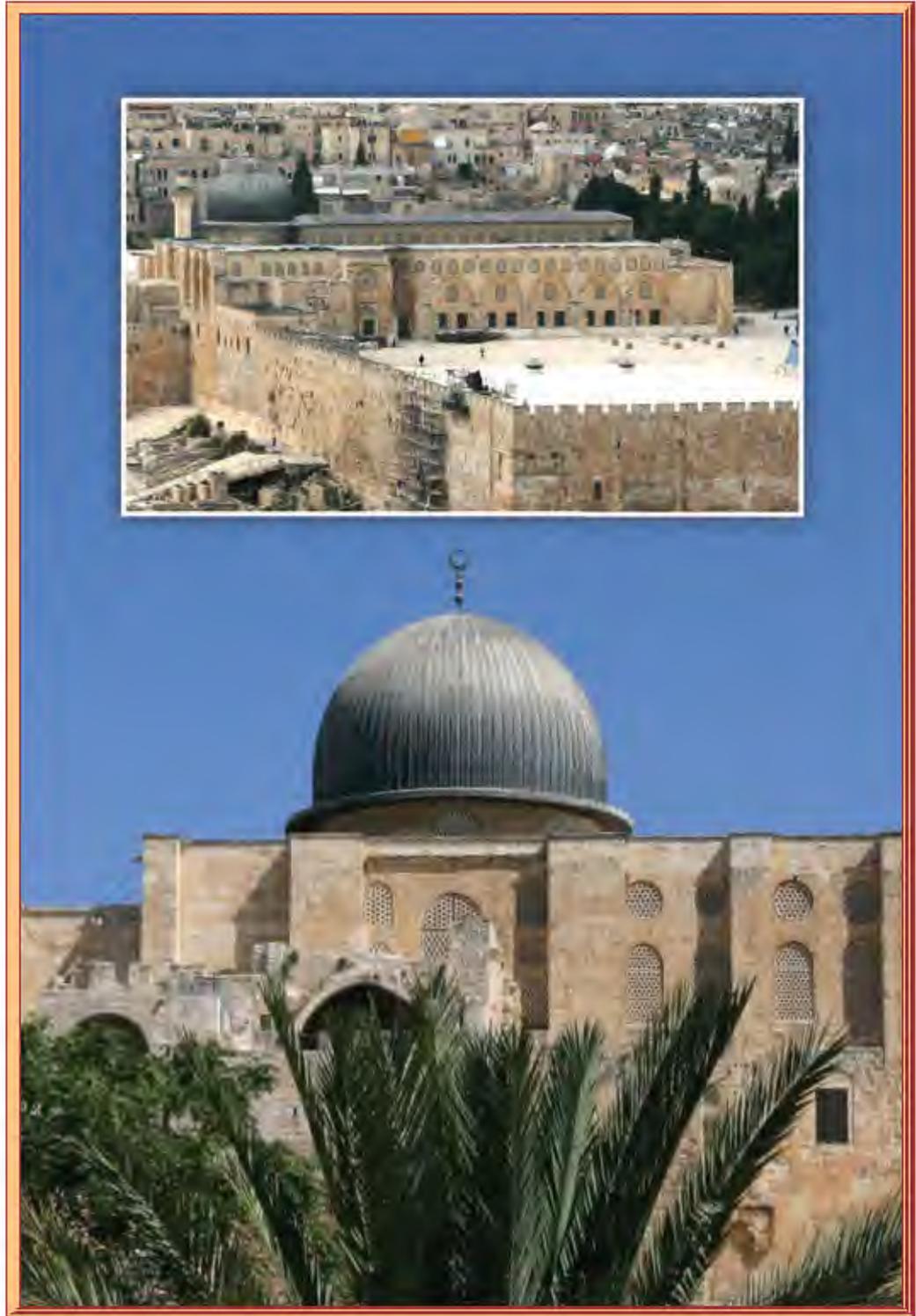


المواجهة النبوية الشريفة مقابل وجه النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما

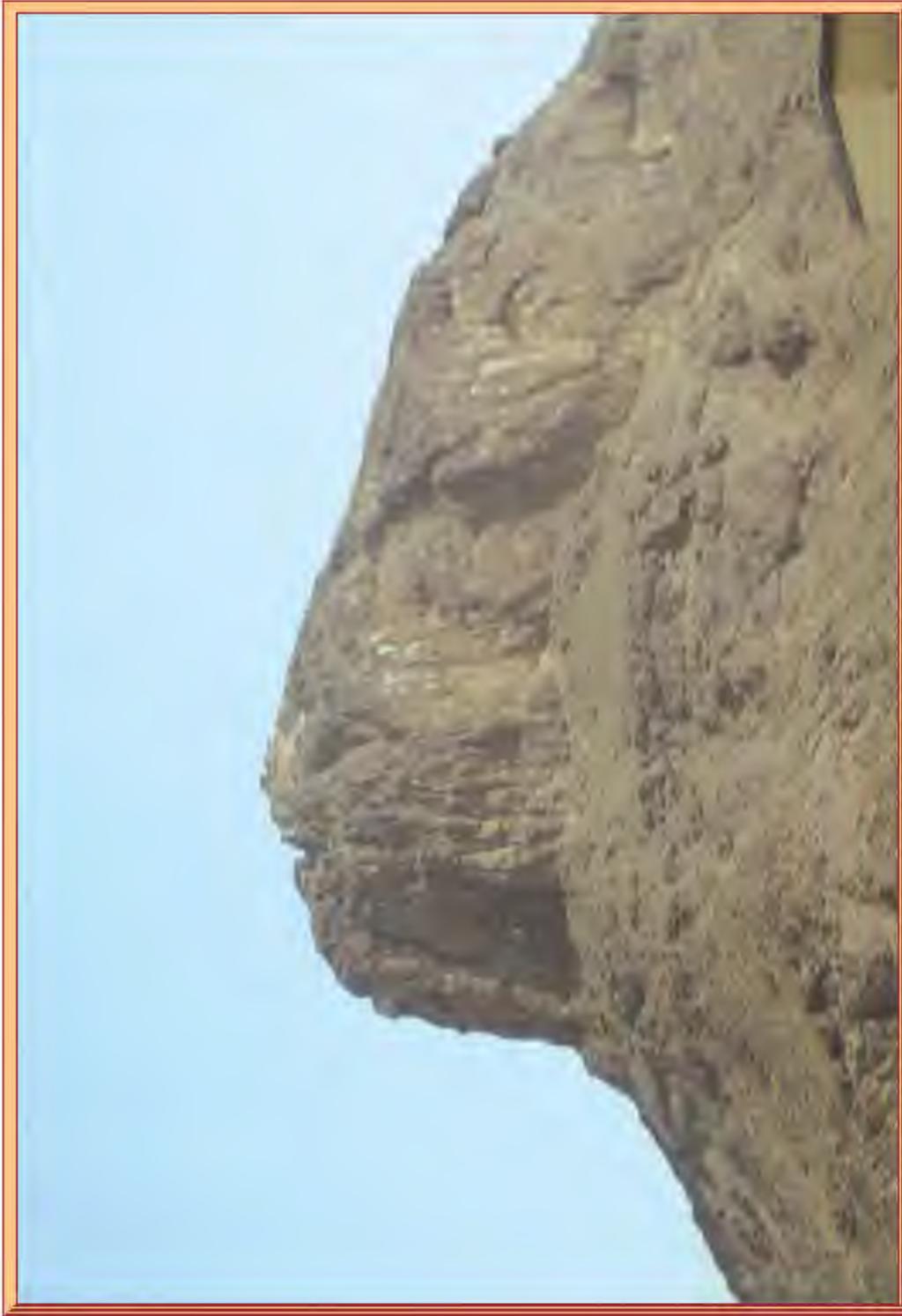


من بعض رسائل النبي صلى الله عليه وسلم

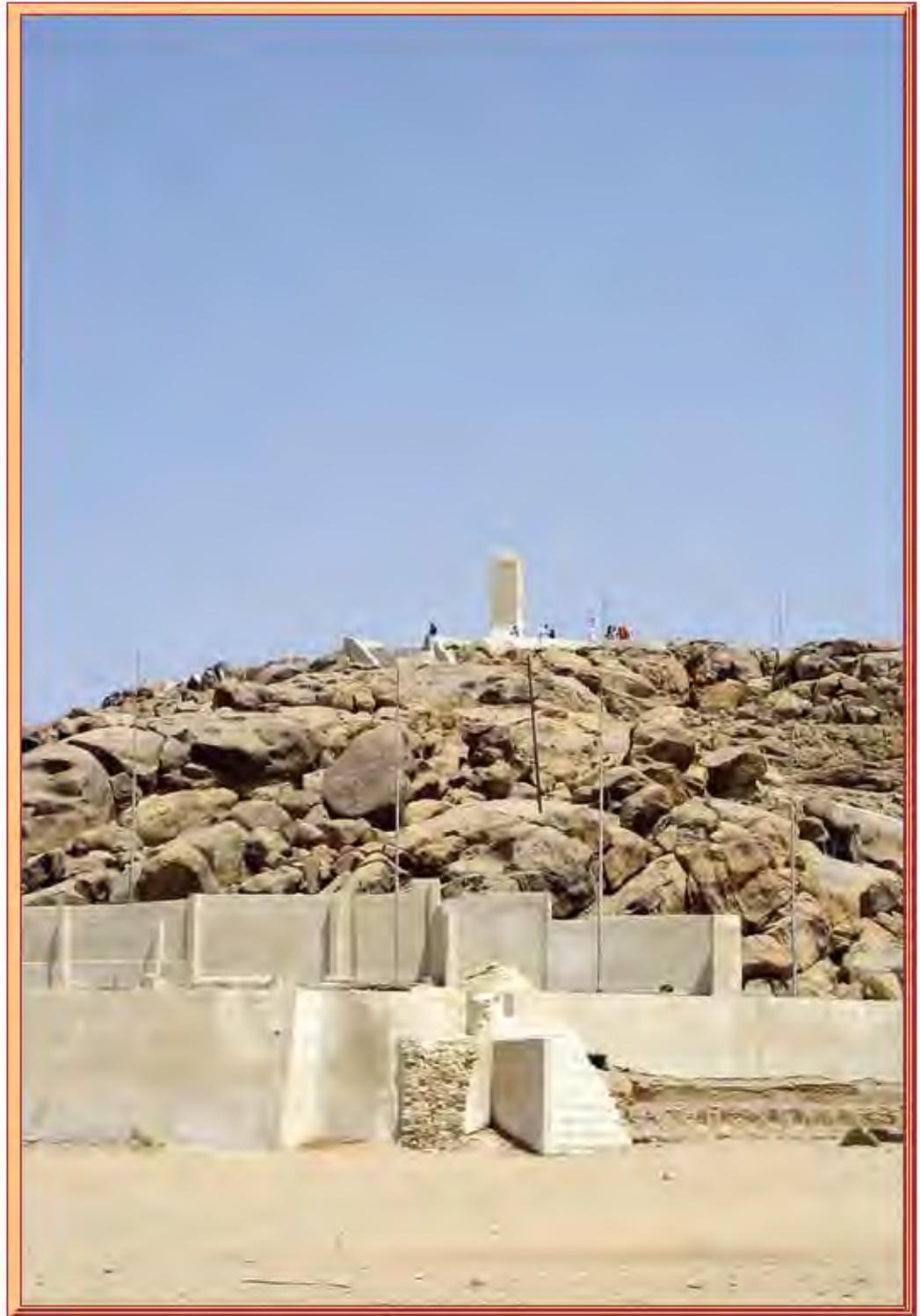




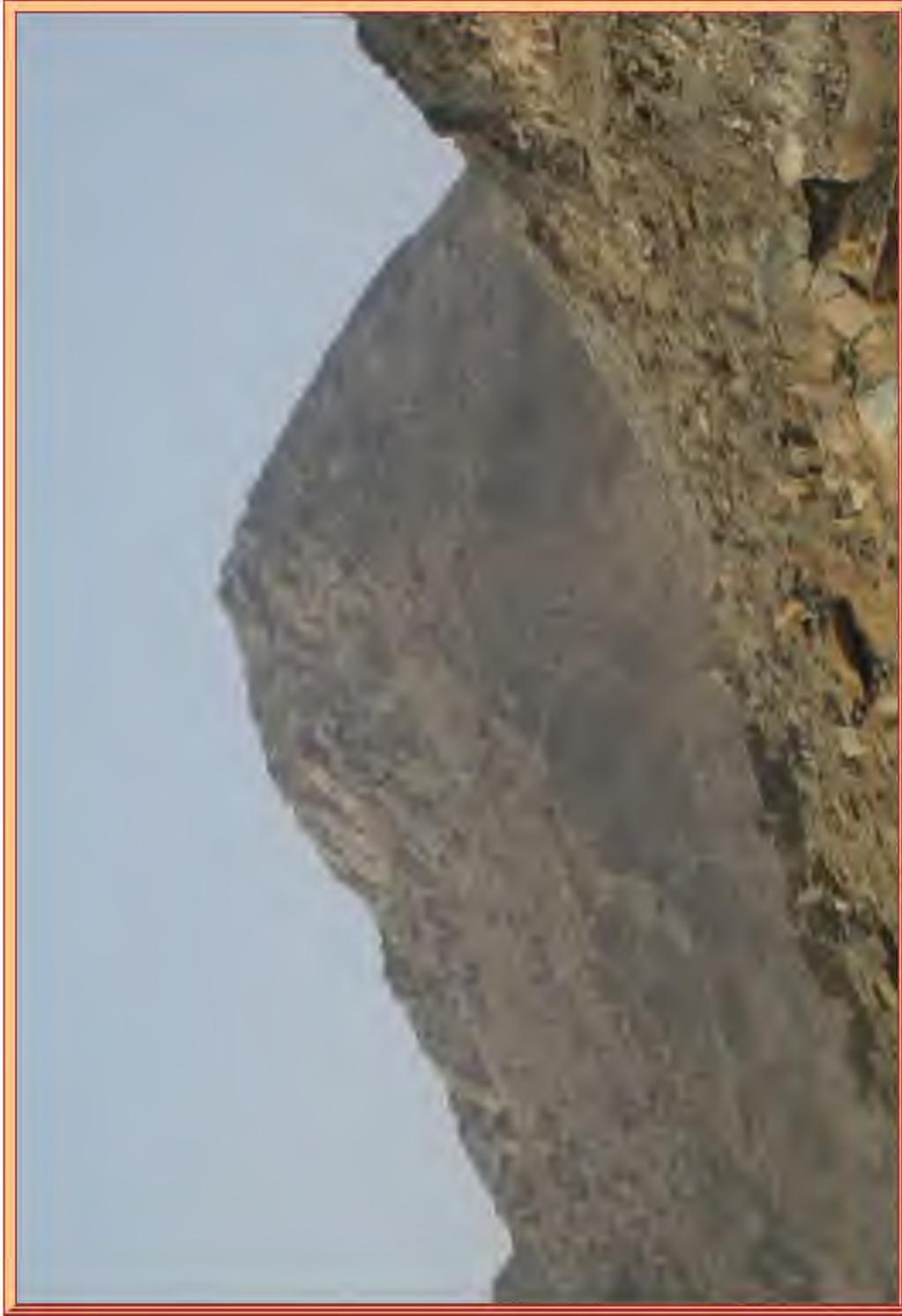
المسجد الأقصى في فلسطين مكان اجتماع الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج وصلى بهم النبي ﷺ إماماً.



جبل النور في مكة المكرمة



جبل الرحمة في عرفات



جبل ثور في مكة المكرمة





جبل أحد في المدينة المنورة



راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اضيفت إليها الكتابة لاحقاً - إسطنبول.







السيف ذو الفقار

أحد سيوف النبي صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.





السيف القلبي

أحد سيوف النبي صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



السيف البتار

أحد سيوف النبي صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



السيف الحثف

أحد سيوف النبي صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



السيف المخم

أحد سيوف النبي صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



السيف الرسول

أحد سيوف النبي صلى الله عليه وسلم - إسطنبول.



السيف العَضْب

أحد سيوف النبي صلى الله عليه وسلم - القاهرة.



قوس النبي صلى الله عليه وسلم - اسطنبول.

أماكن الآثار النبوية الشريفة المعروفة حالياً^(١)

وهناك ملخصاً من كتاب آثار رسول الله ﷺ لجامعه د. خالد مصطفى وفيه
(ص ٤٣ - ٥١) مانصه:

ملاحظات	المكان الحالي	الأثر الشريف
	المتحف الإسلامي استنبول - تركيا	رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس
داخل صندوق زجاجي بالمتحف	المتحف الإسلامي استنبول - تركيا	رسالة النبي ﷺ إلى هرقل
بردة النبي ﷺ والتي كان قد أهداها لكعب ابن زهير رضي الله عنه عندما أنشد قصيدته المشهورة «بانت سعاد» ووصل إلى قوله: ان الرسول لسيف يُستضاء به مهند من سيوف الله مسلول قطعة من قميص النبي ﷺ وتعرض على الجمهور في ليلة القدر من كل عام.	١- المتحف الإسلامي استنبول - تركيا	جبة وقميص النبي ﷺ
	٢- جامع خسرو بيك بلدة بوسنه - تركيا	

(١) قال د. خالد مصطفى: هذه الأماكن نقلتها من عدة كتب ومراجع ونتمنى صحتها، ونرجو أن تكون
هذه الآثار المباركة موجودة فعلاً إلى الآن في هذه الأماكن.

ملاحظات	المكان الحالي	الأثر الشريف
غرفة الآثار النبوية الشريفة	٣- مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه القاهرة - مصر	عصا (قضيبة) النبي ﷺ
أربع قطع من قميص النبي ﷺ	٣- مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه القاهرة - مصر	قميص النبي ﷺ
يوجد بالمتحف سيفان وقوس للنبي ﷺ.	المتحف الإسلامي استنبول - تركيا	سيف النبي ﷺ
يوجد السيف المسمى «الغضب» الذي أهده سيدنا سعد بن عبادة إلى النبي ﷺ.	مسجد الحسين رضي الله عنه - القاهرة	
يوجد سيوف لسيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان وسيدنا علي بن أبي طالب وسيدنا جعفر بن أبي طالب وسيدنا عمار بن ياسر وسيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنهم.	المتحف الإسلامي - استنبول - تركيا	سيوف صحابة رسول الله ﷺ



الأثر الشريف	المكان الحالي	ملاحظات
شعر النبي ﷺ	١- المتحف الإسلامي استنبول - تركيا	- شعرة من لحية النبي ﷺ.
		- أربع شعرات من رأس النبي ﷺ. وكان يوجد ١٨ شعرة تم توزيعها بواسطة سلاطين الدولة العثمانية على البلاد الإسلامية.
	٢- مسجد خسرو بك بلدة بوسنه - تركيا	- في خزانة خاصة بالمسجد وتعرض للجمهور في ليلة القدر من كل عام.
	٣- مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه القاهرة - مصر	- غرفة الآثار النبوية المجاورة لمقام الإمام الحسين رضي الله عنه.
	٤- رباط السادة النقشبندية بالقاهرة - مصر	- يقال ان والدة الخديوي عباس حاكم مصر أحضرتها من الحجاز ثم أهدتها للسيد محمد عاشق النقشبندي الذي وضعها على شمع في صندوق كبير معلق بالمقصورة التي بها جده رحمه الله بتكية النقشبندية بالقاهرة.

الأثر الشريف المكان الحالي ملاحظات

شعر النبي ﷺ - ٥ - المسجد الأموي - دمشق - سوريا - بالمقام الحسيني بدمشق وقد أهداها

السلطان عبد العزيز لتحفظ في هذا المقام وتُخرج للجمهور ليلة القدر.

٦ - الزاوية السعدية - دمشق - سوريا - وتعرف بشعرة مقام التوحيد والمقام

منسوب للسيد سعد الدين الجياوي رحمه الله والتي أهديت له فأهداها للشيخ جلال الدين الرومي - وتُخرج للجمهور في ليلة القدر وليلة الإسراء والمعراج وليلة المولد النبوي الشريف.

٧ - مسجد البلد - حلب - سوريا - الجامع أكبر مساجد حلب - سوريا - يوجد عدة عائلات لدى كل منها شعرة من شعر النبي ﷺ يعرضونها في المسجد للجمهور في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.



الأثر الشريف	المكان الحالي	ملاحظات
شعر النبي ﷺ	٨- المسجد الأقصى بيت المقدس فلسطين	- في الخزانة الفضية في الجهة الغربية من الصخرة ولها خازن خاص غير خطيب المسجد والإمام.
	٩- مسجد أحمد باشا الجزار- عكا- فلسطين	- الشعرات الموجودة بهذه المساجد كان قد أهداها السلطان محمد رشاد لهذه البلاد أثناء الحكم العثماني وتعرض في ليلة القدر.
	١٠- مسجد الجامع الكبير حيفا- فلسطين	
	١١- مسجد غار يعقوب صفد- فلسطين	
	١٢- مسجد العمري طبريه- فلسطين	
	١٣- مسجد علي باشا الناصره- فلسطين.	
	١٤- مسجد طور غورد باشا- طرابلس- ليبيا.	- أهداها أحمد رستم باشا من استنبول إلى طرابلس وتعرض على الجمهور في ليلة القدر، وليلة المولد النبوي الشريف وليلة النصف من شعبان، وليلة الإسراء والمعراج.

الأثر الشريف المكان الحالي ملاحظات

شعر النبي ﷺ ١٥- جامع راشد باشا - بخزانة خاصة داخل المشهور بجامع عثمان بني غازي - ليبيا. المسجد.

١٦- دار الأسيخ - في الزاوية البرانية تونس. خارج باب قرطاجنة والمعروفة بزاوية ولي الله المرجاني.

١٧- الجامع العظيم - أهداها السلطان يهوبال - الهند. محمد رشاد إلى ملك يهوبال في ذلك الوقت فوضعها في خزانة خاصة داخل المسجد.

١٨- مكة المكرمة - يقال إنه يوجد شعرات والمدينة المنورة. عند بعض العائلات كعائلة المرشدي (ءال المرشدي) وهي عائلة الشيخ أبي حامد المرشدي.

خاتم النبي ﷺ المتحف الإسلامي - ويوجد أيضًا طبعه استنبول - تركيا. لختم النبي ﷺ على إطار من الذهب.



الأثر الشريف	المكان الحالي	ملاحظات
رباعية النبي ﷺ	المتحف الإسلامي استنبول - تركيا.	وهي جزء من ثنيته الشريفة والتي سقطت في معركة أحد.
راية رسول الله ﷺ	المتحف الإسلامي استنبول - تركيا.	
مكحلة النبي ﷺ	مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه - القاهرة - مصر	غرفة الآثار النبوية الشريفة.
أثر قدم النبي ﷺ على الصخر.	المتحف الإسلامي استنبول - تركيا.	- أخذه السلطان سليم الأول من الشريف بركات أمير مكة.
٢- المسجد الأقصى القدس - فلسطين	- أثر قدم النبي ﷺ على حجر بجوار صخرة المعراج في قبة الصخرة.	
٣- مسجد العداس الطائف	- بجبل أبي زبيدة بمسجد العداس أو مسجد الموقف ويعرف عند العامة بمسجد الكوع والله أعلم ببقائه إلى الآن وصحة كل ذلك.	
٤- مسجد أثر النبي ﷺ القاهرة - مصر	- يوجد بحجرة صغيرة بمسجد أثر النبي ﷺ .	

الأثر الشريف المكان الحالي ملاحظات

٥- مسجد السلطان قايتباي - المحمودي قرافة المجاورين (العففي) - القاهرة - مصر.
- الحجر الذي عليه الأثر موجود بغرفة واسعة بها قبر السلطان الأشرف أبي النصر قايتباي المحمودي ملاصقة للمسجد.

٦- مسجد السيد البدوي - طنطا - مصر
- داخل مقام السيد البدوي رحمه الله.

٧- مسجد أويس القرني - قرية البرنبل - مصر
وهي قرية شرق النيل بقسم أطفح محافظة الجيزة والحجر الذي عليه الأثر بجانب مقام أويس القرني رحمه الله بالمسجد المعروف هناك.

نعل رسول الله ﷺ
دار الأشراف الطاهرين بعدوة الأندلس قرب وادي مصمودة - مدينة فاس - المغرب
فردة من النعل الشريفة موجودة لدى عائلة سيدي محمد بن عبد السلام ويعرف جدهم بصاحب النعال ومحفوظة بين لوحين من الزجاج السميك.

ومعظم هذه الآثار أخذها السلطان سليم الأول من الشريف بركات أمير مكة وكانت عند الأشراف بمكة المكرمة وبقية الآثار تم جمعها من البلاد الإسلامية أثناء الفتح العثماني لها^(١).

(١) كتاب الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا، وكتاب تبرك الصحابة بأثار الرسول ﷺ.

ذكر بعض البلدان التي يعرض فيها شيء من الآثار النبوية الشريفة في بعض المناسبات الدينية على الجمهور للتبرك

من كتاب تبرك الصحابة بأثار الرسول ﷺ تحت عنوان:

في ذكر بعض البلدان الإسلامية التي فيها شيء من الآثار النبوية

١- ذكر الأستاذ البتانولي في كتابه الرحلة الحجازية أنه يوجد بعض شعراته ﷺ بالمسجد الأقصى بالخزانة الفضية التي بجوار الدرابزين من الجهة الغربية للصخرة.

٢- ويوجد بعض الآثار في الآستانة مقر الخلفاء سلاطين آل عثمان سابقاً رحمهم الله تعالى كالشعرة المباركة والبردة الشريفة وبعض آثار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، كما يوجد شيء من الآثار في القاهرة بمسجد سيدنا الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما.

٣- وسمعنا أنه توجد في بلدة «بوسنه» بتركيا في جامع خسرو بك قطعة من قميص النبي ﷺ وشعرة من شعراته الشريفة ويعرض ذلك في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان على الجمهور (وهي على الأرجح ليلة القدر).

٤- وتوجد أيضاً في طرابلس الغرب في جامع طور غود باشا في بيت الصلاة شعرة من شعرات النبي ﷺ موضوعة في زجاجة وتعرض على الجمهور في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وفي اليوم السابع والعشرين من رجب، وفي منتصف شعبان، وفي اليوم السابع والعشرين من رمضان.

وهذه الشعرة المباركة أرسلت من الآستانة إلى طرابلس الغرب، وطور غود باشا هو قائد بحري عثماني عظيم ممن كان لهم الفضل في إجلاء الإسبانين من طرابلس الغرب وتونس والجزائر، وإعادتها إلى حظيرة الحكم الإسلامي وقد توفي طور غود باشا رحمه الله تعالى شهيداً في سنة ٩٧٣ هـ وهو يحاصر

جزيرة مالطة، فنقل إلى مدينة طرابلس الغرب، ودفن بها بجوار مسجده المعروف باسمه حتى اليوم.

٥- وفي دمشق أيضًا توجد شعرة من شعرات رسول الله ﷺ ويحتفل أهل دمشق بها احتفالاً كبيراً، ولقد كتبت مجلة «المصور» التي تصدر بمصر مقالا في أحد أعدادها تصف به احتفال دمشق بهذه الشعرة المباركة فقالت:

احتفل مشائخ الطرق الصوفية هذا الأسبوع بالتبرك بالشعرة المباركة احتفالاً كبيراً حضره عدد كبير من كبار رجال الدين.

والمعروف أن النبي ﷺ قص شعره مرتين وفي هاتين المرتين سارع الصحابة رضوان الله عليهم إلى الحصول على بعض الشعرات الطوال عقب القص. وكانوا يوصون أولادهم بدفن بعض الشعرات معهم والاحتفاظ ببعض الآخر.

- إلى أن قال - وفي أعياد المولد والإسراء، ونصف شعبان وليلة القدر والأعياد الأخرى يحتفل كل عام بالتبرك بالشعرة المباركة.

وفي هذا الأسبوع، احتفلت الزاوية السعدية بها احتفالاً كبيراً، بحضور رجال الدين وفي جو كله خشوع وجلال ووقار - وهي ملفوفة بالعنبر الجامد، وموضوعة في زجاجة فيها بعض المسك والبخور، وقد غلفت الزجاج بأقمشة مخملية مربعة كتبت عليها بعض آيات من القرآن الكريم وعندما فتحت الزجاج أمسك بها أكبر أفراد العائلة التي تتشرف بحيازتها، ولم يسلمها لأحد، بل بقيت في يده ليتبرك بها الناس، وقد أخرجت في جو ديني مهيب، رددت فيه الأناشيد الدينية والصلوات الإبراهيمية وظل الترتيل مستمراً حتى أعيدت الشعرة إلى مكانها، وللتبرك بالشعرة [يراعي] الشخص المتبرك أن يأتيه من اليمين أدباً واحتراماً، وبعد أن يقبل القارورة ويدعو بما يشاء باختصار يذهب إلى اليسار مفسحاً المجال لغيره وفي جو خاشع يسوده الجلال والوقار والعودة إلى الله بصفاء وبعد الأناشيد النبوية والدينية اختتم حفل التبرك هذا العام بالشعرة المباركة - انتهى من مجلة المصور.



شعرة نبوية هدية من السلطان

في سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م (١) أهدى السلطان العثماني عبد الحميد أهل طرابلس (الشام) هدية عظيمة لا تقدر بثمن عبارة عن شعرة نبوية شريفة من أثر النبي العظيم ﷺ. وهي ثروة من الثروات النورانية المباركة، وبركة صاحبها جعل الله لأجله رطوبة القلوب مروضة في بعض أهل طرابلس ليومنا هذا...

وقد أهدى السلطان تلك الشعرة الشريفة من أثر الرسول لأهل طرابلس تقديرًا لولائهم، وقد وضع الشعرة في علبة من الذهب الخالص، وأرسلت مع أحد الباشوات في فرقاطة (أي سفينة حربية) خاصة، وعندما وصلت إلى الميناء خرج أهالي المدينة لاستقبالها، وكانت فرحة عمّت المدينة بأسرها، وعندما نزل الباشا العثماني حاملاً العلبة، تناولها منه الشيخ حسين الجسر رحمه الله، ووضعها على رأسه وحملها إلى الجامع الكبير. وكان الأثر الشريف مهدي في الأصل ليوضع في الجامع الحميدي، ولكن الشيخ علي رشيد الميقاتي أقنع رجالات البلد بأن يوضع الأثر الشريف في الجامع المنصوري الكبير، لكونه أكبر مساجد المدينة، ولكون الجامع الحميدي بظاهر البلد في ذلك الوقت. وهكذا شهد الجامع المنصوري احتفالاً كبيراً حضره الآلاف من المسلمين الذين تقاطروا من أنحاء طرابلس وقرى قضائها للتبرك بروية الأثر الشريف وتقبيله، وظلت شوارع طرابلس مزينة لمدة سبعة أيام، والموالد تقرأ في المآذن والبيوت احتفالاً بهذه الهدية الشريفة.

وإلى يومنا هذا تُنحرج الشعرة الشريفة النورانية في آخر جمعة من رمضان، بعد صلاة الفجر وبعد صلاة الجمعة، ليتبرك بها الرجال والنساء والكبار والصغار من أهل طرابلس وأقضية الشمال ومن كل لبنان وغير لبنان.

(١) آثار طرابلس الإسلامية، عمر تدمري، ص ١٥٤-١٥٥.

شعرة الرسول ﷺ تضيء ليال رمضان في عكا

إن التقرير الذي نشره موقع «العرب» على الإنترنت عن شعرة الرسول ﷺ التي تبرك بها أهالي عكا والجليل والمثلث خلال التماس ليلة القدر في مسجد الجزار في المدينة عام ١٤٢٧ هـ، أثار ردود فعل كثيرة ومتباينة في أنحاء العالم العربي والإسلامي، حيث تناقلته العديد من وسائل الإعلام الإلكترونية والمكتوبة والمنتديات، وتحول الخبر الأصلي الذي نشر في موقع «العرب» إلى منتدى لتبادل الأفكار حول شرعية التبرك بأثار الرسول ﷺ، حيث وصلت التعقيبات من مختلف أنحاء الوطن العربي والعالم، من بينها: كندا، السعودية، ألمانيا، السويد، لبنان، أمريكا، فرنسا، ودول غربية وعربية أخرى.





وتضمن الاحتفال مواعظ دينية، وابتهالات وأناشيد إسلامية، وصلاة التراويح والتسابيح التي استمرت حتى صلاة الفجر.

ومع اقتراب الساعة الحادية عشرة ليلاً بدأ المصلون يستعدون بتلهف وشوق لإخراج شجرة الرسول ﷺ المحفوظة في خزانة في الطابق العلوي للمسجد، حيث قام الشيخ سمير عاصي إمام الجامع الجزائر بالصعود إلى الطابق العلوي، بينما ذرف بعض المصلين الدموع تأثراً لهذا المشهد. وقام إمام المسجد بإخراج الشجرة المحفوظة في زجاجة في صندوق من الخشب والطواف بها بين الحشود

لتقبيلها والتبرك، حتى إن بعض المصلين لم يتمالكوا أنفسهم حتى يجين دورهم وانتفضوا من مكانهم ليكونوا أول من يتبرك بأثر الرسول ﷺ.

وتعتبر هذه الشعرة أثرًا نادرًا في البلاد للرسول محمد ﷺ، منذ العهد العثماني، ويتم إخراجها أمام أنظار المصلين مرة في كل عام في يوم التماس ليلة القدر، وكان قد قدمها السلطان العثماني هدية للشيخ سعد الدين الشقيري ولتكون أثرًا باقياً في فلسطين.



سند الشعرات النبوية الشريفة المباركة التي بحوزتنا

قال الإمام عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» رواه مسلم.

ولأهمية وجلالة وعظيم هذا الأمر نعرف أنه لا بد من التثبت والتحقق من صحة نسبة الشعرة الشريفة لسيد الخلق محمد ﷺ، ونحن لا يفوتنا الاهتمام والعناية بأمر سند الشعرة الشريفة، لذلك، وبفضل الله ومنته وجوده وإحسانه وتكرمه علينا، نقول في بيان هذا الأمر كما هو موثق عندنا بالأختام والتواقيع والشهود، ذاكرين بعض هذه الأسانيد الثابتة الموثقة:

أولاً: شعرة شريفة يعود إسنادها إلى السلطان سليم الثاني العثماني.

ثانياً: شعرة نبوية زكية يعود إسنادها إلى السلطان عبد الحميد العثماني والد السلطان عبد الحميد العثماني.

ثالثاً: شعرة نبوية مطهرة يعود إسنادها إلى السلطان عبد الحميد الثاني العثماني.

رابعاً: شعرة معظمة مباركة نبوية يعود إسنادها من طريق السيد القطب عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه إلى سيدنا العباس عم رسول الله ﷺ من طريق الحسين عن أخيه الحسن عن أبيهما علي رضي الله عنهم عن النبي ﷺ.

خامساً: شعرة نبوية مشرفة مكرمة يعود إسنادها للشيخ إبراهيم خير الله الرفاعي الحلبي.

هذا، وعندنا -بفضل الله تعالى ومنه وكرمه- أسانيد ثابتة أخرى لجميع الشعرات والآثار النبوية الشريفة المباركة المحفوظة بعنايتنا وعهدتنا. فالحمد لله الذي تفضل علينا بهذا الخير العظيم والفضل العميم.

خاتمة بحر الدلائل والأسرار

أيها القارئ المنصف قد اطلعت في هذا الكتاب على الدلائل والشواهد النقلية والعقلية على جواز التبرك والتوسل والاستغاثة بالأنبياء وآثارهم وكذا بالصلحاء، ورأيت أنه لا لبس فيها أبدًا، بل هذا هو ما جرت عليه الأمة منذ زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نطقت بذلك الشواهد التاريخية التي مرت بك في هذا الكتاب.

ومع ذلك فقد أمطنا اللثام عن الشبه والبدع التي يتذرع بها من يجرم التوسل والتبرك بذوات الأنبياء والصلحاء وآثارهم؛ حيث اعتمدوا على كلمة من هنا وأخرى من هناك، هي عند التحقيق أوهى من بيت العنكبوت، وهو أمر خطر، وفكر ذو وبالٍ شديد؛ إذ أدى بأصحابه إلى أنهم كفّروا أكثر الأمة بما ابتدعوه هم، ثم نجدهم يرمون الأمة بالابتداع والضلال، فهم يقلبون الحقائق بجهلٍ أو بعلمٍ، أعاذنا الله من سوء الحال.

فحذار أن تكون لك بضاعة في سوق من يزيد في التحريض على أبناء الأمة تكفيرًا وتضليلًا، فذلك - لا شك - الخسران المبين، وعليك بالرجوع إلى هدي كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ففيهما جلاء البصائر والأبصار، وانسراح الصدور وتنوير القلوب، وآخر دعوانا أن، الحمد لله رب العالمين.

وكتب فضيلة الشيخ الشريف أبي الفضل عماد الدين

جميل حلیم الحسيني الرفاعي

من آثار المؤلف

- ١- بحر الدلائل والأسرار في التبرك بأثار المصطفى المختار، وهو هذا الكتاب.
- ٢- أسرار الآثار النبوية، أدلة شرعية وحالات شفائية.
- ٣- لباب النقول في تأويل حديث النزول.
- ٤- النجوم السارية في تأويل حديث الجارية.
- ٥- عمدة الكلام في أدلة جواز التبرك والتوسل بخير الأنام.
- ٦- التشرف بذكر أهل التصوف.
- ٧- فصل الكلام في أن إحراق النفس وإجهاض الجنين الحي وما يسمى بتأجير الأرحام إثم وحرام.
- ٨- الفرقان في تصحيح ما حُرِّف تفسيره من آيات القرآن الجزء الأول.
- ٩- الفرقان في تصحيح ما حُرِّف تفسيره من آيات القرآن الجزء الثاني.
- ١٠- الحجج النيرات في إثبات تصرف النبي والولي بعد الممات.
- ١١- القواعد القرآنية في تنزيه الله عن الشكل والصورة والكيفية.
- ١٢- البرهان المبين في ضوابط تكفير المعين.
- ١٣- نقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسم.

- ١٤- نيل المرام في بيان الوارد في حكم ما جاء في اللحم والشحم من الأحكام.
- ١٥- قررة العينين في تربية الأولاد وبر الوالدين.
- ١٦- تحذير اللبيب مما وقع في بعض الكتب من أكاذيب.
- ١٧- كشف الأوهام عمن زاغ باتباع المتشابه من الأنام.
- ١٨- لطائف التنبيهات على بعض ما في كتب الحديث من الروايات.
- ١٩- التعليق المفيد على شرح جوهرة التوحيد.
- ٢٠- القمر الساري لإيضاح غريب صحيح البخاري.
- ٢١- الشهد المذاب من زهر المحبة بين الآل والأصحاب.
- ٢٢- الارتواء من أخبار عاشوراء، ودمع العين على استشهاد الإمام الحسين.
- ٢٣- البركان الجارف لشرح المجسم ابن أبي العز التالف.
- ٢٤- مريم والمسيح في نص القراءان الصريح.
- ٢٥- جامع الرسائل الإيمانية في بيان العقيدة الإسلامية.
- ٢٦- طالعة الأقمار من سيرة سيد الأبرار.
- ٢٧- لآلئ الكنوز في إباحة الرقية وحمل الحروز.
- ٢٨- حقيقة التصوف الإسلامي.
- ٢٩- البيان والتوضيح.

- ٣٠- جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حلیم العوالي.
- ٣١- المجد والمعالي في أسانيد الشيخ جميل حلیم العوالي وهو الثبت الكبير.
- ٣٢- السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد.
- ٣٣- الكوكب المنير في جواز الاحتفال بمولد الهادي البشير.
- ٣٤- زهر الجنان في جواز الاحتفال بليلة النصف من شعبان.
- ٣٥- إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم الجزء الأول.
- ٣٦- إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم الجزء الثاني.
- ٣٧- إتحاف المسلم بإيضاح متشابهات صحيح مسلم الجزء الثالث.
- ٣٨- الدرر السلطانية والفوائد الإيمانية من فيض بحر السلطان الحبشي خادم السنة النبوية.
- ٣٩- جواهر الأئمة في تفسير جزء عم.
- ٤٠- المنهج المبارك في تفسير جزء تبارك.
- ٤١- السقوط الكبير المدوي للمجسم ابن تيمية الحراني.
- ٤٢- المدد القدسي في فضل وتفسير آية الكرسي.
- ٤٣- قلائد الأمة المرصعة بعقيدة الأئمة الأربعة.
- ٤٤- معجم أهل الإيمان في تنزيه الله عن الجسمية والكيفية والمكان.
- ٤٥- النجم الأظهر في شرح الفقه الأكبر.

- ٤٦- الفضح واللکم لمن أنکر حکم الرجم.
٤٧- ضياء القمرين في نجاة والدي الرسول ﷺ الشريفين.
٤٨- البحر الجامع لمناقب القطب الرفاعي اللامع.

فهرس المواضيع

- ٣ التوطئة الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان
- ٧ نسب المؤلف إلى رسول الله ﷺ
- ٨ نبذة عن حياة المؤلف بقلم الناشر
- ١١ خطبة الكتاب
- ١٣ تمهيد وعرض للمقدمات
- ١٦ رياض الأبرار في رحاب (بحر الدلائل والأسرار)
- ١٨ من البشائر العظيمة
- المقدمة الأولى
- في ما رَصَعَتْهُ آيات القرآن الكريم في عظيم فضائل سيدنا محمد ﷺ ٢٠
- المقدمة الثانية
- ٢٦ في الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ
- الفصل الأول
- ٢٦ في حكم الصلاة والسلام عليه ﷺ
- الفصل الثاني
- ٢٨ في فضيلة الصلاة والسلام عليه ﷺ
- الفصل الثالث
- ٣٢ في ذم مَنْ لم يُصَلِّ عليه عند ذكر اسمه ﷺ
- الفصل الرابع
- ٣٣ في تخصيصه بإبلاغه الصلاة والسلام من أمته ﷺ

المقدمة الثالثة

في تعظيمه وإجلاله، وصدق محبته وشدة الشوق إليه ﷺ ... ٣٤

الفصل الأول

في بيان أحوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ٣٤

المبحث الأول: في صدق محبة الصحابة للنبي الأعظم ﷺ وشدة

شوقهم له في حياته وبعد مماته: ٣٦

المبحث الثاني: في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره وإجلاله ﷺ .. ٣٧

الفصل الثاني

في بيان أحوال السلف الصالح والأئمة الأعلام والصالحين .. ٤٦

الفصل الثالث

في إكرام مشاهدته الشريفة ﷺ في مكة والمدينة ٤٨

المقدمة الرابعة

في بيان مفتاح الظفر بالاجتماع به ﷺ في الجنة

الالتزام بعقيدة الإسلام (وفيها مباحث) ٥٠

المبحث الأول: في تعريف علم العقيدة ٥٠

المبحث الثاني: في بيان شرف علم العقيدة ٥٠

المبحث الثالث: في بيان ما يجب للمولى سبحانه وتعالى وما يستحيل

عليه ٥١

المبحث الرابع: في بيان ما يجب للأنبياء وما يستحيل عليهم ٦٠

الصدق ٦٠

الأمانة ٦١

الفتانة ٦١



- يستحيل على الأنبياء الرذالة و السفاهة و البلادة ٦١
- الإيمان بعذاب القبر ٦٢
- الإيمانُ بنعيم القبر ٦٢
- الإيمان بسؤال الملكين منكرٍ و نكير ٦٣
- الإيمان بالبعث ٦٣
- الإيمانُ بالحشر ٦٤
- الإيمان بالقيامة ٦٤
- و الإيمانُ بالحساب ٦٤
- الثوابُ و العذابُ ٦٤
- الإيمان بالميزان ٦٤
- الإيمانُ بالنار ٦٥
- الإيمان بالصراط ٦٥
- الإيمانُ بالحوض ٦٥
- الإيمانُ بالشفاعة ٦٥
- الإيمان بالجنة ٦٧
- الإيمان بالرؤية لله تعالى بالعين في الآخرة ٦٧
- الإيمان بالخلود فيهما ٦٨
- الإيمان بملائكة الله ٦٨
- الإيمان برسله ٦٨
- الإيمانُ بالكتب السماوية ٦٩
- الإيمانُ بالقدر خيره و شرّه ٦٩
- المبحث الخامس : في بيان كيفية المحافظة على دين الإسلام ٦٩
- الكفر الاعتقادي ٧٠

- ٧٠ الكفر الفعلي
- ٧٠ الكفر القولي
- ٧١ فائدة مهمّة
- ٧٢ ختامًا: الوقاية من النار

الباب الأول

في بركة النبي ﷺ، والتبرك به وبآثاره الشريفة

الفصل الأول

- ٧٤ في بيان معنى البركة والتبرك لغةً واصطلاحًا
- ٧٦ الله خالق الاسباب والمسببات

الفصل الثاني

- ٨٢ في بيان مشروعية التبرك بالنبي ﷺ وبآثاره الشريفة
- المبحث الأول: ذكر شواهد عامة على البركة والتبرك في
- ٨٢ الكتاب والسنة
- ٨٢ ١. الكعبة
- ٨٢ ٢. الحجر الأسود
- ٨٣ ٣. مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام
- ٨٤ ٤. صلاة النبي بطلب جبريل في طيبة وطور سيناء وبيت لحم
- ٨٥ ٥. البركة حول بيت المقدس
- ٨٥ ٦. طور سيناء
- ٨٥ ٧. قميص يوسف عليه السلام
- ٨٦ ٨. بركة يوسف بعد موته



- ٨٧ . ٩. التابوت في زمن بني إسرائيل
- ٨٨ . ١٠. تعظيم النبي ﷺ لقدر ماء زمزم
- ٨٨ . ١١. تربة أرض المدينة المنورة
- ٨٩ . ١٢. بركة ورد علمه النبي ﷺ لفاطمة وعلي رضي الله عنهما
- المبحث الثاني: ذكر الأدلة التفصيلية على استحباب التبرك بالنبي ﷺ، وبآثاره الشريفة ٩٠
- المطلب الأول: في التبرك به ﷺ حال حياته ؛ وفيه:
- أولاً: التبرك بجسده الشريف وأعضائه الشريفة ﷺ ٩٠
- ثانياً: التبرك بما انفصل من جسده الشريف ﷺ ٩٨
١. النبي يأمر بتوزيع شعره بين الناس ٩٨
٢. من دفن معه شيء من الآثار الشريفة ١٠٠
٣. أم سليم ترجو البركة بجمعها من عرق النبي ﷺ في الطيب والقوارير ١٠٢
٤. توزيع أظفاره ﷺ بين الناس ١٠٣
٥. تبريكه ﷺ على بعض الأفراد (التبرك بالمسح) ١٠٣
٦. مجه ﷺ في بئر ماء زمزم وغيره ١٠٩
٧. حرص الصحابة على أن يُحَنَّكَ رسول الله ﷺ أولادهم ١١٠
٨. من شرب منهم من دم النبي ﷺ ١١٠
- ثالثاً: التبرك بما لمسهُ أو باشَرَهُ أو جاوره ﷺ وحصولُ البركة فيه ١١٢
- ١ - التبرك بفم قَرَبٍ شرب منها النبي ﷺ ١١٢
- ٢- تتبع آثار أصابع النبي ﷺ من بعد طعام أكل منه ١١٧
- ٣ - التبرك بفضل وضوء رسول الله ﷺ ١١٨
- ٤ - غمس النبي ﷺ يده في أواني أهل المدينة غداة كل يوم ... ١٢٣
- رابعاً: اتخاذ موضع صلاته ﷺ مصلى ١٢٤

- ١ - تكثير القليل ببركته ﷺ ١٢٦
- ٢ - التبرك بما مسه شيء من جسد رسول الله ﷺ ١٣٥
- ٣- التبرك بالمواضع التي نزل وصلى بها الرسول ﷺ ١٣٨
- ٤ - التمرغ بتراب قبر النبي ﷺ تبركاً ١٤١
- خامساً: وضع الوجه على القبر الشريف ١٤٢
- سادساً: التبرك بالجذع الذي حنّ لرسول الله ﷺ ١٤٣
- ١- التبرك بأثاره ﷺ عامّةً ١٤٥
- سابعاً: في حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أن يدفن مع النبي ﷺ ١٤٦
- ١ - من دفن معه شيء من الآثار النبوية الشريفة ١٤٦
- ٢ - التبرك بنعل رسول الله ﷺ ١٤٩
- ثامناً: التبرك بدعائه ﷺ ١٥٤
١. بركة إجابة دعائه ﷺ ١٥٤
٢. نبع الماء من بين أصابعه ﷺ ١٥٥
- المطلب الثاني في التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته؛ وفيه:
- أولاً: تبرك الصحابة والتابعين بأثاره الشريفة ﷺ ١٥٧
- ١- التبرك بشعرات النبي المختار ﷺ ١٥٧
- ٢- التبرك بقدرح النبي ﷺ ١٦٠
- ٣- ذكر أخبار متفرقة عن تبرك السلف بأثاره ﷺ ١٦٢
- ثانياً: تبرك الخلف وسائر الأمة بأثاره الشريفة ﷺ ١٧٣
- ١- شفاء الإمام البوصيري من الفالج الذي أصابه ببركة مدحه للنبي ﷺ ١٧٣
- ٢ - مروحة من نخلة جاورت قبر النبي ﷺ أهديت إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه ١٧٤



- ٣- غسل الحافظ ابن حنزابة بماء مبارك بشعرات ﷺ النبي ١٧٤
- ٤- الطبراني وابو الشيخ يشكوان الجوع لرسول الله ﷺ ١٧٥
- ٥- استيقظ وفي يده النصف الثاني من الرغيف ١٧٥
- ٦- شعر للإمام ابن دقيق العيد في التبرك بأثار النبي صلى الله عليه وسلم ١٧٦
- ٧- ذهابُ علة عجز عنها الأطباء وأيسوا من برئها ١٧٦
- ٨- مَلِكٌ يتواضع لخادم حجرة النبي ﷺ ١٧٧

نَيْلُ القَبُولِ بِبِرْكَةِ شَعْرَةِ الرَسُولِ ﷺ ١٧٨

- ثالثاً: بشائر رؤية النبي ﷺ في المنام ١٨٠
- وصف أم معبد للنبي عليه الصلاة والسلام ١٨٣
- آيات من دالية الأفياد ١٨٦

الفصل الثالث

في بيان آثار مكة المكرمة والمدينة المنورة وبركتهما

- وفضائلهما ١٨٩
- أولاً: المساجد النبوية في المدينة ١٩٠
- مسجد الفتح، والمساجد التي في قبلته وتعرف بالمساجد السبعة ١٩١
- أساطين المسجد النبوي الشريف وخصائصها ١٩٢
- ثانياً: الآبار النبوية ١٩٥
- ثالثاً: المشاهد النبوية الشريفة وتبرك الصحابة بها ١٩٦

المبحث الثاني: في بيان آثار مكة المكرمة المباركة، زادها الله

- شرفاً وتعظيماً ١٩٨
- أولاً: من آثار مكة المكرمة زادها الله شرفاً ١٩٨
- ثانياً: ذكر بعض الأماكن والمساجد المخصوصة الأخرى ٢٠٠
- ثالثاً: ذكر الدور المباركة بمكة المكرمة ٢٠٢

- رابعًا: ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمةها ٢٠٣
- خامسًا: ذكر ما جاء في فضل وادي العقيق المبارك وهو ذو الحليفة ٢٠٦
- المبحث الثالث: في بيان آداب زيارة النبي ﷺ ٢٠٧
- المبحث الرابع: في بيان عدد من الأدلة والنقول على استحباب زيارة قبر النبي ﷺ والتبرك به ٢١٣
- فائدة: في تاريخ إضافة حجر أزواج النبي ﷺ بما فيها القبر الشريف على المسجد وعدم اعتراض من كان من الصحابة والتابعين على ذلك: ٢١٩

الفصل الرابع

- في دفع شبه منكري التبرك بأثار النبي ﷺ ٢٢١
- تمهيد ٢٢١
- أولاً: إيضاح معنى ما روي عن عمر رضي الله عنه ٢٢٤
- ثانيًا: إيضاح معنى ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه : «لقد جئتم ببدعةٍ ظلما» ٢٣٠
- ثالثًا: توجيه وجيه في كلام ينسب للإمام مالك رضي الله عنه ٢٣٢
- رابعًا: إيضاح معنى حديث الشجرة ذات الأنواط ٢٣٣
- خامسًا: إيضاح معنى قطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه لشجرة الرضوان ٢٣٤
- خاتمة: في إظهار تعلق قلوب المؤمنين بأثار الحبيب محمد سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ ٢٣٧
- من فضل النبي تبركوا ٢٤٠

الباب الثاني

في مشروعية التوسل بالنبي ﷺ

الفصل الأول

في أن التوسل نوع من أنواع التبرك ٢٤٤

الفصل الثاني

في بيان مشروعية التوسل بالأنبياء والأولياء، وأنه ليس شركاً ٢٥٠

الفصل الثالث

في بيان مشروعية التوسل بالحي الحاضر وبغير الحي الحاضر ٢٥٢

الدليل على جواز التوسل بغير الحي الحاضر ٢٥٣

الفصل الرابع

في إزالة عِدَّةِ شُبُهَاتٍ لمانعي التوسل بالأنبياء والأولياء ٢٥٥

من الأدلة على جواز الاستغاثة بغير الله ٢٥٥

الباب الثالث

في التبرك بالأولياء والصالحين وآثارهم

الفصل الأول

في بيان مشروعية التبرك بآثار الصالحين مِنْ نُصُوصِ العلماء وَنُقُولِهِمْ ٢٦٠

ومن التبرك بالصالحين الدفن في المواضع الفاضلة ٢٧٣

الفصل الثاني

في ذكر الأخبار في تبرك الأمة سلفاً وخلفاً بآثار الصالحين .. ٢٧٤

أولاً: من قبور الصحابة رضوان الله عليهم ٢٧٤

ثانيًا: في التبرك بقبور أهل الصلاح من السلف ومن بعدهم ٢٧٧

رائعة المدائح ٢٩٢

الباب الرابع

في أخبار صادقة موثقة مروية، وصور لبعض الآثار النبوية المحمدية

الفصل الأول

أخبار وحوادث صادقة موثقة مروية عن بركات وعجائب ظاهرة
بالتبرك بآثار النبي ﷺ ٢٩٨

الفصل الثاني

صُورٌ قديمةٌ وحديثٌ مختلفةٌ عن بعض الآثار النبوية الشريفة .. ٣٤٥

أماكن الآثار النبوية الشريفة المعروفة حاليًا ٤٤٣

ذكر بعض البلدان التي يعرض فيها شيء من الآثار النبوية الشريفة
في بعض المناسبات الدينية على الجمهور للتبرك ٤٥١

شعرة نبوية هدية من السلطان ٤٥٣

شعرة الرسول ﷺ تضيء ليال رمضان في عكا ٤٥٤

سند الشعرات النبوية الشريفة المباركة التي بحوزتنا ٤٥٧

خاتمة بحر الدلائل والأسرار ٤٥٨

من آثار المؤلف ٤٥٩

فهرس المواضيع ٤٦٣

